الإصدار 2.0
طبعة
مزيدة ومنقحة

إدريس أُوهلال

الانفجار العظيم

عصر النهايات

نهاية المدرسة، نهاية الجامعة، نهاية الشهادة...
نهاية المجتمع، نهاية الطبقة المتوسطة، نهاية الأسرة...
نهاية السوق، نهاية النقود، نهاية أنظمة التقاعد...
نهاية السياسة، نهاية القيادة، نهاية الديمقراطية...
... وبداية دورة تاريخية جديدة

الانفجار العظيم

عصر النهايات

الإصدار 2.0

الكتاب: الانفجار العظيم: عصر النهايات
المؤلف: إدريس أُوهلال drissohlale@gmail.com
الطبعة: الثانية 2023، الأولى 2021

الناشر: مجموعة الأكاديميات الدولية IAG

تصدير

« فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِين» **سبأ** (14)

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية

لكل كتاب دوافع لتأليفه، وهذا الكتاب كان لتأليفه دافعان: أولهما **دافع علمي** وهو المساهمة فى سد النقص الموجود فى الكتابات باللغة العربية فى مجال استشراف المستقبل والدراسات المستقبلية، وثانيهما **دافع عملي** ويتمثل في الأزمة العالمية الحالية والحاجة إلى فهم ما يقع وما سيقع لمساعدة الأفراد والأسر والمنظمات والحكومات على اتخاذ أفضل القرارات الممكنة فى فترة انتقالية تتسم بالمزيد من الغموض واللايقين.

والكتاب بدافعيه ينتمى إلى مجال **الاستشراف والدراسات المستقبلية**، وموضوعه هو المستقبل الذي ينتظرنا ويتربص بنا، وجمهوره هو الجمهور المتخصص والمهتم بمجال الدراسات المستقبلية والجمهور الواسع أيضاً، لأن الكل أصبح بحاجة إلى فهم الأزمة العالمية الحالية وما ينتظرنا بعدها.

ونظرا لطبيعة جمهور الكتاب الواسع والمتنوع كان من الضروري استصلاح **لغة وسيطة** تقع بين لغة العلم

المُوَجَّهة للمتخصص ولغة بسيطة وواضحة مشتركة يفهمها الجميع، لذلك ابتعدنا عن وعى وقصد عن اللغة الأكاديمية المتخصصة.

وينتمى الكتاب إلى فئة الكتب التى تمارس الاستشراف فعليا بدل أن تكتفي بالدعوة إليه وتعريفه وإبراز أهميته.. ابتلينا فى الكثير من القضايا المهمة التى تحتاج إلى من يكتب فيها بهيمنة "**كتابات الدرجة الثانية**".. نكتب عن أهمية التخطيط بدل أن نخطط، وعن ضرورة الجودة بدل أن نبنيها، وعن الحاجة إلى استشراف المستقبل بدل أن نستشرفه... ننسى أن "**مفهوم الكلب لا ينبح ومعرفة السكر ليست حلوة**".

ولا يمكن فهم قضايا أي كتاب وإنصاف كاتبه بدون استحضار منهجه. وفي هذا الكتاب، كما في كل كتاباتي الأخرى، استخدمت **المنهج النسقي** (تحليل النُّظُم) الذي يتجاوز المنهج التحليلى الاختزالى وينفتح على الآفاق الواسعة للمقاربة الشمولية والمتعددة **المستويات المنطقية**، مع الاهتمام بالبعد العملي والاستفادة من الإمكانات القوية التى تتيحها **النمذجة النسقية**. إن المجالات والنهايات المتعددة المذكورة في الكتاب لا

قيمة لها بذاتها مقارنة بالقصد منها، وهو **إبراز شمولية التحول وطابعه المعقد**. نحتاج أن نُرَكِّب الصورة الكلية النهائية (الانفجار العظيم) من خلال وضع القطع الصغيرة (النهايات المتعددة) بشكل سليم بجانب بعضها، مع استحضار **السياق**.

ومن عناصر المنهج التى فرضتها طبيعة الموضوع البالغة التعقيد **التحليل اللولبي** الذي يتجاوز ضيق المقاربات المتخصصة، ويتموج فى **تكامل معرفي** بين حقول معرفية متعددة نفسية وتربوية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

ومن عناصر المنهج أيضا استخدام **نظرية الألعاب الاجتماعية** التى تدرس الألعاب الاجتماعية من منظور التنافس وعلاقات القوة والصراع بين اللاعبين الاجتماعيين، وتحلل الشروط الاجتماعية التى تتحكم فى استعداداتهم ومواقعهم ومشاريعهم واستراتيجياتهم، وتمنح "**الوعي الاجتماعي**" الضروري لفهم اللعبة وقواعدها واللاعبين ومشاريعهم والمواجهة واستراتيجياتها والحواجز عند الدخول وكيفية الدخول فى اللعبة دون أوهام.

وفي هذا الكتاب **ابتعدت مرة أخرى بشكل واعي ومقصود عن الأسلوب الأكاديمي** الجاف والبارد والمحايد، واعتمدت أسلوبا شخصيا مبتكرا يجمع بين متطلبات الموضوعية العلمية ومسؤولية المساهمة فى جهود التنوير والتحرير.

عندما نكتب **يجب أن نكتب بهدوء فكري وعمق علمي، لكن عندما يتعلق الأمر بالكتابة عن المستقبل والمصير يجب أن نكتب أيضاً بشغف وبلغة استفزازية إيجابية** مساعدة على تنوير الفهم بحقيقة ما يحدث من تحولات وتغييرات وتحريك مياه الإرادات الراكدة التى تنتظر أن يفعل بها صانعوا المستقبل ولا تستطيع أن تُبادر إلى صناعة مستقبل يليق بها أو ركوب موجاته على الأقل.

اللغة ماكرة، وتحدي مكرها مغامرة عند من يُدرك خطورتها، فهى أخطر النِعم، تتكلمنا أكثر مما نتكلمها، لذلك **نحتاج أن نفكر ونكتب فيها لا أن نفكر ونكتب بها فقط**. وإذا كانت اللغة المُستفِزة التى استخدمتها عن وعي وقصد (مصطلح "النهاية" مثلا) قد أزعجت واستفزت معرفيا وثقافيا فقد أدرك الكتاب مقصده وحققت لغته غايتها؛ لأن **الكتاب ليس بحثاً أكاديمياً**

يُحاسب على تفاصيل الأعراف الأكاديمية، **وإنما هو دليل توجيهي** فى معركة مصيرية هدفه إثارة انتباه صانع القرار والخبير والمختص وحتى الشخص العادي إلى أننا نعيش نهاية دورة تاريخية وأمام تحول جذري وشمولى وسريع بأبعاد متعددة تربوية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.. إننا أمام انفجار عظيم بنهايات متعددة ومتداخلة ومترابطة ومتفاعلة.

هذه بخصوص التوضيحات المتعلقة بدوافع تأليف الكتاب ومجاله وجمهوره وخصوصيته ومنهجه ولغته، أما التوضيحات التى استوجبها تفاعل القراء مع الكتاب فأوضحها كالآتي:

- من أول جملة فى الكتاب قلت بالحرف: "**هذا كتاب في الاستشراف**"، ورغم ذلك كانت أكثر التخوفات والانتقادات محكومة بمنطق الحاضر والمستقبل القريب. **الكتابات في مجال الدراسات المستقبلية والاستشراف تتحدث عما سيحدث بعد 10 أو 15 سنة على الأقل**، والنهايات التي يتحدث عنها الكتاب يُفترض أن نراها ابتداء من أواسط العقد المقبل، وقد نرى بعضها قبل ذلك إذا طرأت حوافز سياسية

أو اقتصادية قوية أو محركات جديدة للتغيير تُسرّع ما هو سريع أصلاً.

- لا يمكن فهم النهايات التى يتحدث عنها الكتاب بدون استحضار مفهوم **الدورة التاريخية**، والتمييز بين نهاية التاريخ ونهاية دورة تاريخية.. **بعض التوقعات تكون مُرعبة للناس بسبب عدم إدراكهم للنسبية التاريخية للمؤسسات التي فتحوا أعينهم عليها وعدم وعيهم باندراجها ضمن حدود دورة تاريخية لا أكثر.**

- الدورة التاريخية هى سلسلة المراحل والأطوار المتتابعة التى تمر بها المجتمعات والمؤسسات والقيم أثناء حركتها فى فترة تاريخية معينة: الانطلاقة والميلاد، ثم النمو والتطور، ثم النضج والاكتمال، ثم التراجع والنهاية، ثم تبدأ دورة جديدة تُعيد فيها نفسها بنفس المراحل لكن بشكل وروح مختلفين. وهكذا نجد **لكل دورة تاريخية روادها وألعابها ومؤسساتها وقيمها**، وعليه عندما نتحدث مثلا عن "نهاية المدرسة"، فالمعنى المقصود هو أن المدرسة بشكلها الحالي والتي ظهرت في القرن

التاسع عشر وشكلت إحدى المؤسسات التي طبعت بخصائصها دورة تاريخية امتدت لقرنين من الزمن، لن تشكل عنصراً أساسياً فى منظومة الدورة المقبلة.

- بعض القراء وجدوا في قضايا الكتاب وتوقعاته نظرة تشاؤمية للمستقبل، واتخذوا مواقع آمنة وراء فهوم دينية تجزيئية مبنية على نصوص لا يصح أن يُفهم الدين من خلالها بمعزل عن سياقها وتكاملها مع نصوص دينية أخرى، كأحاديث التفاؤل ("تفاءلوا بالخير تجدوه" وهو ليس بحديث لكن توجد أحاديث صحيحة تؤكد معناه)، والآية: "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".. **هؤلاء فاتهم التمييز بين التفاؤل والتمذهب للتفاؤل**، وفاتهم النظر لموضوع المستقبل بمنظور شمولى وواقعى ومتوازن يجمع بين تشاؤم العقل وتفاؤل الإرادة والرضا بالقدر.

- وآخرون تمترسوا خلف مبدأ "عِش اللحظة واستمتع بها"، وانتقدوا التوجه نحو التفكير في المستقبل، واعتبروه مُفسداً لمتعة الحاضر، وجعلوا شعارهم "عِش كل لحظة من حياتك وكأنها آخر لحظة". **هؤلاء**

فاتهم التمييز بين مقام العقل ومقام الإرادة؛ التفاؤل والتشاؤم ليسا من أفعال العقل وإنما هما من أفعال الإرادة.. العقل يجمع ويحلل المعلومات المتعلقة باتجاهات المستقبل بكل موضوعية، وقد تكون استنتاجاته متشائمة، أما الإرادة فحكمها التفاؤل دائما مهما بلغ تشاؤم العقل.

- بعض النقاد رأى فى ثنايا الكتاب بعضاً من الإسقاطات الأيديولوجية.. أصبحت الأيديولوجية تهمة في زمن "نهاية الأيديولوجيات"! دعونا قبل توضيح موقفى من هذا التحفظ والنقد نُذَكِّر بمعنى الأيديولوجية. الأيديولوجية منظومة أفكار وراءها مصالح.. **الأيديولوجية مرجعية فكرية تمنحنا مداراً حتى لا نكون جرماً تائهاً في الفضاء، وسلاح فكري في المواجهة حتى لا نكون سذجاً وسفراء نوايا حسنة نصدّق خدعة "نهاية الأيديولوجية" ونواجه في حروب الوعي بدون سلاح فكري**. الذين يمارسون الهيمنة ويسعون لاستدامتها يستخدمون أيديولوجيات للهيمنة، لأن الهيمنة لا تتحقق وتستدام بالهيمنة المادية فقط وإنما بالهيمنة

الرمزية أيضا؛ فحروب الوعي هي امتداد ومكمل للحروب الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية.

- ومن النقد المُوَجه للكتاب وصفى للرأسمالية بـ«الرأسمالية المتغولة المتوحشة» دون تمييز بين "الرأسمالية الجديدة التي نشأت عقب شيوع فلسفة النيوليبرالية والمحكومة بالمشتقات المالية والاقتصاد الرمزي القائم على تداول أصول وهمية، ورأسمالية دولة الرعاية الاجتماعية السائدة فى المنطقة الاسكندنافية". **لن أمل من التأكيد على أن "الرأسمالية العالمية" بطبيعتها متغولة ومتوحشة وأنها مصدر للكثير من الشرور والبؤس والفقر**، وفيما يلي توضيح ذلك وجوابي على هذا النقد:
    - **أولا**، "دولة الرعاية الاجتماعية" هي أحد اختراعات الدورة التاريخية المنتهية، ولا نملك إشارات مطمئنة باستمراريتها، بل إن الكثير من الإشارات الضعيفة والقوية تؤشر على نهايتها (راجع في الفصل السادس "نهاية الدولة الاجتماعية").

- **ثانيا**، "الرأسمالية الاجتماعية" لا تنهي مشكلة التفاوتات الاجتماعية الفاحشة بل تغذيها لأن البرامج الاجتماعية القوية هدفها تقليص حجم الطبقة الدنيا بهدف زيادة الثروة فى الطبقة العليا.

- **ثالثا**، لا يجب أن تنطلى علينا خدعة "الرأسمالية الاجتماعية" لسببين على الأقل: أولا لأن التراكم الفاحش للرأسمال غير ممكن نظرياً وواقعياً بدون بؤس وفقر على الضفة الأخرى، وثانيا لأن الرأسمالية نجحت فى بناء أشكال جديدة للفقر والهيمنة تُخفى حقيقتها المتغولة والمتوحشة (من المفيد قراءة أعمال عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو عن "الأشكال الجديدة للفقر").

- **رابعا**، مفهوم "الرأسمالية الاجتماعية" مفهوم متناقض وحلم مستحيل؛ إذ لا يمكن الجمع بيد واحدة ("**اليد المُتخفّية**" والتعبير من عندي، وهى غير "اليد الخفية" التى يتحدث عنها آدم سميث) بين مطلب احتكار الثروة (رأسمالية

الدولة) ومطلب التوزيع العادل لها (اجتماعية الدولة)، فاليد التى تقوم بمراكمة الثروة هى نفسها المطالبة بالتوزيع العادل لها!

- **خامسا**، أنا لم أتحدث ولا انتقدت "الرأسمالية الوطنية" وإنما انتقدت "الرأسمالية العالمية" التى تراكم الثروة والسلطة على الصعيد العالمى وتأكل الأخضر واليابس ومن ضحاياها الشركات المحلية والوطنية نفسها. إن نقد "الرأسمالية العالمية" مهم ومصيري لأنه يستجيب لمطلب الدفاع عن "الرأسمالية الوطنية" و "الدولة الوطنية".

- ومن النقد المُوَجه للكتاب أيضا المبالغة فى تقدير دور "الرأسمالية العالمية" في التحولات والتغييرات الجارية، ولتوضيح هذه النقطة نحتاج ابتداء إلى الوقوف عند مسألة محركات المستقبل. فى 2013 قام آل غور فى كتابه "**المستقبل.. ستة محركات للتغيير العالمي**" بحصر محركات التغيير التي ستصنع المستقبل فى العقود المقبلة فى ستة محركات هي: ترابط الاقتصاد العالمي، وشبكة الاتصالات

الالكترونية على صعيد الكوكب والأجهزة الذكية، والتوازن الجديد فى القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية فى العالم، والنمو السريع غير المستدام، والثورة فى البيولوجيا والكيمياء الحيوية والجينية وعلوم المواد، وتدهور النظم الايكولوجية للأرض. ولن نحتاج إلى مصادر معلومات خاصة وعبقرية فى تحليلها لنكتشف أن "**المحرّك الأول**" لهذه المحركات الستة نفسها ولغيرها من محركات المستقبل هي "الرأسمالية العالمية".. إنها أم محركات التغيير وأبوها Metadrive .

فى نهاية هذه المقدمة الخاصة بالطبعة الثانية التى خصصتها للتفاعل والرد على الملاحظات والانتقادات البنّاءة الموجهة للكتاب أتقدم بجزيل الشكر وبالغ الامتنان للنقاد والكتاب والقراء الأفاضل على نقدهم وملاحظاتهم وتفاعلهم، وأخص بالذكر الكاتبة والمترجمة والإعلامية العراقية لطفية الدليمى، والكاتب العمانى حيدر بن عبد الرضا اللواتي، والكاتب السوداني عادل عبد العزيز حامد، والكاتب اللبنانى جمال الزعيم المنجد، كما أتقدم بالشكر للمؤسسات التي استضافتني لتقديم

الكتاب ومناقشته ومنها مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية بالمغرب، والجمعية المغربية لتحسين جودة التعليم، والمكتبة الوسائطية بالرباط بالمغرب، ومركز الصفوة للدراسات بتركيا، والمركز المغربى للاقتصاد التشاركي، ومجموعات إقرأ للقراءة الهادفة، واتحاد المدربين الأكاديميين بتركيا.

مقدمة الطبعة الأولى

هذا كتاب في استشراف المستقبل وقراءة آفاقه المحتملة، إذ لم يعد بالإمكان التخطيط للمستقبل بدون استشرافه، فى ظل حاضر مضطرب وعنيف ومستقبل غامض ومُرعب.

يستمد هذا الكتاب ضرورته من الأزمة العالمية الحالية والحاجة إلى فهم ما يجري من تحولات وتغييرات، ويستمد مشروعيته العلمية والفكرية والمنهجية من مرجعيات ومقاربات متعددة ومتكاملة، ومن تحليل الواقع الراهن بمختلف أبعاده للكشف عن حركيته وتحولاته، ومن فكر نسقى مُركّب عابر للتخصصات نُؤمن أنه وحده يستطيع أن يرى الواقع المُركّب على حقيقته ويفهم الأزمات المُركّبة في شموليتها وتعدد أبعادها.

في هذا الكتاب سنقوم بتجميع شتات قصة نهايات متعددة ومتنوعة (والنهايات الواردة فيه هى للتمثيل وليست للحصر)، وتجميع شتات قصة بدايات جديدة أيضاً.. تجميع القِطَع ضروري لتكتمل عندنا الصورة الكلية للنهاية والبداية، ونُدرك التغييرات والتحولات الجارية في الحاضر

والقادمة في المستقبل.. **من يفهم "الموت" و "الحياة" وينجح في رصد "دواب الأرض" الدالة عليهما يُجَنِّب نفسه البقاء في العذاب المهين.**

فى هذا الكتاب وقفة بل وقفات مع ظهور وتمدّد قِيَم ومؤسسات جديدة وثورية تُعلن عن نهاية القيم والمؤسسات التقليدية التى فتحنا أعيننا عليها وألفناها لحد الاعتقاد بأنها قيم ومؤسسات طبيعية وأبدية.

يبحث هذا الكتاب فى خطاب النهايات لفهم وتفسير علاقة الجديد بالقديم، وطوفان التحولات التي يعيشها العالم، وما تتطلبه البدايات الجديدة من **فهم للحياة باعتبارها ظاهرة مُتجدّدة، وللصراع باعتباره قانونا اجتماعيا كونيا.**

ويجب ألا يفهم من نقد المؤسسات والقيم التقليدية أو الحديث عن نهايتها أنه دعوة للتخلى عنها، فنقد المدرسة مثلا والحديث عن نهايتها يجب ألا يفهم منه أن المطلوب من الأسر هو أن تنهض بمسؤولية تعليم أبنائها، فهذا من سابع المستحيلات في ظل الثورة العلمية والانفجار المعرفي وظروف عمل الوالدين.

ومحدودية نتائج تجارب "التعليم المنزلي" دليل على خطورة المغامرة بمستقبل الأبناء بركوب خيارات غير مدروسة وغير مجربة وغير واقعية.

إن هدفنا من إطالة الوقوف عند النهايات (نهاية المدرسة، ونهاية الأسرة، ونهاية الشهادة، ونهاية السوق...) وتحليلها بعمق هو تعزيز الوعى بطبيعة التحولات الكبرى التى تعرفها اللحظة التاريخية التى نمر بها، مع الوعى أيضا بالبدايات والفرص التى تولد منها، لأن كل نهاية هي بداية جديدة. **ومع هذا الوعي المزدوج يفترض أن تتضح الرؤية والمسؤوليات والأدوار الجديدة**.



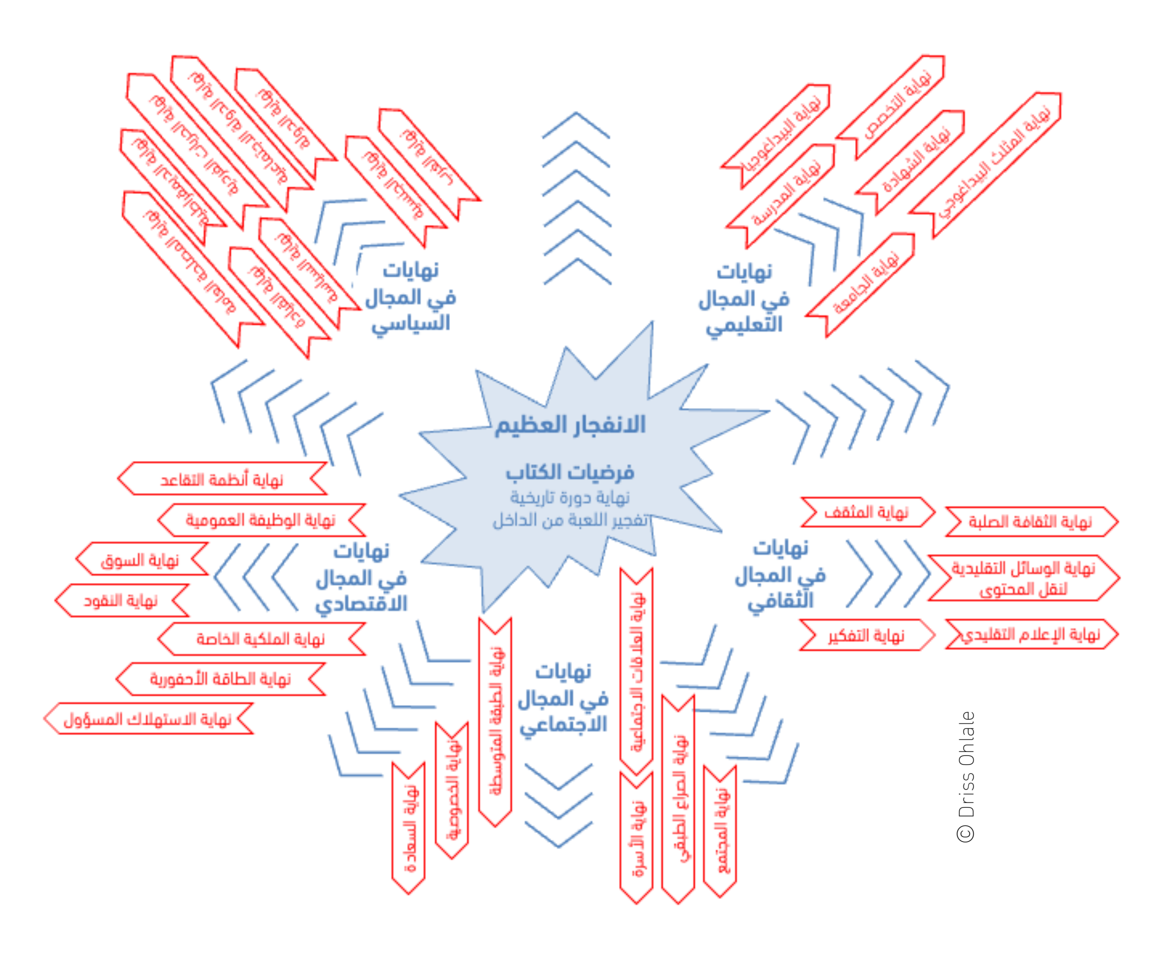
مقدمات

خرائط المستقبل



خريطة الانفجار العظيم

تقوم فكرة هذا الكتاب على فرضيتين أساسيتين: الأولى أننا نعيش نهاية دورة تاريخية، والثانية أن التحول الجاري لا يقوم على تغيير قواعد اللعبة وإنما على تفجيرها من الداخل. وسينتج في العقود المقبلة عن هذا الانفجار العظيم نهايات متعددة في مجالات مختلفة.



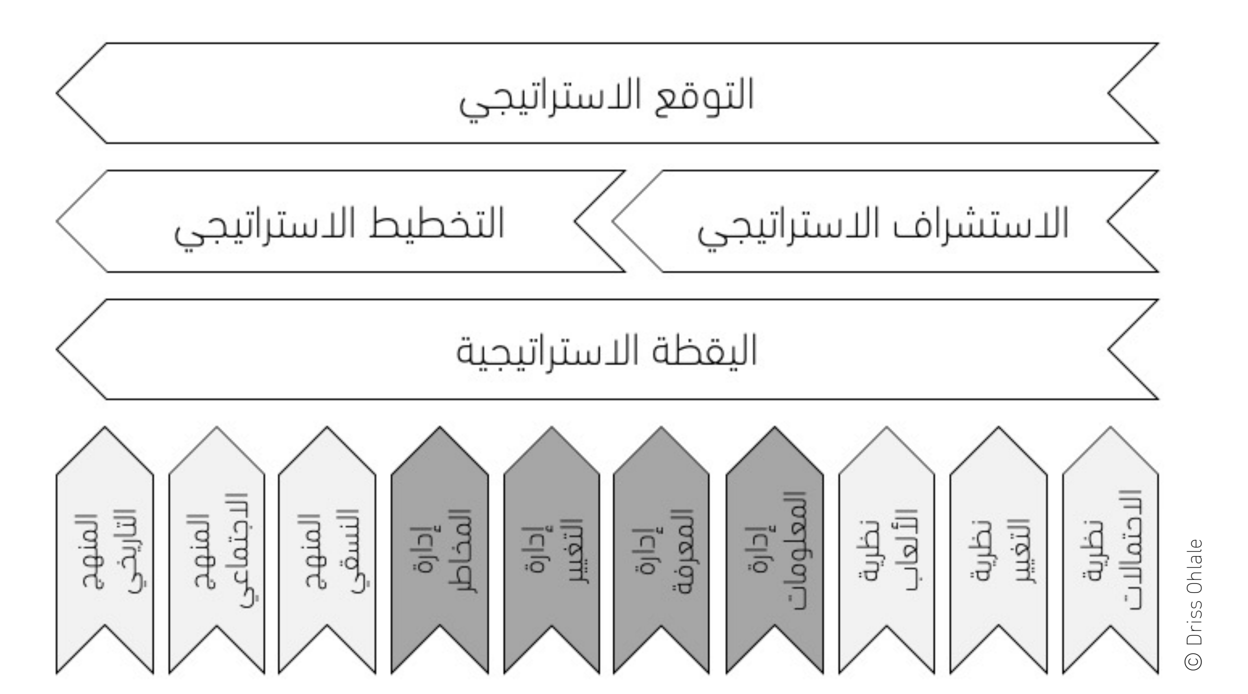
خريطة أنواع المستقبل

المستقبل متعدد، ويتكون من عدة وضعيات مستقبلية يتم إدراكها والانخراط فيها حسب نمط تفكيرنا.

نوع التفكير	نوع المستقبل	تعريفه
تفكير استراتيجي	المستقبل المرغوب	المستقبل الذي نرغب في تحقيقه (الرؤية).
تفكير استشرافي	المستقبلات الممكنة والمحتملة	المستقبلات العقلانية والممكنة بدرجة احتمالية معينة قد تكون عالية أو ضعيفة.
تفكير خطي	المستقبل الرسمي	المستقبل الذي نصل إليه إذا سارت الأمور وفق نمط الأحداث التاريخية ودون مفاجآت.
تفكير أيديولوجي	المستقبل الموعود	المستقبل الذي تبشر به أيديولوجية معينة.
تفكير خيالي واسع	المستقبل الشارد	حدث مستقبلي غير محتمل، لكن إذا وقع يكون له تأثير كبير، ويستحيل توقعه.
تفكير تشغيلي	المستقبل الضائع	رؤية لم تتحقق أو فرصة تاريخية ضائعة.

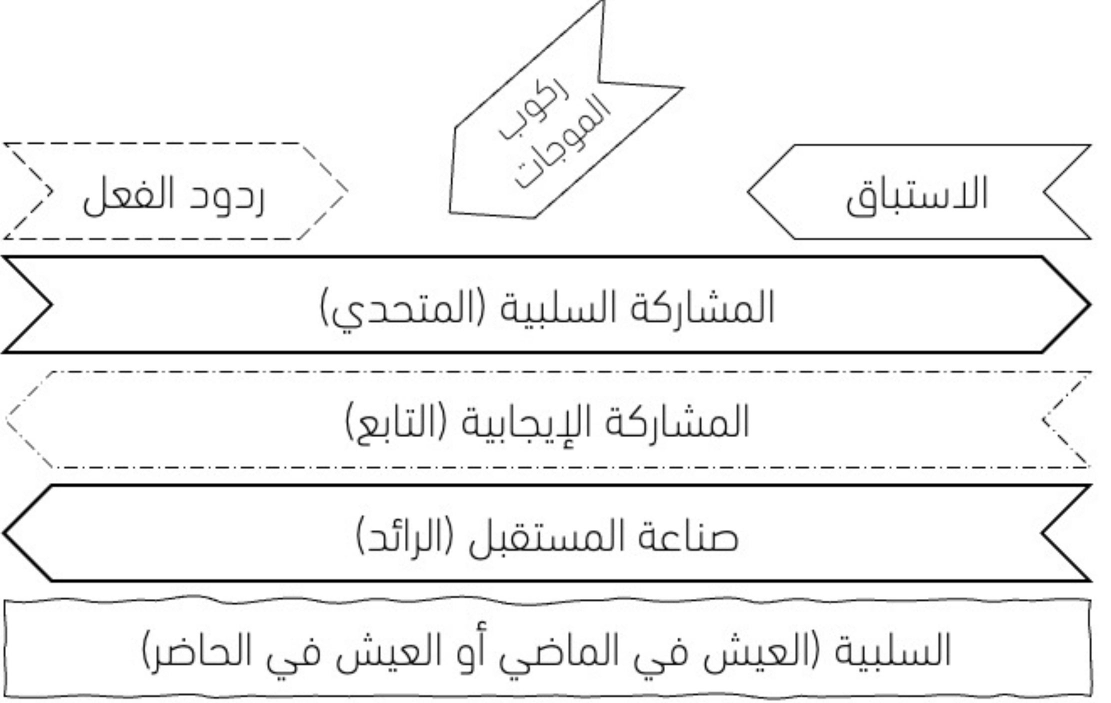
خريطة أشكال العلاقة المعرفية مع المستقبل

أشكال **العلاقة المعرفية** مع المستقبل أربعة: التوقع واليقظة والاستشراف والتخطيط، تدعمها وتغذيها عشرة حقول معرفية بشكل تكاملي.



خريطة أشكال العلاقة العملية مع المستقبل

أشكال **العلاقة العملية** مع المستقبل سبعة: **رائد** يصنع المستقبل ويفرض قواعد اللعب، أو **تابع** يشارك بإيجابية في صناعته، أو **متحدي** للرائد يحاول أن يصنع مستقبلا مختلفا، أو **ركمجي** يركب الموجة ويستقل قطار الآخرين وهو يمشي، أو **استباقي** يبادر بإجراءات وقائية ومشاريع استباقية، أو **مُتكيّف** يتأقلم مع التغيير بردود أفعال سريعة، أو **سلبي** لا أفعال له في المستقبل وإنما يعيش على مجد في الماضي أو متعة في الحاضر.





الفصل الأول

فقه النهايات



الانفجار العظيم

من الخطأ التمسك بمؤسسات اخترعت في القرن التاسع عشر والاعتقاد في أنها مؤسسات طبيعية وُجدت منذ الأزل لتبقى للأبد والرهان على مستقبلنا ومستقبل أبنائنا في القرن الواحد والعشرين من خلالها.. من الخطأ التمسك بالمدرسة التقليدية النمطية الفاشلة والمعززة للفشل فى زمن انفجرت فيه أشكال جديدة للمعرفة ووسائل فعّالة للتعليم والتعلم.. من الخطأ التمسك بتعليم جامعي نظامي حكومي وخاص يمتد لخمس سنوات وأكثر فى زمن تستطيع فيه من مكانك امتلاك أفضل الشهادات والخبرات فى سنة ونصف أو سنتين بمزيج من أفضل الكورسات المتميزة من جامعات عالمية مختلفة موضوعة رهن إشارتك في منصة رقمية بسعر لا يتجاوز 15٪ من تكلفة الاستثمار في تعليم جامعي خصوصى حضوري.. من الخطأ تضييع العمر فى تعليم جامعي فاشل في حين يمكن تعلم معارف ومهارات بحجم أكبر وبشكل أفضل وفى وقت أقصر من منصة رقمية عالمية.. من الخطأ أن نستمر رهائن فى سجن التعليم الحضوري النمطي الذي يفرض عليك المنهاج

والبرنامج والمادة والمدرس والأسلوب والعبد والمعبود والمعبد، فى حين أن الأشكال الجديدة للتعلم تتيح لك خيارات متعددة ومتنوعة دون قيد عتبة انتقاء أو شرط اختبار قبول، وتسمح لك باختيار المادة التى تناسب احتياجاتك باللغة التي تواكب مستقبلك مع المدرس الذي ينسجم مع نمطك وبالأسلوب الذي يحقق الفعّالية والكفاءة والمتعة.

أما بعد، بالأمس (26 يونيو 2020) وقّع الرئيس الامريكي دونالد ترامب أمرًا تنفيذياً يأمر فيه الحكومة الفدرالية بالتوظيف بناء على القدرات والمهارات بدلا عن الشهادات الأكاديمية.. إنه مقطع صغير ينضاف إلى مقاطع أخرى مرت علينا فى المدة الأخيرة تباعا لكن فى شكل علامات ضعيفة قلّ من ينتبه إليها ويحللها بشكل صحيح بربطها بالقصة ككل.. مقطع صغير من سيناريو الانفجار العظيم الذي تخطط له وتطبخه بنجاح الرأسمالية العالمية المتوحشة على نار سريعة وحامية أحيانا وهادئة أحايين.

إن ما يحدث هذه الأيام ليس تغييرا للعبة ولقواعدها وإنما تفجير لها من الداخل.. ما يحدث اليوم

مثلا في قطاع التعليم بالكثير من الدول من شد وجذب وصراع بين بعض المؤسسات التعليمية الخصوصية وأولياء التلاميذ ما هو إلا بداية القصة التى لا تحكى عن نهاية المدرسة العمومية المجانية فقط أو التهديد الذي يطال المدرسة الخصوصية المحلية نفسها، وإنما عن تحول الكثير من المؤسسات والمفاهيم التى اخترعت فى القرن التاسع عشر كالوظيفة العمومية والتوظيف مدى الحياة وأنظمة التقاعد والمصلحة العامة، والقطاع التعليمى الخاص المحلي في هذه القصة مجرد أداة يحرث الأرض ويُعدها لمؤسسات التعليم الخاص العالمى القادمة، وأمامه سنوات أخرى قليلة إضافية ليستفيد قبل أن يطوف عليها طائف الرأسمالية العالمية المتوحشة بجناحيها الواقعي والافتراضي ويأتي على الأخضر واليابس.

إن هذا التحوّل، من القديم الذي يُصَوَّر على أنه فاشل وبطىء ومُكلف إلى الجديد الذي يُقَدَّم على أنه فعّال وسريع ورخيص، إن كُتب لنا إنجازه بنجاح فسنكون فيه مكرهين لا أبطالا، وعبيداً لا سادة، ومفعولا بهم لا فاعلين، لأن الذي يصنع النموذج الجديد ويُرَوِّج له هو

نفسه الذي صنع النموذج القديم وروّج له! لكن القديم استنفد أدواره وحان أوان الجديد.

إن توجه الرأسمالية العالمية المفترسة نحو إعادة اختراع المدرسة والجامعة والوظائف والسوق وغيرها بما يخدم مصالحها لا يفرضه هاجس الافتراس المالي فقط، وإنما أيضاً عجز مؤسسات القرن التاسع عشر والعشرين عن مواكبة تطور الرأسمالية من رأسمالية صناعية إلى رأسمالية معرفية وعن أداء الوظائف الايديولوجية الجديدة التي تحتاج إليها رأسمالية القرن الواحد والعشرين. وستكون المؤسسات الجديدة فى شكلها الجذاب والناعم والرقمى مؤسسات رأسمالية متوحشة مفترسة لتكافؤ الفرص ولحق الأجيال الجديدة فى الانعتاق والحرية، لأنها ستعيد إنتاج عبودية القرن العشرين في أشكال جديدة تلائم احتياجات رأسمالية القرن الواحد والعشرين فى الهيمنة الشمولية.. مع كل مؤسسة رأسمالية عالمية جديدة تشتغل بنموذج أعمال ذكى ومُبتكر وتكنولوجيات القطيعة (بلوكتشين، الذكاء الصناعى، أنترنت الأشياء، المعلوميات الكمية، البيانات الضخمة، التخزين السحابي...) وسند قوي من القرار

السياسي الشبيه بقرار ترامب "التقدمي" (على شاكلة غوغل وميكروسوفت وفيسبوك وأوبر ويوديمى وكورسيرا...) ستتبخر عشرات الآلاف من المشاريع الصغيرة والمتوسطة وسيتشرد عشرات الملايين من العاملين مع أسرهم وستكون الفاتورة الاجتماعية للتنمية الاقتصادية وفق النموذج الرأسمالى المُفترس فى القرن الواحد والعشرين مرة أخرى باهظة وأكثر توحشا مما كانت عليه فى القرن العشرين.. إحدى النتائج المتوقعة لهذه السياسة الرأسمالية المتوحشة هو ظهور طبقة اجتماعية جديدة لا تصلح لأي شىء، وقد بدأت رأسمالية القرن الواحد والعشرين تفكر بجد فى حلول لتحمل نفقة هذا الابن غير الشرعى لسياستها المتوحشة من قبيل "**راتب عجز عالمي**" يحمي من التشرد ويكفي للأكل والنوم وإعادة إنتاج منظومة العبودية العالمية.

إنها تجربة نجاح آخر لذكاء الرأسمالية المفترسة ونَفَسها الطويل فى المواجهة ومَضاء إرادتها العابرة للأجيال وحربها الطبقية الماكرة على المستضعفين، ويستطيع الطيبون مع هذا الانتصار الجديد، ومع كل انتصار للرأسمالية المتوحشة المفترسة، أن يتابعوا

انشغالاتهم البيزنطية أو أن يستنتجوا بمجهود تحليلي بسيط حجم غبائهم فى التخطيط وفشلهم فى المواجهة، وأن يُدركوا أن **تلامذة داروين أكثر نباهة وذكاء وشغفا ومثابرة من مريدي كروبوتكين**!

عصر النهايات الكبرى

لعل من أخطر التعريفات التى يمكن أن نُعرّف بها مصطلح «**عصر النهايات**» هو بلوغ أثر الانفجار العظيم نهايته القصوى، وتوقف تمدد الكون، ثم انطلاقه من جديد في الإطباق علينا.

سيكون هذا النوع من التعريفات خطيرا لأن **ما وصلنا إليه ليس طريقا مسدودا أو نهاية التاريخ بل هو فقط نهاية دورة تاريخية وبداية دورة تاريخية جديدة**، وطريقة وصفنا لما وصلنا إليه ليس "أدبا للإرهاق" وإنما لغة وأسلوب لصناعة الوعى اللازم للمرحلة واليقظة المطلوبة للدخول فى المستقبل بشروط الرائد أو المتحدي لا بشروط التابع المسحوب.

صحيح أن مصطلح «عصر النهايات» هو تعبير واضح عن تشاؤم العقل، لكنه تشائم تحكمه معطيات الواقع وآفاق المستقبل لما تفعله وتخطط له الرأسمالية العالمية المفترسة، لا نزعة تشاؤمية وتمذهب للتفكير السلبي، ومع هذا التشاؤم أو بدونه فإن الإرادة متفائلة

وستبقى دائما متفائلة مهما بلغ تشاؤم العقل عند النظر والتحليل.

هو «عصر النهايات» بسبب انهيار القيم والمؤسسات التى وضعنا فيها ثقتنا فى الماضى مثل الأسرة والمدرسة والجامعة والتخصص والشهادة والوظيفة وأنظمة التقاعد والسوق والسياسة والديمقراطية والمصلحة العامة والقيادة.

مظاهر هذا الانهيار متعددة وعلى المستوى العالمي: **واقع يتفكك ويفتقد بشكل متزايد يوما بعد يوم إلى الصّلابة والنظام واليقين والوضوح ويتحول بشكل متسارع نحو السيولة والفوضى واللايقين والغموض.**

هل سيكون ما بعد الانهيار امتدادا لتداعيات الانهيار نفسه بحيث تطول الأزمة وتمتد بسبب غياب الحلول والبدائل، أم ستنجح حركية التغيير والتحول؟ لاشك أن حركية التغيير ستنجح وبكل تأكيد فى تطوير أو إبداع واختراع نماذج جديدة فعّالة للقيم والمؤسسات التى وضعنا فيها ثقتنا في الماضي، لكن هل ستكون هذه النماذج الجديدة في مصلحة الإنسان والمجتمع

والإنسانية أم في مصلحة الرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة؟ هذا هو السؤال.

نهاية دورة تاريخية

إن الانفجار العظيم لم يكن بالصورة التى يتخيلها الكثيرون: نقطة البداية المطلقة لكلٍّ من الزمان والمكان، أو النهاية المطلقة لكون سابق. الانفجار العظيم هو فقط اللحظة التي تغيّر فيها توجُّه الفضاء.. **إن النهايات والبدايات في حياة المجتمعات ليست نهايات وبدايات مطلقة، وإنما اللحظة التي تتغيّر فيها قيم المجتمع ومؤسساته، لحظة انتقال تاريخي من نهاية قيم ومؤسسات لبداية قيم ومؤسسات جديدة**.. فالتاريخ، كالكون والحياة، دورات، والدورة التاريخية هى التدفق الكامل لأحداث كائن تاريخى فى دورة زمنية كاملة. وتمتد الدورة التاريخية الواحدة فى المتوسط من 100 إلى 300 سنة، وتتخللها غالبا أحداث عنيفة بشكل دوري (كل 50 سنة وفق قانون بيتر تورشين) .ولبداية ونهاية الدورات التاريخية علامات تدل عليها أهمها الأزمات.

لكل كائن تاريخى دورة حياة تبدأ بالميلاد ثم التطور ثم القوة ثم الأزمة ثم الموت أو الميلاد من جديد وبشكل جديد.. إنها دورة الحياة والموت؛ خروج الموت من الحياة، وخروج الحياة من الموت.

رؤية الأشياء من أعالي التاريخ تمنحنا نظرة أوسع وأعمق وأبعد للأحداث ولحركتنا فيها، أما الرؤية الضيقة للأشياء من أسافل الأحداث فمحدودة الأفق، لذلك يحتاج الفاعلون الذين يحملون مشاريع تاريخية إلى اكتشاف الدورات التاريخية لأنها تقدم لهم فهماً أفضل لحركتهم في التاريخ. والفاعل الذي لا يعرف دورات التاريخ محكوم عليه أن يعيش أسيراً ومفعولاً به داخل الزمن السياسي لا حراً وفاعلاً عبر الزمن التاريخي.

ومن الدورات التاريخية التي ينبغي اكتشافها، ما نحن فيه من نهايات ومقبلون عليه من بدايات.. **إننا نعيش عصر النهايات الكبرى بكل تأكيد، لكنها نهاية دورة تاريخية فقط لا نهاية التاريخ، لأن التاريخ لا نهاية له**.. لكن الأيديولوجيات تأبى أن تلعب لعبة الحقيقة، فتصور انتصارا تاريخيا على أنه نهاية التاريخ، وهزيمة تاريخية على أنها نهاية دورة تاريخية فقط.. ذهاء وذكاء!

هل هي مؤامرة عالمية؟

كان الإنسان ولا يزال، يفسر الظواهر باللجوء إلى الخرافة أو الأيديولوجية عندما يعجز عن تفسيرها بشكل علمى، من بين هذه الخرافات والأيديولوجيات: نظرية المؤامرة.

لهذه النظرية مصدران: أوهام الذين فشلوا فى بناء نموذج معرفى متماسك لفهم الواقع وتفسير أحداثه (**خرافة المؤامرة**)، ومكر الذين يستخدمون العنف الرمزي والمعرفة في حروب الوعي لترويض الاستعدادات على الخوف والخضوع والتبعية (**أيديولوجية المؤامرة**). والمصدران يتبادلان الاعتماد؛ لأن العنف الرمزي الذي تمارسه "نظرية المؤامرة" لا يعمل بفعالية إلا بتواطؤ مع استعدادات الذين يعتقدون في صحتها، كالفيروس لا يشتغل ذاتيا وإنما عن طريق حامله؛ فالفيروس "ملف تنفيذي" لا يعمل عند نزوله فى الجسد حتى يقوم صاحب الجسد بتشغيله. أما النتيجة فهى فى الحالتين واحدة: الاستخدام الماكر للعنف الرمزي والمعرفة في الصراع لتدمير أهم وآخر قلاع المواجهة: الوعي والإرادة. وهكذا

يصبح المغلوب رهينة مرتين: للجهل باللعبة وللخوف من اللاعبين الكبار في نفس الوقت.

لسنا بحاجة إلى افتراض وجود "مؤامرات" لفهم اللعبة، لأن العلم وَفَّر لنا من أدوات فهم الألعاب ما يغنينا عن مثل هذه الافتراضات الخاطئة والخطيرة.

الحياة باختصار وفى كلمة واحدة لعبة، واللعبة صراع، وفى كل صراع يوجد لاعبون كبار ومُتَحَدّون وتابعون، ولكل لاعب مشاريعه واستراتيجياته فى المواجهة، واللاعبون الكبار لا يكتفون في العادة بالهيمنة المادية، وإنما يزاوجون بينها وبين الهيمنة الرمزية باستخدام استراتيجيات العنف الرمزي وحروب المعرفة وحروب الوعى فى الصراع لترويض استعدادات باقى الفاعلين في الحقل على المزيد من الخضوع والتبعية. هكذا يهيمن المهيمنون ويخضع الخاضعون.

إن وهم "المؤامرة" ليس سوى افتراض **خاطئ** (لأنه يعبر عن جهل بطبيعة اللعبة) **وخطير** (لأنه يعزز خضوع الخاضعين وهيمنة المهيمنين في الصراع)، هدفه ونتيجته ارتهان العقل والإرادة، ولا ينبغي لنا أن نكون على درجة

عالية جداً من بلادة الفهم فنرفع استراتيجيات عادية ومعلومة فى المواجهة إلى مرتبة مؤامرات. إن أزمتنا لا تكمن فى افتراض وجود مؤامرة وإنما فى العجز عن فهم اللعبة بوعي عميق والدخول في الصراع بإرادة قوية.

هل هي نهاية الرأسمالية العالمية؟

هل هى بداية نهاية الرأسمالية العالمية؟ هل هذا الانفجار العظيم وهذه النهايات الكبرى هى مظاهر لغرق الرأسمالية المُتجبِّرة فى بحر جبروتها كما غرق فرعون ومن معه؟

كلما تحدث متحدث بحديث عن نهاية تَعَلّق خيال المظلومين بنهاية الظالمين! إنها الرغبة عندما تتحول إلى معرفة (من المفيد قراءة أعمال غاستون باشلار عن تحول الرغبة إلى معرفة)!

نعم غَرَق الكثير من الفراعنة ومن معهم، لكن استمر النظام الفرعونى بعدهم.. **المقارنة لا تجوز إلا بين نظام ونظام** كما يقول عالم الاجتماع بيير بورديو، أما أن نقارن بين نظام وشخص، ونستند إلى نهاية شخص أو أشخاص لإقامة الدليل على نهاية نظام، فهذا يُعَبّر عن تبسيط منهجي وسذاجة فكرية.

من يُراهن على انهيار دولة أو مؤسسة أو قيمة أو دين لتنهار الرأسمالية العالمية فهو مُخطِئ وواهم.

الرأسمالية العالمية ليست غبية لكي ترهن مصيرها بمصير دولة أو شركة أو حزب أو إيديولوجية أو دين!

الرأسمالية العالمية لها قدرة عجيبة على تلبس الأجساد الجماعية للأمم والدول والشركات والأحزاب والأديان دون أن ترهن مصيرها بمن تَتلَبسهم !

هل نسير إلى الهاوية؟

يستعرض هذا الكتاب النهايات التى تنتظرنا فى الأفق، وهى فى أغلبها نهايات غير سعيدة ومُرعِبة لأكثر الناس. صحيح أنها نهايات احتمالية، لكنها بنسبة عالية من الاحتمال، **والاحتمالي هو ما يبدو أنه الأفق المستقبلي بناء على المعلومات الموثوقة في الحاضر.**

لقد دخلنا عهد النهايات المُعَمّم في كل المجالات :

- **نهايات في المجال التعليمي**، كنهاية المدرسة ونهاية الجامعة.
- **نهايات في المجال الثقافي والإعلامي،** كنهاية المثقف ونهاية الإعلام التقليدي.
- **نهايات في المجال الاجتماعي**، كنهاية الأسرة ونهاية الطبقة المتوسطة.
- **نهايات في المجال الاقتصادي**، كنهاية السوق ونهاية النقود.
- **نهايات في المجال السياسي**، كنهاية الديمقراطية ونهاية الحريات الفردية.

كما دخلنا عصر نهاية الأساطير الكبرى:

- أسطورة المدرسة.
- أسطورة البيداغوجيا.
- أسطورة الشهادة.
- أسطورة المصلحة العامة.
- أسطورة السعادة...

لقد دخلنا عصراً صارت فيه معظم الحلول مشكلات، ومعظم الحقائق أوهاما، ومعظم المؤسسات التي اخترعتها الرأسمالية الصناعية في القرن التاسع عشر متقادمة وغير صالحة للقرن الواحد والعشرين، **فهل نسير إلى الهاوية، أم هي مجرد نهايات يُخرج الله منها بدايات جديدة؟**

للإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نضع ثلاث فرضيات :

- **فرضية الاستمرارية والتجديد**: يرى هذا التوجه أن خطاب النهايات فيه الكثير من المبالغة، وأن

كل ما في الأمر تغييرات وتحولات طبيعية ومألوفة ومتكررة عبر التاريخ في إطار التجديد.

- **فرضية الفوضى والأزمة والاندثار**: يرى هذا التوجه أننا نعيش فى فوضى عالمية متزايدة، وأننا نمضي صوب الكارثة، وأننا فقدنا القدرة على التكيّف والمقاومة.

- **فرضية النهايات والبدايات**: وهى فرضية ثالثة تعتقد بوجود نهايات حقيقية، وبأن ما يحدث ليس من جنس التغييرات والتحولات الطبيعية المألوفة فى إطار التجديد، ولا حتى تغييراً للعبة ولقواعدها، وإنما تفجير لها من الداخل، لكن دون أن يعنى ذلك أننا نتقدم نحو الكارثة، وإنما يعني أننا نتقدم نحو بدايات جديدة، وبألم المخاض.

نعم.. ما يحدث هو تفجير للعبة من الداخل، وانفجار عظيم، ونهايات متعددة ومتزامنة تُفقد المُجرّب والخبير والمتخصص قبل الإنسان العادي القدرة على المرونة والتكيّف والمواجهة، لكن **التاريخ يُعَلّمنا درسا مهما في**

الثقة: حيثما توجد نهايات توجد بدايات، وحيثما يوجد انفجار عظيم يولد كون جديد، وحيثما توجد مخاطر توجد فرص للإنقاذ والخلاص.. إن الواقع بطابعه المُركّب والمُعَقّد يتقدم من خلال علاقة التضاد والتكامل بين الأزواج المتناقضة.

ما يحدث ليس نهايات مطلقة تقود إلى الكارثة، وإنما نهايات تمثل البنية التحتية لعالم جديد قيد الظهور والتشكل، مع الإقرار بأن غير الاحتمالى يظل دائماً ممكناً، فالتاريخ يتحرك وفق منحى منحرف ويحطم دائما الاحتمالات القائمة.

إننا نمضي صوب النهايات لا صوب الهاوية، وكل ما نحتاج إليه هو التسلح بفقه النهايات، والتقدم نحو المستقبل بثقة عالية ويقظة حادة ووعي عميق وإرادة قوية ومشروع عابر للأجيال.

المُنزعجون من النهايات

إننا نمضى صوب نهايات لا صوب الهاوية، ورغم ذلك تجد الناس أكثر الناس منزعجة من الأزمة ومن أي تحليل لها أو خطاب حولها وخائفة ويتملكها الرعب.

برأي المنزعجين والخائفين والمرعوبين "الوضع الراهن يدعو للصمت والترقب فقط، ولا حاجة لنا بالتحليلات والرؤى. اليوم لا شىء واضح.. لا عدو واضح ولا صديق واضح.. نحن فى فتنة، وبالتالى فحاجتنا الأولى والوحيدة هي الصمت ثم الصمت ثم الصمت. إنه زمن الصمت والهدوء والرجوع للذات ولملاذاتنا الآمنة، ولسنا خائفين من شيء، ولا راغبين في شيء ".

ويزداد الانزعاج والخوف والرعب عندما نستخدم مفهوم "النهايات" كأداة للفهم والتحليل.. إن مفهوم النهاية لوحده مُزعج، فماذا لو كانت نهايات متعددة ومتنوعة !

لفهم مصادر هذا الانزعاج والخوف وأسبابه، يجب الإقرار أولا بأن الواقع مُركّب ومُعقّد ومتعدد الأبعاد وغير يقيني، ويزخر بالإمكانات المتعددة، وبأننا لا ندري ما الذي

سيتمخض عنه بالتدقيق مهما استشرفنا، ولا كيف يمكن لنا أن نختار مستقبلنا مهما امتلكنا من الخبرة والتجربة، ولا لأي جهة أفضل لنا أن ننتمي ومع من نتحالف؟ **كل ما يبدو في الواقع صلباً وراسخاً ويشتغل بشكل جيّد، يمكنه أن يندثر وينهار في أي لحظة!**

هذا الواقع وهذه طبيعته.. هو لوحده يدعو للانزعاج والخوف، أما إذا أضفنا إليه الواقع الحالى بنهاياته المرعبة والأزمة العالمية التى تخترقه، قد نستنتج بأن "الخوف شجاعة" على حد قول المثل.

الخوف من النهايات هو خوف من المستقبل، دافعه الأساس الحاضر العنيف والمستقبل المجهول، فلا يتبقى أمام الخائفين سوى الماضى أو بعضا منه يتمسكون به، باعتباره أقل صخباً وعنفاً من الحاضر والمستقبل. فى مراحل الانتقال يبقى دائما شىء من الماضى يتمسك به الجبناء والأغبياء بشكل مطلق وبدون شروط.

لكل هذه الأسباب تجد أن أفضل طريقة، بالنسبة للكثيرين، لمواجهة الأزمات المُرعبة في الحاضر، والغموض

واللايقين في المستقبل، هو أن تتجاهل وتعيش اللحظة، أو تصمت وتترقب، أو ترجع إلى مواقعك الآمنة.

هذا السلوك والموقف السلبى من النهايات والأزمات لا مبرر له، لأننا نستطيع أن نتجاهل الحاضر لكن لا نستطيع أن نتجاهل المستقبل، ولأن النهايات دليل على وجود بدايات جديدة، فالانفجار العظيم كان إعلانا عن ميلاد الكون من جديد، ولأن لكل تحدٍّ استجابة تناسبه.

عندما تكون اللعبة أكبر منا علينا أن ننخرط في المدى البعيد بالانسحاب من زمن المواجهة والانخراط في زمن الإعداد، وعندما يكون الغموض والعجز هما سمتي المرحلة تصبح حاجتنا الأولى الملحة هي القوة التحليلية والنقدية واستشراف المستقبل وتعبئة الإرادات، ولمرحلة وضوح الرؤية والقدرة على الفعل القوة الاقتراحية والقوة التدبيرية، أما الصمت والهدوء والرجوع للذات ولملاذاتنا الآمنة فسلوك الجبناء والأغبياء !

في فضائل الأزمات

الكثير من الحكمة والتوجيه والتحفيز التى نحتاج إلى تفعيلها فى ظل الأزمة العالمية الحالية قيلت فى السنوات والعقود والقرون الماضية ولن نضيف جديداً مهما قلنا، لكن خصوصية قولها في الظرفية الحالية هي أنها ستقال والناس فى حالة تركيز قصوى واستعداد كلى للإنصات والتعلّم. نحن نعرف أن التعليم الفعال يحتاج إلى ذكاء اقتناص اللحظة المناسبة للتعلم، وأنسب لحظة لتعلم مبدأ أرخميدس وقوانين الديناميكا الحرارية مثلا هي عندما تبدأ السفينة في الغرق!

لقد كان الناس عبر التاريخ، مع كل أزمة تستبطن تهديدا حقيقيا بالموت، يتوقفون عن سباقاتهم المحمومة نحو الأشياء غير الضرورية ويعودون إلى الأساسيات، وهذه أول فضيلة للأزمات التى تُحرّك رغبتنا القوية فى الحياة التى تعيد بدورها ترتيب الأولويات فى حياتنا. إن الرغبة فى الحياة التى لا تعلو عليها أي رغبة أخرى كفيلة بإرجاعنا إلى جادة الصواب وإلى الأساسيات والضروريات، بعبارة أخرى جامعة، كفيلة بإرجاعنا إلى أفضل حصن ضد الموت، فعندما تحل الأزمة وتستيقظ الرغبة

القوية في الحياة وتحتل مكان الصدارة بين كل الرغبات تسترجع الذات فى لحظة صفاء أولوياتها وترجع إلى الأساسيات.

دعونا بعد هذه المقدمة نتساءل **لماذا الأزمة**؟ ونُبرّر "الحاجة إليها"، مادام وعينا الساذج يطلب تبريراً لكل شيء.

- الأزمة صعبة ومُكلفة لكنها مفيدة وضرورية، إنها تؤلم بشدة عند وقوعها، لكن بعد سنوات وعقود تحمل اسم الفرصة عندما يدرك الناس بعد حين فضائلها.

- إن التطور غير ممكن بدون أزمات، إنها لحظة أساسية في دورة حياة كل الكائنات.

- الأزمات رغم أنها مربكة إلا أنها تزيد من الفرص؛ إن التهديدات العظيمة جداً هى نفسها مصدر الفرص العظيمة جداً.

- لا يخاف من الأزمات إلا من يفتقد إلى الثقة بنفسه ويستطيب دفئ معتقداته ومشاعره وعاداته وتجاربه الشخصية.

- الخوف من الأزمة يشل مبادرتك وحركتك؛ فالخائف لا يُبادر ولا يتحرك، ولا شىء أكثر خطرا على الذات من القلق والخوف والرعب.

- عندما لا نتغير بإرادتنا ولهدف ذاتى واضح، نتغير رغما عنا من خلال الأزمات ونحن ننتظر خطأً دوام الحال على ما هو عليه.

- الأزمات قَدَر الحياة وطبيعتها، ولا خيار لنا أمامها إلا أن نواجهها بحزم وذكاء، أو ستهجم علينا ونحن مدبرون عنها وخائفون منها.

إن أكثر الناس يرون فى الأزمات التهديدات والمخاطر فقط، والحقيقة هى أن **في الأزمات فرصاً**؛ الأزمة فرصة ولحظة ضرورية لظهور الأشكال الجديدة للوجود والحياة والوعي. علم الفلك يعلمنا أننا نحتاج إلى انتظار ملايين السنين لنحظى بأزمة/فرصة تغيير فى الكون تُنْتِج أشكالا جديدة للوجود. وعلوم الحياة تعلمنا أننا نحتاج إلى انتظار آلاف السنين لنحظى بأزمة/فرصة تغيير فى الطبيعة تُنْتِج أشكالا جديدة للحياة. ودروس التاريخ تعلمنا أننا نحتاج إلى انتظار مئات السنين لنحظى بأزمة/فرصة

تغيير في حياة الأمم والشعوب تُنْتِج أشكالا جديدة للوعى. إن الأزمات هى العلامات الكبرى الدالة على وجود الحياة.. إنها الفرص التى لا يَجُود الزمن بها إلا مرة واحدة كل مليون سنة أو عشرة آلاف سنة أو مائة سنة.

في لحظات الأزمات لا يشم الخائفون إلا رائحة واحدة فقط هي رائحة الموت بأشكاله المختلفة التي تملأ الأماكن كلها، لكن للأسف يقضي الخوّافون وقتا أطول في التركيز على الموت لدرجة أنهم لا ينتبهون للحياة التي ستولد منه.. تفاءل فإن الأزمة فرصة لكي تُولَد من جديد!

الضوابط المنهجية لخطاب النهايات

لفهم وتفسير ما يموج فى العالم اليوم من تحولات وتغييرات يجب البدء بطرح **أسئلة المنهج**.

إلى أي حد يمكن للمُفكر أو الباحث التوسُّل بخطاب النهايات كمدخل منهجي لفهم وتفسير التحولات والتغييرات التى يعرفها العالم اليوم وغداً؟ أليس فى خطاب النهايات نوع من التسرّع الفكري والبحثي؟

هل السؤال الذي يجب طرحه اليوم هو: هل المؤسسات التقليدية ستستمر أم لا؟ أم هو: هل الحاجة إلى المؤسسات التقليدية ما زالت قائمة أم لا؟

وهل يستطيع الفكر المتخصص الإمساك بالتحولات والتغييرات التى يعرفها العالم، أم نحتاج إلى **الفكر المُركّب** لرؤية **الواقع المُركّب** على حقيقته وفهم الأزمات المُركّبة في شموليتها وترابطها وتعدد أبعادها؟

ليس خطاب النهايات حالة من التَّنْجيم، ولا سِباقًا فى قراءة الغيب، وإنما هو خطاب له أسسه وصرامته ومصداقيته العلمية والفكرية. وهو نوعان :

- **خطاب النهايات العلمي** القائم على مناهج الدراسات المستقبلية والاستشرافية.
- **خطاب النهايات الفلسفي** القائم على مناهج التفكير الفلسفى وهى فى مجملها مناهج تأملية.

خطاب النهايات الفلسفى، على أهميته، لا يهمنا هنا فى سياق فهم وتحليل الأزمة العالمية الحالية وتأثيراتها على ظروف الناس ومعيشهم اليومى والمستقبل الذي ينتظرهم، ولا فائدة كبيرة تُرجى منه عندما يتعلق الأمر بالحاجة إلى فهم تأثيرات انفجار عظيم وأزمة كبرى على الحياة اليومية والمعيش اليومى والقرارات اليومية للناس، وعلى ثقتهم بمؤسسات وقيم فتحوا أعينهم عليها ووضعوا ثقتهم فيها وراهنوا عليها لبناء مستقبلهم ومستقبل أبنائهم.

خطاب النهايات الفلسفى يتحدث عن نهايات مجردة (نهاية العلم، نهاية الفلسفة، نهاية التاريخ، نهاية الانسان، نهاية الدولة...) من مواقع فكرية مجردة وبمنهج تأملي مجرد ولهدف تصفية حسابات فكرية أو خدمة مصالح

فئوية، أما خطاب النهايات العلمي فيستشرف مستقبل مؤسسات وقيم تمثل جزءًا من واقع الناس ومعيشهم اليومى كالمدرسة والوظيفة والنقود والحريات الفردية، ويستهدف مساعدة الأفراد والمنظمات والحكومات على رؤية المستقبل بشكل أفضل، واتخاذ أفضل القرارات لبنائه، ومعرفة أفضل الجهات والمؤسسات والقيم التى يجب أن ننتمي إليها ونتحالف معها في المرحلة المقبلة.

لكن رغم أهمية خطاب النهايات بصيغته العلمية، فإن استخدامه كأداة للفهم والتحليل لا يخلو من مخاطر، لذلك وجب أن نضع له ضوابط منهجية تجنباً لأي أخطاء في فهمه وتشوهات في استخدامه.

فيما يلى **الضوابط المنهجية** الأساسية لخطاب النهايات :

1. إن مفهوم النهاية لوحده مُزعج، فماذا لو كانت نهايات متعددة ومتنوعة، ولذلك قد تبدو النهايات التى نتحدث عنها أنها نهايات بالجملة بسبب كثرتها وتعدد مجالاتها، لكن يكفي أن نستحضر الطابع المُركّب للواقع

والمنطق التلازمي لأبعاده والحاجة إلى فكر مُركّب لاكتشافه، حتى نفهم أن **التعدد والتنوع في النهايات ما هو إلا تعبير عن تعدد وتنوع وترابط أبعاد الواقع ومجالاته المختلفة.**

2. الحديث عن نهايات متعددة ومتنوعة لا يجب أن يُنظر إليه على أنه نهايات بالجملة وتضخم مفهومي ناتج عن الارتهان لإغراءات مفهوم النهايات، وإنما هو تعبير عن فكر مُركّب يكشف عن التداعيات المتعددة والمتنوعة للأزمة العالمية الحالية والتحولات الجذرية والشمولية والسريعة التى يعرفها العالم. **الفكر المُركّب وحده يستطيع أن يرى الواقع المُركّب على حقيقته ويفهم الأزمات في شموليتها وتعدد أبعادها، أما الفكر المتخصص فعاجز عن الإمساك بالظواهر المُركّبة وعن مجابهتها لوحده.**

3. يمنع الطابع المُركّب للواقع والمنطق التلازمي لأبعاده أن نتحدث عن نهاية واحدة

أو بضعة نهايات.. **عندما يقع انفجار عظيم فانتظر نهايات متعددة**. لكن النظرة التخصصية الاختزالية التى تقوم بتقطيع أوصال الواقع بين مختلف تخصصاتها تمنع من رؤية شمولية التحول والتغيير الذي يحدث وتعدد أبعاده ومجالاته. وخطورة هذا الأرخبيل من المنظورات المتخصصة لا تكمن فى العجز عن فهم الأزمة وتعدد أبعادها وامتداداتها فقط، وإنما في العجز عن حلّها أيضاً، لأن **الأزمات المُركّبة تحتاج إلى حلول مُركّبة لا إلى حلول تنطلق من مقاربات تخصصية ضيقة**.

4. إن الاستخدام المُفرط الذي قد يلاحظه القارئ لمصطلح النهايات فى العناوين مقصود، لكن لأهداف تواصلية ومنهجية لا أكثر، ولا ينبغى أن يُحمل على معنى النهاية المطلقة للقديم والغياب المطلق لأي بداية جديدة، كما لا ينبغى أن يُفهم منه أننا نُؤسس "لأدب الإرهاق"، بل هي لغة وأسلوب لصناعة

الوعي اللازم للمرحلة واليقظة المطلوبة للدخول في المستقبل. **العناوين تحتمل دائما كل شيء، خاصة عندما تستخدم لأهداف التشويق والإثارة الايجابية، لكن المضمون وحده يمنح العنوان نسبيته.**

5. لا يجوز أن ننظر إلى النهايات المختلفة بشكل منفصل عن بعضها البعض، وبانفصال عن السياق العام المشترك الذي أنتجها.. **إننا أمام تحول جذري وشمولي وسريع بأبعاد متعددة تربوية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.. انفجار عظيم واحد بنهايات متعددة ومتداخلة ومترابطة ومتفاعلة.**

6. النهاية لا تقع في لحظة، وإنما هي نتيجة عملية وسيرورة ممتدة في الزمن، يتداخل فيها الجديد مع القديم، والحياة مع الموت، والبداية مع النهاية، والتقدّم مع التقهقر، والثورة مع الأزمة، والسيّئ مع الجيّد، والنظام مع الفوضى، حتى أننا لا نعرف أين تنتهي النهاية وتبدأ البداية، وما ذلك إلا لأن أشكال

العلاقة بين القديم والجديد متعددة، منها غزو الجديد للقديم، ونفي الجديد للقديم، وتعايش الجديد والقديم لفترة انتقالية أو بشكل مستمر. وهذا التلازم والتداخل بين هذه الأزواج المتناقضة هو خاصية بشرية، وبالتالى فهو يتجلّى فى مجمل الظواهر البشرية.

7. ثورات **تكنولوجيات القطيعة** (أنترنت الأشياء التي ستمثل الشعور الجديد للبشرية، والبلوكتشين الذي سيمثل الذاكرة الجديدة للبشرية، والذكاء الاصطناعى الذي سيمثل التفكير الجديد للبشرية، والأمن السيبرانى الذي سيمثل الحماية الجديدة للبشرية...) عززت نهاية الفوارق والحدود (مثلا نهاية الحدود بين التخصصات العلمية، نهاية الحدود بين الاتصال والإعلام، نهاية الفوارق بين الطبقات الاجتماعية)، وهذا **سيعجّل بنهاية الكثير من المؤسسات والقيم التقليدية دفعة واحدة**، مما سيحدث ارتباكا لدى الأفراد

والأسر والمنظمات والحكومات في قدرتها على فهم ومواجهة "**أبواب كل شيء**" المفتوحة دفعة واحدة.

8. **النهايات مرتبطة بحاجات الناس المتجددة، فكلما استجدت حاجات استجدت نهايات،** وكلما تضخّمت الحاجات وتعددت وتعقدّت تضخّمت بالتبعية ظواهر النهايات، وهذا المبدأ يفسر لنا جانبا آخر من هذا التضخم الذي أصبحنا نلاحظه في النهايات والبدايات.

9. كلمة "**بداية**" في الغالب مُبهجة ومليئة بالاحتمالات المتعددة والفُرص الواعدة، لكن كلمة "**نهاية**" تثير الازعاج والخوف والرعب وغالبا ننظر إليها بعين متوجّسة. لذلك تجد الناس أكثر الناس تحب أن تسمع كلمة "بداية" بدل كلمة "نهاية" عندما يتعلق الأمر بالاختيار بينهما، مع أنهما وجهان لعُملة واحدة، والإعلان عن أي نهاية هو في حد ذاته إعلان عن بداية جديدة، ورغم أن "النهاية" ليست بالضرورة خسارة، فبعض النهايات ضرورية

وتحفيزية، بل تُعلن بصوت عال انتهاء مرحلة قديمة وبداية مرحلة جديدة تحمل الأمل فى أن تكون مرحلة جيّدة. إن لفظة "نهاية" يجب أن تُحمل دائما على معنى "بداية جديدة".. **قُم برصد النهايات وافهمها، واستشرف البدايات الممكنة والمحتملة الجديدة واستعد لها.**

10. إن خطاب النهايات ضروري لفهم وتفسير ما يموج من تحولات وتغييرات فى العالم اليوم، لكنه غير كاف لفهم وتفسير الجديد الذي سيحل محلَّ القديم المنتهى. سنحتاج مع خطاب النهايات وبعده إلى خطاب آخر حول البدايات واحتمالاتها وتحدياتها، لذلك قررت مباشرة بعد الانتهاء من هذا الكتاب الاشتغال على جزئه الثانى للحديث عن "**ما بعد الانفجار العظيم.. وتحدي البدايات**".. سنحتاج إلى معرفة تحديات ما بعد الانفجار العظيم، وتطوير مهارات إبداع المستقبل وابتكاره واختراعه أو ركوب موجاته على الأقل.



الفصل الثاني

نهايات في المجال التعليمي



نهاية المثلث البيداغوجي

تقوم فلسفة المنظومات التعليمية التقليدية على أساس نموذج ثلاثى الأبعاد (**مثلث هوساي**): **المعلم والمتعلم والمادة التعليمية**، مع أدوار تقليدية لكل مكون، وهندسة للعملية التعليمية قائمة على العلاقات والتفاعلات بين هذه المكونات الثلاثة.

على المدى البعيد يُتوقع أن تمس عشرة تحولات جوهرية على الأقل هذا النموذج التقليدي، وهي:

1. إعادة تعريف **المثلث البيداغوجي**: المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، الذي سيأخذ شكلا جديداً ومحتوى مختلفا، ومن المتوقع أن يصبح لمدارس الحياة المتعددة والأسرة والتقنية مكاناً أوسع ضمن هذا المثلث البيداغوجى.. وقد يأخذ شكلا هندسيا آخر غير شكل المثلث.

2. **المُعَلِّم** هو القوة المحركة للمنظومة التعليمية التقليدية، فهو المُحفز والمُعلم والمُوجه والمُلهم والوسيط، لكن دوره

سيتراجع وسيحتل التعليم الالكتروني والتعلّم الذاتى والأنشطة الموجهة وأشكال المصاحبة اللاصفية المختلفة ومدارس الحياة المتعددة مكانة المعلم التقليدية، وسيكون من الضروري في ظل هذه التحولات إعادة تعريف ما سيتبقى للمعلم من أدوار.

3. إعادة تعريف نماذج وأدوار **المتعلمين**، بحيث سيتراجع نموذج المتعلم الاعتمادي وسيزداد نموذج المتعلم المستقل، وسيصبح التعلم الذاتى والتعلم التعاونى فى مجموعات أهم من التعليم الذي سيتراجه حجمه ودوره.

4. تغيّر المفهوم والدور التقليدي **للمنهاج التعليمي** والنماذج المرجعية لهندسة المناهج والبرامج. سيتراجع إغراء التدريس بالكفايات بعد تجاربه الفاشلة فى الكثير من الدول، وسيكون من الضروري التفكير فى بدائل له من قبيل الهندسة المتمركزة حول مفهوم **الاستعدادات بدل الكفايات**. وسيطرح التحول من التعليم الحضوري إلى تعليم هجين أو عن

بعد تحديات جديدة تُغيّر الكثير من مفاهيم وقواعد وأدوات هندسة المناهج والبرامج التعليمية.

5. تغيّر المفهوم التقليدي للغرف الصفية **وللتواصل البيداغوجي** داخل هذه الغرف من حيث أركانه وشروط فعّاليته. سيتوسع استخدام تقنية الواقع المُعَزَّز والغرف الافتراضية، وستطرح تحديات من نوع جديد على التواصل البيداغوجي ستغير من أركانه ووظائفه بسبب الاستخدام المتزايد للتقنية.

6. اتساع دور **التعلم الذاتي** وزيادة الرهان عليه بشكل متزايد على حساب التعليم النظامى. لقد احتل هاجس مراقبة وتقييم الأداء مكانة كبيرة فى المنظومة التقليدية وكان ذلك على حساب التعلم الذاتي.

7. إعادة تعريف شكل ودور **الإدارة والقيادة المدرسية**. سيتسع مفهوم القيادة المدرسية

المتمركزة حول التعلم، وستزداد أهمية التعلم المؤسسي والمدرسة المتعلمة.

8. إعادة تعريف **الدور التعليمي للأسرة**، وسيكون التعليم المنزلى أحد موجات تعليم المستقبل، بالإضافة إلى الصعود الملفت للبيداغوجيات العائلية: تعليم يستجيب لاختيارات الأسر وهويتها الاجتماعية والأيديولوجية.

9. سيكتسب مدخل التعلم القائم على **مدارس الحياة المتعددة** مواقع متقدمة على حساب مدخل التعلم القائم على المناهج التعليمية النظامية.

10. إعادة تعريف **منظومة القيم** التى تتبناها وتنشرها المدرسة والمنظومة التعليمية التقليدية مثل سلطة المُعَلِّم وسلطة الإدارة المدرسية، وسيتم هذا التحول عبر مرحلة انتقالية حرجة من الصراع الحاد بين قيم المدرسة التقليدية والقيم الجديدة التي تصنعها موجات التحولات العالمية الكبرى.

عندما ينفجر هذا المثلث البيداغوجي من كل جانب بفعل التحولات العالمية الشمولية والجذرية والسريعة سيتوجب علينا إعادة تعريف كل ما يتعلق بأركان المنظومة التعليمية من معلم ومتعلم ومنهاج تعليمي.

إن ما تمنحه المدرسة النظامية التقليدية على علاته ما زال مهما لمن يتقن استثماره بذكاء، لكنه خطير على من لا يفهم اللعبة. وعندما يفشل الوالدان فى رؤية ما هو أهم من المعلم والمنهاج التعليمى وأوسع آفاقا منهما، ويعجزان عن توفير تعليم تكميلي للتعليم المدرسى النظامى، وبدائل لمستقبل أبنائهم فى حال فشل خيار الرهان على المدرسة، يصبح فى هذه الحالة النجاح المدرسى وحده، أو ضعف التحصيل الدراسى لدى الأبناء مشكلة كبيرة بل كارثة تحل بالأسرة.

من المؤسف جداً أن يرتاد الأطفال المدرسة النظامية فقط، وسعوا الأفق حتى لا يضيق المستقبل بأبنائكم!

نهاية المدرسة

عبر تاريخ الإنسان تعاقبت ثلاث موجات حضارية، حضارة الاقتصاد الزراعى وحضارة الاقتصاد الصناعى وحضارة اقتصاد المعرفة، وكان لكل موجة حضارية تأثيراتها الخاصة على المؤسسات الاجتماعية الأساسية: الأسرة والمدرسة والسوق.

على مستوى التعليم، أنتجت موجة الاقتصاد الزراعى **مدرسة المجتمع** التى كانت مدرسة عضوية نشأت في أحضان المجتمع ونمت وتطورت في كنفه وتحت رعايته وبدعم منه وكانت فى نفس الوقت فى خدمته، إلى أن جاءت الدولة القومية الحديثة التى كانت بحاجة إلى ترسيم حدودها وهويتها وتنميط الثقافات الجهوية فى ثقافة قومية واحدة فأنشأت **مدرسة الدولة**. وتزامنت هذه الحاجة عند الدولة القومية الصاعدة مع حاجة الرأسمالية الصناعية الصاعدة أيضا إلى يد عاملة مؤهلة تأهيلا نمطيا يستجيب للتنميط الموجود فى المصانع. وهكذا أنتجت الموجة المزدوجة للدولة القومية والاقتصاد الصناعى تنميطا مزدوجا يستجيب لحاجاتهما لا لحاجات الطفولة أو حاجات المجتمع. واليوم ومع الموجة

الجديدة والتحول من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد المعرفة لم يعد لمدرسة الدولة والمصنع مكان إذ ستختفي أو سيتم إعادة اختراعها في شكل جديد.

نعم لم يعد لها مكان وستختفى أو يُعاد اختراعها لأن المعرفة والمهارة تغيّرت كماً ونوعاً مع الثورات العلمية والتقنية والتواصلية، ولأن حجم المعرفة الانسانية ونوعها والأشكال المتعددة المتاحة بها والقنوات السهلة والسريعة للوصول إليها تغيرت وبشكل جذري وشمولى دون أن يتغيّر من فلسفة المدرسة ومناهجها وتنظيمها وشكلها ومضمونها شيء!

والمدرسة لم تبق على حالها فقط، بل تقاوم التغيير والتحول، وهى بمقاومتها هذه تحرم الأطفال من الدخول الفاعل في المستقبل، ومن الاستفادة الفعّالة والسريعة من مكتسبات الثورات العلمية والتقنية والتواصلية.

المدرسة بالنظر لشكلها الحالى وبسبب مقاومتها الغبية والجبانة للتغيير وبحكم التطور الهائل والنوعى والسريع في الوسائل والأشكال الجديدة والفعالة لنقل المعرفة والخبرة والذكاء، ستموت بكل تأكيد، والسؤال

الوحيد المطروح هو فقط حول الكيفية التي ستموت بها، وحجم الضحايا التى سيخلف موتها من بين أولئك الذين عجزوا عن إدراك التحول الحاصل وركوب موجاته.

المدرسة فى شكلها الحالى تعانى أصلا ومنذ اختراعها في القرن التاسع عشر من العديد من الأعطاب والمشاكل البنيوية، والآن مع الأزمة العالمية الحالية والتحولات الكبرى المصاحبة لها زاد طينها بلة وأصبحت تواجه مشاكل جديدة ومخاطر غير مسبوقة تلزمها بتغيير العديد من مفاهيمها ومبادئها وقيمها ونماذجها وممارساتها التقليدية.

قبل سنوات كتبنا وكررنا أكثر من مرة وبأكثر من صيغة أن "**المدرسة في شكلها الحالي هي أسوأ اختراع في تاريخ البشرية**". لم يدرك الكثيرون معنى ذلك، بل عارض البعض ذلك.. لم يدرك الكثيرون أن المدرسة فى شكلها الحالى لا تخدم مستقبل أبنائنا وإنما تخدم فقط مصالح أولئك الذين اخترعوها، وأنهم لن يترددوا فى إعادة اختراعها بشكل جديد يضمن استدامة مصالحهم عندما تستنفد وظيفتها الحالية، وأنه **من الغباء أن نفكر في مستقبل أبنائنا في القرن 21 بحلول من القرن 19**!

أحيانا يحتاج الوعي ليدرك حقيقة ما إلى اللحظة المناسبة للتعلم، وأنسب لحظة لشرح مبدأ أرخميدس وقوانين الديناميكا الحرارية هى عندما تبدأ السفينة فى الغرق. صحيح أنه بإمكاننا دائما أن نتعلم، وأوان التعلم لا يفوت أبداً، لكن التعلم أحيانا يكون سابقا لأوانه. فإذا أدركت أن وقت التعلم لم يحن بعد، فلا تضيع وقتك ووقت الآخرين فى دروس سابقة لأوانها. كل شىء بأجل.. خاصة التعلم!

لكن أعتقد أن من التعلم الذي حان أوانه الاقتناع بأن التعليم النظامى بضاعة فاسدة، وأن **النوعية الوحيدة الجيدة اليوم هو التعلّم المهرَّب في مدارس الحياة المتعددة والمصاحبة الفعّالة والتعلّم الذاتي**.

المدرسة النظامية بشكلها الحالي بضاعة فاسدة، سواء كانت حكومية أو خاصة، لأنها المكان الذي يتم فيه تجميع الأطفال يومياً، ويكون الحضور إجبارياً، ليتم إخضاعهم لمناهج مُوَحّدة، وبرامج مُوَحّدة، وكتاب مدرسي مُوَحّد، ونموذج صف مدرسي مُوَحَّد، وتنظيم فضاء مُوَحّد، وإيقاعات زمنية مُوَحّدة، ونظام داخلى مُوَحّد، وميثاق قسم مُوَحّد، ونظام تقييم مُوَحّد،

واختبارات مُوَحّدة. وفي هذا المكان نُجْبِر الأطفال على تعلم كيفية التعامل مع قضايا مألوفة ومجردة ومجزأة وأحادية البعد وبسيطة لمواجهة قضايا غير مألوفة ومرتبطة بسياق وشمولية ومتعددة الأبعاد ومركبة.. وهكذا تسرق المدرسة من عمرهم ثلثه لتعلمهم كيف يتعاملون مع قضايا لن يصادفوها فى الحياة إلا نادراً. إنها فعلا أسوأ اختراع فى تاريخ البشرية، اختُرعت لترويض الجسد على العبودية، وسفراء النوايا الحسنة يحاولون تطويرها لتُعد للحياة والحرية.. متفائلون!

ليت شعري كيف أقنع ذكاء الدولة الماكر الجميع أن الأطفال شعوب جاهلة ومتوحشة تحتاج إلى غزو جيش من المعلمين الراشدين المُرشدين الذين يحملون رسالة تعليم الأطفال الحضارة.. كيف تلاعب هذا الذكاء الماكر بالعقول والإرادات وأقنعها برسالة السادة الفاهمين لقوانين العالم وطريقة اشتغاله فى تعليم القادمين الجدد حقيقة العالم وقوانين اشتغاله. لكن الحقيقة هى أن الراشدين لا هم يفهمون بشكل جيد القوانين الجديدة للعالم، و لا هم مدركون للحاجات المستجدة لأطفالهم. **كيف يمكن لمعلم لا تجربة له في الحياة إلا التعليم ثم**

التعليم ثم التعليم أن يُعَلِّم شيئا مفيدا للحياة غير إعادة إنتاج منظومة التعليم!؟ إن الحقيقة المرة التى يرفض المعلمون والراشدون اليوم مواجهتها هى أن المعلمين والراشدين هم من يحتاج إلى تعلم القوانين الجديدة للعالم والطرق الجديدة لاشتغاله. وهذا الكلام لا ينبغي أن يفهم منه أن الأطفال لم يعودوا بحاجة إلى الذهاب إلى المدرسة للتعلم، وإنما معناه أن المدرسة بحاجة إلى أن يعاد اختراع مناهجها وبرامجها وطرق تنظيمها لتنجح في فهم ما يحدث من تغييرات كبيرة ونوعية في العالم من حولها، وأن يُعاد اختراعها تحت اليقظة التامة والعامة للأسر الحازمة والمجتمع الحى حتى تكون حقا وحقيقة فى خدمة الطفولة والمجتمع لا فى خدمة الرأسمالية المعرفية الصاعدة وحاجاتها المستجدة. فهل ينجح ذلك؟ أم سيعيد التاريخ نفسه فيُعيد الماكرون استخدام نفس الاستراتيجيات السابقة الذكية التى ثَبَتَت فعاليتها، ويُعيد الطيبون استخدام نفس الاستراتيجيات السابقة الغبية التي ثَبَتَ فشلها!؟

نهاية البيداغوجيا

المفهوم أولا.. البيداغوجيا هى فن وعلم هندسة التربية والتعليم، أو هى مجموع القواعد والطرق والممارسات الضرورية لهندسة وتوصيل المعارف والمهارات والقيم بشكل عام ودون تخصيص (عندما يتعلق الأمر بتوصيل المعارف والمهارات والقيم الخاصة بحقل معرفى معين نتحدث عن الديداكتيك أو منهجية تدريس مادة معينة). هذه هي البيداغوجيا، فما قيمتها؟

إذا كانت المدرسة هي أسوأ اختراع في تاريخ البشرية، فإن البيداغوجيا هى أكبر كذبة فى تاريخ التربية والتعليم، وسباق البيداغوجيات ما هو إلا سباق أغبياء يتنافسون حول أفضل الطرق والتقنيات لتحنيط المعرفة الحيّة المكتسبة من التجربة الحيّة أو المصاحبة الفعّالة أو التعلم الذاتى، وعندما ندخل فى سباق للأغبياء فإننا نبقى أغبياء حتى عندما نفوز بالسباق.. هذه هى مشكلة البيداغوجيا الأساسية أما باقي مشاكلها فمسائل ثانوية.

هي بيداغوجيات لا بيداغوجية واحدة؛ مزيج مريج من البيداغوجيات المتصارعة على المشروعية والريادة؛

بعضها يؤدي وظائف إيديولوجية لحساب الدولة، وبعضها يعكس طموحات وانتظارات الأسر، والبعض الآخر يحاول أن يعبر عن حاجات الأطفال والتلاميذ. فى القائمة نقرأ مثلا: بيداغوجيا المحتوى، وبيداغوجيا الأهداف، وبيداغوجيا الكفايات، والتعلم النشط، والتربية الإيجابية، والتربية الأصيلة، والتعليم المنزلي ...

هذا حظ التعريف الأكاديمى للبيداغوجيات ولرهاناتها النظرية والتطبيقية، لكن مفهوم البيداغوجيا ونطاق استخدامها الفعلي أوسع من ذلك بكثير، فأخطر البيداغوجيات هى التى لا تصرح بهويتها وتشتغل بشكل خفى وواقعى بعيدا عن مهنة تحنيط المعارف الحيّة بالأهداف أو بالكفايات!

توجد أربع بيداغوجيات غير أكاديمية على الأقل :

- **بيداغوجيا الدولة** التى تختفى وراء البيداغوجيات الأكاديمية لمضاعفة مفعول العبودية مادام الإخفاء هو أحد مبادئ الفعالية، وتستخدم أيضا تكتيك الإصلاح والتجديد البيداغوجي المستمر لأن الحاجة إلى الإخفاء المستمر يفرض التجديد المستمر.. **ذكاء ماكر**.

- **البيداغوجيا الشعبوية** المنشغلة بالبحث عن طرق وممارسات تحقيق تربية موحدة فى إطار مبدأ تكافؤ الفرص والهوية الوطنية أو القومية.. **مثالية حالمة**.

- **بيداغوجيا الأسر** التى عرفت نموا وتوسعا مطرداً بتنامي وعي الأسر ومطالباتها بتربية اجتماعية أو إيديولوجية ملائمة لهويتها وقيمها وخصوصياتها وتطلعاتها.. وبلغ هذا الوعى مداه مع التعليم المنزلى الذي يجهل أو يتجاهل أن الطفل لا يحتاج إلى التعلم من الراشد فقط وإنما إلى التعلم مع أمثاله من الأطفال ومنهم أيضاً.. **وعي شقي**.

- **بيداغوجيا الرأسمالية الوطنية** المستثمرة فى التعليم الخصوصى والمنشغلة بتعظيم أرباحها من خلال الانخراط في نماذج بيداغوجية دولية (الباكالوريا الدولية مثلا) يتم استثمارها لأهداف تسويقية، أو اعتماد بيداغوجيا ترويض الأسود المُروّضة القائمة على لعبة انتقاء أفضل التلاميذ وأفضل الأساتذة.. تبحث هذه البيداغوجيا في بداية كل سنة عن أسود مُرَوّضة وتستقطبها، وفي نهاية السنة تُعلن أنها رَوَّضت كل

الأسود المُرَوَّضة بنسبة 100%، وبذلك تخلق فرصتها لكي تتألّق.. **دهاء سوقي**.

الحصيلة: انتهت البيداغوجيات بمفهومها الأكاديمى المحنط الذي يقتل المعرفة التجريبية الحية بتحويلها إلى معرفة ميّتة ومُميتة باستخدام تقنيات التحنيط بالمحتوى أو التحنيط بالأهداف أو التحنيط بالكفايات أو التحنيط بتقنيات التعلم النشط، وقريبا ستنتهى أيضا البيداغوجيات بمفهومها الواقعى التى تناضل من أجل مصالح سياسية (بيداغوجية الدولة) أو شعارات شعبوية (بيداغوجية التربية الموحدة فى إطار مبدأ تكافؤ الفرص والهوية الوطنية) أو مطالبات اجتماعية وإيديولوجية (بيداغوجية الأسر) أو مصالح الرأسمالية الوطنية (بيداغوجيات المدارس الخصوصية).

كل البيداغوجيات، سواء الأكاديمية أو الواقعية، تفشل :

- **البيداغوجيات الأكاديمية** تفشل لأنها مجرد تنظير مثالي مقطوع عن الواقع أو نمذجة تعمل على تحويل الواقع الحي إلى مفاهيم ونماذج وإجراءات جامدة.

- **بيداغوجيا الدولة** تفشل لأن حوافزها سياسية بالأساس، ولأن المعلمين الذين يسهرون على تنزيلها مجرد طبقة كادحة تشتغل بالحد الأدنى من المؤهلات مادامت المنظومة الرسمية لا تحتاج إلى تأهيل عال جداً، ولأنها تُعيد تكرار نفس المعلومات والإجراءات بشكل أبدي ومُمِل.

- **البيداغوجيا الشعبوية** تفشل لأنها تكتفى بدغدغة المشاعر الإنسانية والوطنية والقومية للجماهير دون تناول علمي وعملي لإشكاليات التعليم والتعلم الحقيقية.

- **بيداغوجيا الأسر** تفشل لأن حوافزها منغلقة على ما هو اجتماعى وإيديولوجى، ولأن أولوياتها متمركزة حول التميز الاجتماعي أو التربية الأخلاقية بدل شروط الدخول فى المستقبل، وحتى عندما تنشغل بالمستقبل تتصرف بشكل أناني وتنشغل بمستقبل أبنائها فقط.

- **بيداغوجيا الرأسمالية الوطنية** تفشل لأن حوافزها مالية فقط ولا تستثمر في البيداغوجيات إلا بحوافز ولأهداف تسويقية.

إن النموذج البيداغوجي الوحيد الذي سينجح هو نموذج الرأسمالية العالمية، لا لأنه الأفضل فقط بمعيار الفعالية والكفاءة ولكن لأنه الأكثر ذكاءً ومكراً أيضاً. صحيح أن الرأسمالية العالمية متوحشة ومفترسة، لكنها هادئة وصبورة ومراقبة بحذر إلى أن تحين الفرصة فتنقض لكسب كل شىء، وهى تنجح لأن نماذجها فى التعليم والتعلم ذكية وحوافزها لشركائها قوية واستراتيجياتها في التحكم شمولية.. كان الله لنا!

ستفنى كل البيداغوجيات الأكاديمية والواقعية ولن يبقى فى المستقبل سوى بيداغوجية الرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة التى تقوم بهندسة التعلمات وتوصيل المعارف والمهارات والقيم بطرق وتقنيات سريعة وفعّالة ورخيصة تتمحور حول المنصات العالمية للتعليم والتعلم عن بعد.

من سيتمسك غدا ببيداغوجيات مَرحة ومتفائلة تُبهر ولا تُؤثر، وبالمنتوج التعليمى الوطنى الشعبى الاشتراكى الديمقراطي القومي الاسلامي الخُذ لك تَنَفَس، وبالهوية والأصالة والقيم التى تربطك بماضيك وتقطعك عن مستقبلك، وبتعليم نظامي حكومي أو خصوصي

يستهلك من العمر والمال أغلبه، عندما ستعرض الرأسمالية العالمية المسلحة بتكنولوجيات القطيعة من كل جهة وشبكات التمويل الضخم من المنبع وشبكات التسويق الفعّال فى المصب على منصاتها التعليمية السحرية فرصة امتلاك أفضل المعارف والمهارات والكفايات والخبرات والشهادات والعلاقات على المستوى الكونى بأرخص الأسعار وفى وقت قصير ومن مكانك!؟

نهاية الجامعة

الجامعات اليوم فى وضعية لا تحسد عليها أيضاً بالنظر للتحديات الجديدة التى تواجهها والتى تضع لأول مرة قدرتها على الاستمرار فى أداء رسالتها موضع شك وتساؤل بسبب تجاوز بل احتواء طموحات العولمة الاقتصادية والتكنولوجية ذات النزعة السوقية طموحات الجامعات ذات النزعة العلمية والفكرية والإنسانية.

ماذا تبقى من رسالة الجامعات؟

- **التدريس؟** فاشل في أغلبه، وأفضل الكورسات والمعارف والخبرات والشهادات أصبحت تقدم من منصات تعليمية عالمية !

- **البحث العلمي؟** غير مجدٍ، وأفضل الأفكار والابتكارات أصبحت تنتج في مختبرات الشركات الرأسمالية العالمية !

- **خدمة المجتمع؟** مبادرات محتشمة، وأفضل مبادرات خدمة المجتمع أصبحت تقدمها المنظمات غير الحكومية والشركات الربحية في إطار مسؤوليتها الاجتماعية !

- **الشهادة؟** وهي الورقة الرابحة الوحيدة المتبقية للجامعات والتى يمكن أن تنافس بها المنصات التعليمية العالمية وقع الرئيس الامريكى ترامب على شهادة وفاتها فى يونيو 2020 فى أمره التنفيذي للحكومة الفدرالية بالتوظيف بناء على القدرات والمهارات والجدارات بدلا عن الشهادات.

إن أفضل أساليب التعليم والتدريس، وأعمق البحوث العلمية والأفكار الخلاقة المبدعة، وأحسن مبادرات خدمة المجتمع أصبحت تأتي من خارج الجامعات! هذه هى المفارقات العجيبة التى تعيشها الجامعات اليوم والتي تهدد مستقبلها.

وعندما بدأت الجامعات عندنا تشعر بالتهديد الوجودي لجأت إلى حل الانفتاح على محيطها الاقتصادي.. ضَعُف الطالب والمطلوب: **جامعات في وضعية تهديد وجودي تنفتح على محيط اقتصادي في وضعية تهديد وجودي أيضا!** ما قيمة جامعات تُعِد لمهن ستختفي في المستقبل؟ قريبا ستقضي مثلا الطباعة ثلاثية الأبعاد على مهنة أخصائى تقويم الأسنان! إن الانفتاح المطلوب لتجنب هذا المصير هو الانفتاح على

المستقبل وعلى ما تفعله وتخطط له الرأسمالية العالمية لا على محيط يعيش نفس التهديد.

إن جهود الجامعات عندنا، خاصة الحكومية، مكبلة بضعف هامش التحرك ومرهقة بالإصلاحات الحكومية المتتالية التي تفتقد إلى الروح وتريد فقط تحويل الجامعة إلى مجرد مؤسسة معرفية فى خدمة التنمية الاقتصادية في أحسن الحالات.

بعض الجامعات حاولت أن تكون أذكى فدخلت فى عملية البحث عن هوية عصرية ورسالة جديدة من خلال إعادة تعريف القديم: التميز العلمى، البحوث العلمية المتقدمة، البحوث التنموية، تحسين التصنيف الدولى للجامعات، تحسين التمركز الدولى لمراكز البحوث، أقطاب الكفاءات... محاولات يائسة لإثبات مواكبة العصر والإنتماء إليه، لأنه **من الغباء أن تقبل بالدخول في لعبة أكبر منك وشروط المنافسة فيها غير عادلة وغير متوازنة،** وعندما ترفض اللعبة وتدخل فى جزئياتها فأنت أيضا تلعب اللعبة !

ليس التحدي الحقيقي الذي يهدد قدرة الجامعات على الاستمرار فى أداء رسالتها هو تحسين تمركزها فى ذيل تصنيف دولى مثلا، وإنما هو تواجدها فى مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة وتكنولوجيات القطيعة وسوق عالمية أصبحت فيها المعرفة تتحرك بحوافز سياسية واقتصادية لا بالحوافز الثقافية أو الأخلاقية، وأصبحت فيها حروب القرن الواحد والعشرين هى حروب اكتساب المعرفة والتحكم فى المعرفة. وفى هذه السوق العالمية ذات التنافسية الشرسة والقواعد الجديدة للعب تفتقد الجامعات فى أغلبها للأدوات الفعالة للمواجهة والدخول في التنافس.

عندما نقول أن الجامعة اليوم أصبحت توجد فى مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة وحروب المعرفة فمعنى هذا أن المعارف المعترف بها والتى تفتح آفاق المستقبل هى **المعارف المفيدة** فقط؛ **اليوم وغدا سيكون الحقيقي هو المفيد لا الصحيح!** وهذا الوضع ليس جديداً ولا هو وليد اليوم، فالجامعات كانت دائما توجد فى خطوط تماس المصالح الاقتصادية والصناعية ولم تكن أبدا طيلة تاريخها تعيش متعالية عن واقعها في

سماء الأفكار والنظريات الخالصة فقط، لكن وضع الجامعات اليوم وغدا مختلف كليا لأن **السياق العالمي في العقود الأخيرة دفع في اتجاه التركيز على المعرفة العملية المفيدة فقط والتي تستجيب لحاجات الرأسمالية العالمية في المزيد من التربح والتحكم**، والجامعات في هذه المواجهة تلعب خارج أراضيها وتفتقد إلى أدوات المنافسة الفعّالة مع الشركات الرأسمالية العالمية ومراكز بحوثها (الشركات الرأسمالية العالمية تنفق على البحث العلمي أكثر مما تنفق الكثير من الدول) وجامعاتها الخاصة ومنصاتها التعليمية.

ولعصر المعرفة (مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة وحروب المعرفة) الذي يمثل بيئة الجامعات اليوم وغدا وجه آخر في الاعتبار يمثل أيضا تحدياً وجوديا للجامعات هو الطلب الجماهيري المتزايد على المعرفة وعلى التأهيل العالى خاصة من طرف الشباب القادم من "الطبقات المتوسطة"، وفى هذا التحدي تفشل الجامعات أيضاً.

شباب الألفية الطموح الذي يحلم بالحصول على فرص عمل متميزة عبر بوابة تعليم جامعي متميز، يحصل

في النهاية على تكوين أكاديمي نظري مقطوع ومنقطع عن الواقع وعن حاجات السوق ويجد نفسه فى النهاية فى الغالب الأعم مجرد رقم جديد ينضاف إلى جيش العاطلين المُعَطَّلين من حملة الشواهد العليا.

إن الاستجابة الفعّالة لهذا الطلب المستجد في عصر عولمة المعرفة وعولمة سوق الكفاءات والمهن يحتاج إلى نوعية خاصة من الأساتذة الجامعيين، وهم فئة نادرة كالكبريت الأحمر الذي يعز وجوده، فئة لديها القاعدة العلمية الصلبة في تخصصها، والخبرة العملية الواسعة فى نفس التخصص، والقدرة على الجمع والتجسير بين العلم والخبرة، والقاعدة الإبستمولوجية الصلبة فى أصول التخصص، وفنون نقل العلم والخبرة، والثقافة الموسوعية الداعمة للتخصص، والقدرة على استخدام تكنولوجيات القطيعة، واليقظة تجاه تحولات المعرفة والتقنية التى أصبحت الحدود الفاصلة بينهما هلامية، والتحسين المستمر لكل ما سبق. لكن من أين نأتي بكل ذلك أو بعضه؟ من أين تأتي مثلا الخبرة لمن دخل الجامعة طالبا واستمر فيها مدرسا وباحثا دون أن يخبر في حياته ولو لمرة واحدة بالخطأ السوق وحاجاته

ويجرب في حياته مدارس الحياة المتعددة؟ **وهل يستطيع ابن المنظومة أن يُعَلِّم شيئا مفيداً للحياة وللسوق وللمستقبل غير إعادة إنتاج المنظومة!؟**

كم من مدرس جامعى يستطيع الجمع بنجاح بين التدريس والبحث العلمي؟ كم من مدرس جامعي يستطيع اختراق الحدود التقليدية الفاصلة بين العلم والخبرة وينجح فى الجمع بينهما بصفتى العالم والخبير فى تخصصه فى نفس الوقت؟ كم من مدرس جامعى اليوم يتقن استخدام تكنولوجيات القطيعة؟ كم من مدرس جامعى يملك التكوين الموسوعى فى العلوم والفنون المجاورة لتخصصه على الأقل لكى يستطيع أن يقدم لطلابه نظرة شمولية عن المشكلات التى يدرسها لهم؟ وهل كل هذا متاح للجميع في إطار مؤسسي أم متاح فقط بشكل فردي لحالات خاصة من أصحاب الإرادات الاستثنائية والمشاريع العلمية والعملية الشخصية المحسوبين على رؤوس الأصابع والذين غالبا ما ينتهي بهم المطاف إلى الهجرة إلى أرض الله الواسعة بعيدا عن ضيق بيئة الجامعة وضيق فرصها، ومتاح للذين يفهمون اللعبة الجديدة للمعرفة في بعدها العالمي

الرأسمالي فيحافظون على حد أدنى من الانتماء لمؤسستهم الجامعية البئيسة بنظرهم وينخرطون بجدية فى شبكات دولية للتعليم والتدريب والبحث العلمى التى تفتح الفرص والآفاق حقا وحقيقة!؟

نهاية التخصص

من المؤكد أن زمن التخصص انتهى، وأن المستقبل للتكامل المعرفى، والتخصص المُعَزّز بالخلفية المعرفية المتنوعة خاصة في التخصصات المجاورة.

مظاهر هذه النهاية متعددة :

- **الثورات التكنولوجية** بعمقها وشموليتها وسرعتها قتلت التخصص، فالتوجه المتزايد نحو الأجهزة الذكية مثلا (الهاتف الذكى، التلفزة الذكية، السيارة الذكية...) ما كان لينجح لولا تظافر تخصصات متعددة وتكاملها.
- **التحولات في سوق الشغل والمهن والوظائف والجدارات**، وانمحاء الفروقات بين الوظائف المتخصصة في الشركات والمنظمات، وتراجع الطلب فى سوق الشغل على الكفاءات المتخصصة لصالح الكفاءات ذات التجارب المتنوعة والخلفية المعرفية المتنوعة والقادرة على القيام بأدوار متعددة ومختلفة في نفس الوقت.

- **نهاية الحدود الفاصلة بين التخصصات العلمية**، فالظواهر البيولوجية مثلا أصبحت تدرس من منظورات فيزيائية واجتماعية.
- **الحدود الفاصلة بين العلم والتقنية انتهت** أيضا أو تكاد؛ فالعلم أصبح تقنية، والتقنية أصبحت علماً، والمفهوم التقليدي للتقنية بما هي "تطبيقات العلم" انتهى.
- **نهاية الحدود الفاصلة بين العلم والسياسية** (مثلا الدعم الإعلامي لنظريات علمية معينة دون غيرها، الاستخدامات السياسية للعلم...).

أما أسباب نهاية التخصص فمتعددة أهمها :

- **الطابع المعقد للظواهر والأنساق والبنيات الطبيعية والإنسانية والاجتماعية**، وعجز المعرفة المتخصصة عن فهمها وتفسيرها بشكل دقيق وشمولى؛ فقد أنتجنا مثلا معارف متخصصة ضخمة عن الإنسان من مواقع معرفية متخصصة متعددة كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ واللسانيات...

ورغم هذا الكم الهائل والضخم من المعارف المتخصصة لا زال فهمنا للإنسان مجزءاً ومحدوداً.

- **الحاجة إلى وضع نهاية للطابع المجزئ والذري للمعرفة**، أي وضع نهاية للعلم القائم على التخصص المعرفي بدل التكامل المعرفي.

- **التحولات التي تعرفها الجامعة في القرن الواحد والعشرين**، والدعوات المتزايدة لجعل التدريس والبحث العلمي في الجامعة يقوم على التكامل المعرفى بدل التخصص المعرفي.

- **توجه الدول والشركات والمنظمات وبشكل متزايد نحو سياسات شمولية** مما يفرض تحول المقاربات والمناهج المستخدمة من الخبراء من مقاربات متخصصة إلى مقاربات مندمجة متعددة التخصصات وتكاملية.

إن عصر النموذج الإرشادي للعلم والمعرفة القائم على التخصص والتخصص الدقيق والمزيد من التخصصات

الجديدة قد استنفد وظيفته وبلغ نهايته، وها نحن نتحول نحو باراديغم Paradigme جديد للمعرفة قائم على التكامل المعرفي والمستويات المتعددة للحقيقة.

نهاية الشهادة

بعد هَوَس الدبلومات والشهادات الأكاديمية والمهنية ها نحن الآن نستعد للدخول فى سراب الكفاءات والجدارات والمهارات والقدرات. الرأسمالية المتوحشة المفترسة تتقن التحكم فيِ العبد والمعبود والمعبد، ولها لكل مرحلة ألعابها أي مصالحها ورهاناتها وما يرتبط بها من مشاريع واستراتيجيات وخطابات.

الذين صمّموا لعبة الشهادات أتقنوا تصميم اللعبة: الحصول عليها لا يمنحك أشياء مهمة، وعدم الحصول عليها يحرمك من أشياء كثيرة. الآن يتحوّلون إلى لعبة جديدة: **الكفاءة بدل الشهادة**.. والسؤال هو: كيف نلعب هذه اللعبة الجديدة دون أوهام؟ كيف نفهم أولا رهانات اللعبة القديمة؟ وكيف نفهم ثانيا رهانات وطريقة اشتغال اللعبة الجديدة؟ وكيف ندخل بعد كل ذلك ومعه فى اللعبة الجديدة سادة لا عبيداً؟ وهل يكون سيداً من يدخل في لعبة صنعها غيره!؟

دعونا قبل الإجابة على هذه الأسئلة نؤكد على مبدأ منهجي مهم. عندما يتعلق الأمر بالألعاب ورهاناتها

فلا فائدة من التحليلات اللغوية والاصطلاحية والعلمية والتقنية حول علاقة الشهادة بالكفاءة وأهمية كل منهما وتكاملهما ومن سيُقَوّم من وماذا وكيف؟ ولا طائل أيضا من وراء التعلق بخيارات مثالية كالعصامية التى لا وجود لها إلا في أذهان الذين يعتقدون في وجودها لأن النجاح والفشل والوعى بهما لا تتحكم فيه الشهادة أو الكفاءة أو العصامية وإنما جاذبيات اجتماعية علينا الوعى بها للتحرر منها. فى ميدان صراع المصالح لا قيمة للأفكار والمشاعر إلا بمقدار قدرتها على تعزيز المصالح عند توظيفها.

الشهادة أم الكفاءة؟ تبدو هذه المفارقة مثيرة للسخرية والضحك! فالشهادة إشهاد، أي وثيقة تثبت امتلاك المشهود له معارف (الشهادة الأكاديمية) أو مهارات (الشهادة المهنية)، فما وجه التعارض إذن؟ أليست الشهادة والمشهود له وجهين لعملة واحدة بل شيئا واحداً؟

إن الأمر في حقيقته لا يتعلق بالشهادة ولا بالكفاءة وإنما بلعبة الإخفاء المعروفة، أي بنظامين يُراد منهما أداء وظيفة إيديولوجية؛ النظام الأول (نظام الشهادة) اخترع

لتلبية احتياجات الرأسمالية الصناعية في الماضي واستنفد وظيفته، والنظام الثانى (نظام الكفاءة) فى طور التشكل والاختراع لتلبية حاجات الرأسمالية المعرفية فى المستقبل، ورغم اختلاف آليات التلاعب بالوعى ووسائله فاللعبة واحدة هي **لعبة الإخفاء**. إن السلطة في كل المنظمات والمجتمعات وعبر التاريخ تحتاج إلى إخفاء التلاعب بالوعى لمضاعفة مفعول العبودية. إن الإخفاء هو أحد مبادئ الفعالية، والحاجة إلى الإخفاء المستمر يفرض التجديد المستمر أي يفرض الانتقال من لعبة الشهادات إلى لعبة جديدة.

قبل سنوات كان تَوَجه الكثير من الدول، فى إطار تجديد اللعبة، نحو تعزيز سلطتها المادية والرمزية بحصر دور الجامعات في منح شهادات وطنية فقط وإعطاء "الدولة" وحدها حق منح "شهادة دولة" (مثال فرنسا والدول التى تدور فى فلكها مع نظام LMD)، لكن يبدو أن خيارات الرأسمالية العالمية أذكى وأقوى وأشمل من الإصلاحات المحدودة والغبية لرأسمالية الدولة الوطنية: **إنهاء لعبة الشهادة جملة وتفصيلا واستبدالها بلعبة جديدة تضمن المصالح الاقتصادية للشركات الرأسمالية**

العالمية التي تبحث عن الكفاءة لا الشهادة وفي أسواق دولية لا محلية.. إنها عملية البيع بالجملة وبالتقسيط لكشط الأسواق المحلية والاقليمية والعالمية على حد سواء وترويض العبد والمعبود والمعبد. كان الله فى عون الرأسمالية الوطنية !

إننا نعيش فترة انتقالية من اقتصاد الشهادات إلى اقتصاد الكفايات، والأمر فى العمق لا يتعلق بتحولات سوق الشغل، أو بالتطور التكنولوجى السريع الذي قتل التخصص وذوّب الفروقات بين الوظائف المتخصصة في المنظمات، أو بالصعوبات المتزايدة التى تصادف مدراء الموارد البشرية فى ربط الشهادات بالمهن بسبب التحولات السريعة فى المهن والكفاءات (أكثر من نصف مهن المستقبل غير موجودة اليوم)، وإنما بالرهانات الجديدة للرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة التى ترى فى كل شىء مجرد فرص استثمارية، بل ترى **الكون بأكمله مجرد عقار** لا يحتاج لغزوه وحكمه سوى إلى شركات استثمارات عقارية!

من منظور اجتماعى لا فرق بين الشهادة والكفاءة، فقيمتهما معاً مشروطة بالاعتراف الاجتماعي بهما من

طرف سلطة حكومية أو جهة مُشَغِّلة. وعليه، لن تكون الشهادة ولا الكفاية الحصان الرابح فى مواجهة تحديات سوق الشغل وعالم الأعمال فى المستقبل، لأن المؤكد أن اللعبة الجديدة سيتم تصميمها لصالح السوق الدولية وعلى حساب الأسواق المحلية والوطنية، وستكون حصيلة اللعبة الجديدة بنفس منطق ورهانات اللعبة القديمة: **الحصول على الكفاية لا يمنحك أشياء مهمة، وعدم الحصول عليها يحرمك من أشياء كثيرة!** وستكون الفرص أمام **حاملي الكفايات** شبه منعدمة لسببين على الأقل: أولا بسبب تكنولوجيات القطيعة والأتمتة المتزايدة للكفايات، وثانيا لأن التنافسية ستتم فى سوق عالمية للكفايات (بعض الدراسات الاستشرافية تقول أن نسبة البطالة سنة 2070 ستكون 80%).

ويبقى السؤال المصيري قائما: **من هو الحصان الرابح؟ وكيف نمتطيه بذكاء؟**



الفصل الثالث

نهايات في المجال الثقافي والإعلامي



نهاية الثقافة الصّلبة

لم يعد في عالم اليوم مكان للصّلابة، فثقافة التسلية والمتعة والتفاهة غزت الأماكن كلها. لا مكان اليوم وغداً للمفاهيم والقضايا الصّلبة والثّابتة، وسيصبح كل شيء حولنا سائلاً ومؤقتاً وعابراً قدر عبور واختفاء المحتوى الذي ننشره فى بعض منصات التواصل الاجتماعي بعد مرور 24 ساعة.

مظاهر هذه **الثقافة السائلة** متعددة منها:

- هيمنة الإنترنت والمنصات الاجتماعية على حياتنا كقنوات للتواصل وكمصدر للمعلومات.
- المحتوى الأكثر رواجا فى الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعى هو المنوعات والأغانى والضحك والرياضة والتسوق، ولا يمثل المحتوى الجاد والمفيد إلا نسبة قليلة جداً.
- أغلب الناس أصبحت تستهلك فقط ما هو بسيط وسطحى ومَرح، وتنفر من كل ما هو معقد وعميق وجاد.

- منصات التواصل الاجتماعي لم تُصمّم لنشر الحقائق وإنما صممت لزيادة الإعجابات.
- منصات التواصل الاجتماعى لم تصمم للانتقال الهادئ والمتأنى بين محتوى وآخر وإنما للانتقال التلقائي والسريع.
- فلاتر المنصات الاجتماعية تعطى للواقع الشكل الذي نرغب فيه بدل شكله الحقيقي.
- خوارزميات منصات التواصل الاجتماعى صُممت لتشتغل كمرايا تنعكس عليها أصداء ما ترغب النفس في سماعه.
- احتمالية قيام حوار فعّال ومشاركة إنسانيّة على منصات التواصل الاجتماعى شبه منعدمة لأن هذه المنصات تشتغل بمنطق الأنانية والرغبة المتطرفة فى إبراز الذات وكأنها حلبة ملاكمة تستهدف الحضور والظهور لا منصة تواصل تستهدف الحوار والتكامل!

- عندما يُزعجك شخص ما أو يثقل عليك بمحتواه أو تعليقه فأنت لا تحتاج إلا إلى ضغطة زر لإنهاء وجوده من عالمك الافتراضي.
- العلاقات الافتراضية خفيفة العبء والتكلفة فهي مجرد تفاعل أيقوني سحابي عابر، بخلاف العلاقات الحقيقيّة التى تتطلب قدرًا كبيراً من الالتزام والمواجهة والتفاعل.
- وسائل التواصل الاجتماعى مصممة لإبراز أنانيتنا بعنف على حساب الغير وليس لإظهار أفكارنا بعمق ومناقشتها مع الغير.
- التواصل الاجتماعى فى الغالب الأعم ليس تواصلا منفتحا على الغير ومعه، وإنما هو "تواصل مع الذات" تغذيه نزعة فردانية متطرفة.

هذا التوجه نحو الثقافة السائلة والمزيد منها سيزداد انتشاراً لأنه يتغدى من أربعة عوامل أساسية:

- **الخوف الغريزي عند البشر من الوحدة**، ففى الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي لا وجود

للوحدة، لأن هناك دومًا من يقرأ لنا ويشاركنا بالإعجاب أو التقاسم أو التعليق.

- **السرعة الجنونية لنمط الحياة** وإيقاعها الذي لا يترك لك فرصة للتفكير والتأمل وتقليب الرأي لإنضاجه.
- **الأجيال الجديدة** التى تستقى معلوماتها ومعارفها من الإنترنت فقط ودون تقييم لصدقيتها.
- **حروب الوعي والمعرفة** التي تفرض احتكار الثقافة الصّلبة فى دائرة ضيّقة مُتحكم فيها، وتنشر الثقافة السائلة على أوسع نطاق.

هكذا ستصبح الثقافة الصّلبة ملكية حصرية للرأسمال ومن يقوم بخدمته، وللقطيع ثقافة سائلة تناسب اهتماماته وطموحاته!

نهاية الوسائل التقليدية لنقل المحتوى

الإنترنت طوفان كبير ضرب وبقوة كل الوسائل التقليدية لنقل المحتوى واستقباله، وقادها بدورها إلى محطتها النهائية. إنه الطريقة الأكثر انتشارا والأقل كلفة لصانعي المحتوى ومستقبليه على حد سواء، وستذهب كل الوسائل التقليدية لنقل المحتوى واستقباله إلى متحف التاريخ.

مظاهر هذه النهاية متعددة، منها :

- **نهاية الكتاب الورقي** بحيث أصبح الكتاب الرقمي متاحا على كل الأجهزة الإلكترونية من حواسيب ولوحات وهواتف ذكية وأجهزة خاصة لقراءة الكتب.
- **نهاية الصحف الورقية** حيث أصبحت صحف العالم متوفرة على كل أنواع الأجهزة الإلكترونية وتحولت أغلب الصحف إلى النشر الإلكترونى لمحتواها.
- **نهاية التقرير الورقي والمراسلة الورقية**، فالانتقال القسري إلى الإنترنت في مجالات العمل بسبب

جائحة كوفيد 19 سرّع بإنهاء الوسيلة الملموسة المقابلة.

- **نهاية السات والفضائيات التقليدية** حيث انتهت طريقة الاستقبال باستخدام الصحن اللاقط والرسيفر لالتقاط البث عبر الأقمار الصناعية.
- **نهاية الوسائل التقليدية لنقل واستقبال الأفلام** مثل كاسيت الفيديو والأقراص المضغوطة واستبدالها بشبكات بث أفلام عبر النت كنتفليكس وستارز بلاي.
- **نهاية الوسائل التقليدية لنقل واستقبال الموسيقى** مثل الكاسيت والأقراص المضغوطة واستبدالها بمنصات متخصصة فى بث الموسيقى عبر النت كالأيتونز.
- **نهاية الإعلان عبر الوسائل التقليدية**، فالمعلن الذي يضخ أمواله لتحقيق الأرباح شد الرحال أيضا إلى الإنترنت الذي وفر له خيارات الاستهداف بشكل دقيق وعملي.

- **تراجع التسويق التقليدي** والتحول الكبير نحو التسويق الرقمى الذي يوفر خيارات أكبر واستهداف أدق وتكلفة أقل.
- **النمط الجديد لحياة الأفراد والمنظمات**، حيث استحوذ الإنترنت والوسائل الرقمية لنقل واستقبال المحتوى على حياتهم طيلة فترة الحجر الصحي أثناء أزمة الوباء العالمي كوفيد 19.
- **الأدب الرقمي** الذي أصبح أدبا بديلا للأدب التقليدي مع انتشار التغريدات والتعليقات على الشبكات الاجتماعية.
- تزايد ظاهرة **الكاتب الرقمي والأدب الرقمي**، وظهور مستخدمين للشبكات الاجتماعية يقدمون محتوى رقميا يستقطب الجمهور أكثر مما تفعله وسائل الإعلام التقليدية أو الكتاب التقليديون.

أما مزايا نقل واستقبال المحتوى عبر الإنترنت فمتعددة أيضا، منها :

- خيارات أسهل وأجود وأسرع لصانع المحتوى وناقله.
- خيارات عملية وسهلة وسريعة لمستقبل المحتوى: القارئ أو المستمع أو المشاهد أو المتدرب أو المتعلم ...
- ملاءمة نقل المحتوى واستقباله عبر الإنترنت لوقت الناقل والمستقبل على حد سواء ولأدواتهما.
- كسر حاجز الوقت بتوفير إمكانية المتابعة وإعادة المتابعة في أي وقت.
- قلب علاقة التحكم بحيث أصبح متلقى المحتوى هو المتحكم وليس صانعه.
- توفير المحتوى المتزامن حيث يجري تداول المحتوى في الزمن الحقيقي.
- على مستوى الربحية يعتبر نقل المحتوى عبر الإنترنت أكثر ربحية من نقله عبر أي وسيلة تقليدية أخرى: القيمة السوقية لتطبيق نتفليكس

الذي لا يقدم سوى أفلام ومسلسلات بلغت نحو 100 مليار دولار وعدد مشتركيه بلغ نحو 120 مليون مشترك !

سيعم الكساد قريبا ما بقى من وسائل تقليدية لنقل المحتوى واستقباله ولن تجد من يبحث عنها أو يستخدمها، وعلينا أن نعمل بأسرع ما يمكن على فك الارتباط بما بقى من عادة الارتباط بالورق والصحن اللاقط والأقراص المضغوطة، فكما انقرضت أشرطة الكاسيت وأجهزة الفيديو القديمة **سينقرض ما بقي من وسائل تقليدية لنقل المحتوى واستقباله في المرحلة المقبلة، وسينقرض معها كل من لا يزال يبحث عن متعة القراءة من كتاب ورقي أو تقرير مطبوع، ومتعة المشاهدة من كاسيط فيديو أو قرص مضغوط!**

نهاية الإعلام التقليدي

منذ الثورة الرقمية فى نهاية التسعينيات وبداية القرن الحادي والعشرين، شهدت وسائل الإعلام التقليدية أزمة غير مسبوقة لا ترتبط فقط بتغيير القنوات والوسائط والنموذج الاقتصادي، ولكن أيضًا بالتشكيك القوي في مصداقية الإعلاميين والصحفيين. خلال عقدين من الزمن تحولت تدريجيا ما أصبح يسمى بوسائل الإعلام التقليدية التى كانت سائدة ومهيمنة إلى مقاولات مفلسة أو فى طريقها إلى الإفلاس، مما سمح تدريجياً لوسائل الإعلام "البديلة" - الشبكات الاجتماعية والمدونون والمؤثرون - باكتساب شعبية واكتساح الميدان.

مظاهر هذه النهاية متعددة :

- يشهد الحقل الإعلامي اضطرابًا حقيقيًا، حيث نشهد كل يوم اختفاء وإفلاس مؤسسات إعلامية تقليدية، وفى المقابل نشهد ظهور وسائل إعلام جديدة تكتسب مصداقية كبيرة وانتشارا سريعا.

- تراجَع حضور الإعلام التقليدي في العقد الأخير بشكل كبير جداً، فأغلب الإحصاءات تؤكد أن الفئة العمرية 18-35 سنة تستمد أخبارها من شبكة الإنترنت بعد أن كانت إلى زمن ليس ببعيد تعتمد على التليفزيون، كما أن النسبة الغالبة لهذه الفئة العمرية لم تعد تعتمد على الصحف أو التليفزيون لمتابعة الأخبار بل أصبحت تعتمد على الهاتف الجوال الذكي المرتبط على مدار الساعة بمنصات شبكات التواصل الاجتماعى كمصدر رئيس لتصفح الأخبار.

- يكتسب الإعلام الجديد كل يوم مواقع جديدة في حياة الأفراد والمؤسسات، وغيَّرت وسائل التواصل الاجتماعى علاقتنا بوسائل الإعلام، كما غيَّرت أيضًا نماذج أعمال المؤسسات الإعلامية وظروف عمل الإعلاميين والصحفيين.

- ابتكر الإعلام الجديد تقاليد جديدة فى مهنة الصحافة والإعلام لم يخطر ببال الإعلام

التقليدي الولوج إليها، من قبيل مشاركة المتلقى فى عملية النشر، ومقدرته على التفاعل مع المحتويات الإعلامية، وإنتاج المعلومة التى قد ترتقى فى بعض الأحيان إلى قيمة الخبر الذي يأتي به الصحفي.

- أصبح الإعلام الجديد مزعجًا للإعلام التقليدي، بحيث دفعه إلى مراجعة الكثير من وسائله وأساليبه وأدواره وتموقعاته.
- قبل ثورة الإعلام الجديد كانت ستة كيانات كبيرة تمتلك 90% من وسائل الإعلام الأميركى وهى: جنرال إلكتريك، وديزنى، وفياكوم، وتايم وارنر، وسى بى أس، ثم نيوز كورب وقناتها الإخبارية فوكس نيوز. لكن مع ثورة الإعلام الجديد أصبحت الكيانات الجديدة الضخمة التى تمتلك وسائل الإعلام الجديد هي غوغل وفيسبوك وآبل.

أما أسباب نهاية الإعلام التقليدي فمتعددة، بعضها يرتبط بعيوب وحدود الإعلام التقليدي، وبعضها

نابع من المزايا الجديدة التي يتيحها الإعلام الجديد، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي :

- التكنولوجيات الجديدة التى عدَّلت أشكال بثِّ المحتوى الإعلامى، وأصبحنا أمام كم هائل من الحوامل والقنوات الباثَّة للمضامين الإعلامية. إننا أمام ما يشبه حالة من الرشد والنضج المتقدم فى تكنولوجيات الاتصال والإعلام قائمة على نضج بنية الشبكات اللاسلكية، والاتجاه نحو المزيد من تصغير قنوات الاتصال حتى تكون فى متناول الجميع، وقابلية تلك الوسائط للحمل والتنقل.
- ظاهرة الارتباط الدائم بالشبكة عزّز الانتشار الواسع للإعلام الجديد وعلى جميع المستويات وبشكل يومي ومتسارع.
- الإعلام الجديد ليس إعلامًا جديدًا على مستوى التقنية فقط، بل إن جدَّته وثورته تكمن أيضًا على مستوى المضمون والمحتوى

والفكر الذي يحمله والأنساق الاجتماعية الجديدة التي بدأ في إفرازها داخل المجتمع.

- اختفاء ثقافة الإعلام المكتوب فى مقابل هيمنة ثقافة الإعلام التكنولوجى، وقد كان لهيمنة الصور وانحسار الكلمات دور في تسريع نهاية الإعلام التقليدي وتعزيز مكانة الإعلام الرقمي.

- الاعلام الجديد يتيح مواجهة الحرب المعرفية والاعلامية النازلة من أعلى باستراتيجيات ذكية من أسفل، وهذه الميزة لا يتيحها الإعلام التقليدي.

- الإعلام الجديد يميل إلى تشتيت القوة، فالسيطرة المركزية التي تمثل أحد أهم عيوب الإعلام التقليدي، لا توجد بنفس الحدة فى الإعلام الجديد، وقد تضعف مستقبلا إذا وجدت من يركب موجته باستراتيجيات ذكية.

نهاية المثقف

نهاية المثقف لا نصف مثقف.. أنصاف المثقفين مجرد هواة و"بتاع كلو" فلا ينتهون أبداً !

نصف مثقف هو قارئ يتميز بالنباهة فى الصباح والجرأة بقية اليوم؛ يقرأ الصحف فيِ الصباح ويتصفح عناوين بعض الكتب، وعندما يأتى مجلساً يُوجه دفّة الحديث نحو الموضوع الذي قرأه فى الصباح، فيخلق بذلك فرصته لكي يتألّق.

المثقف صاحب عُمق وحامل رسالة، أما نصف مثقف فحاطب ليل ووكيل سلطة، لذلك فهو أخطر على المجتمع من أمّي.

وأنصاف المثقفين، فى أحسن حالاتهم، رجال إطفاء يلاحقون الحرائق اليومية التي تَسَبَّب فيها غيرهم.. القضايا الخاطئة والمغلوطة التى يثيرها **صانعو الألعاب** هى التى تحدد أدوارهم.. وهم جادون فى الانخراط فى لعبة الأسئلة المغلوطة التى يطرحها المتحكمون فى اللعبة لتحويل الأنظار عن الأسئلة الحقيقية.

أما المثقفون فيعيشون للأسف نهاية عصرهم الذهبي، وهم في طريقهم أيضاً إلى الانقراض.

ومظاهر هذه النهاية متعددة :

- إعلان الكثير من المثقفين عن استقالتهم واستحالة استمرار القيام بأدوارهم في ظل الانتصار المتزايد للمال والسلطة، والانتشار المتعاظم للعبث والتفاهة.
- لم يعد المثقف وحده من يعتلى المنابر ويأخذ الكلمة، بل أصبح كل من يملك منبراً افتراضياً "مثقفاً"، أو لنقل بتعبير أدق أصبح المثقف المُكَرَّس (الذي يمتلك مشروعية) شخصاً عادياً لأن الفوارق الوظيفية لم تَعُد واضحة.. لقد تلاشي المفهوم التقليدي للمثقف، لأن الكل أصبح بإمكانه لعب دور المثقف فقط من خلال استحداث قناة خاصة به وتكوين جمهور صغير خاص به.
- نهاية ثقافة الالتزام والالتزام الثقافي وزمن القضايا الكبرى.. أصبحت الثقافة الوحيدة هي

ثقافة تلفزيون الواقع والشبكات الاجتماعية، والالتزام الوحيد هو الالتزام نحو الذات وأنانيتها، والقضية الكبرى هو المعيش اليومى ونجاحاته وخيباته وأحلامه وعشقه وروتينه ...

- الناس، أغلب الناس، أصبحوا يتطلعون فقط إلى ما هو بسيط وسطحى ومَرح وسريع الاستهلاك، وينفرون من كل ما هو معقد وعميق وجاد ويستهلك في رحلة طويلة وشاقة.

- نهاية المثقف تتمظهر أيضا فى نهاية جيل مثقفى الحرب الباردة والصراعات الأيديولوجية والقضايا الكبرى والمطالبات السياسية والنقابية والحقوقية، فى مقابل الانفجار العظيم لأجيال نهاية الحرب الباردة التى تحب الفخامة ومظاهرها، وترفض الخضوع لكل أشكال السلطة ومنها سلطة المثقف، وتستخدم أساليب غير راقية دون أية عقدة، وتستهلك تكنولوجيا المعلومات والإنترنت

على مدار الساعة، وتستقي ثقافتها من النت على مدار اليوم، وتعتمد مصادر خفيفة تفتقد إلى الأسس العلمية، وتحضر بقوة فى الشبكات الاجتماعية والإنترنت، وتمارس قدراتها التأثيرية من خلالها، وتتواصل على المستوى الدولى، ولا عقدة لها مع الخطأ فهو بالنسبة لها شىء عادي، ولا تُهَوّل من الفشل كما هو الشأن بالنسبة لجيل الحرب الباردة.

أما أسباب هذه النهاية فمتعددة، أهمها :

- **فقدان العالم للمعنى**؛ ففعل الثقافة يستهدف من حيث المبدأ منح المعنى لهذا العالم، لكن الشعور المتزايد لدى المثقفين بأن هذا العالم أصبح بلا معنى يدفعهم بشكل متزايد إلى اليأس والتفكير فى التوقف.. إنها حالة الإحباط التى يعيشها المثقفون، والتشاؤم من دور المثقف في زمن اللامعنى. عندما يبحث المثقف عن نتائج جهوده فى تنوير العقول وتحرير الإرادات فإنه لا يجد حوله

إلا المزيد من العبث والتفاهة في كل الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية... انتشر نظام التفاهة، وفقدت الثقافة الجادة قيمتها، بل فقد كل شيء معناه، وانتشرت السطحية على حساب العمق، وتملق السلطة، كل أشكال السلطة، والتقرب إليها على حساب نقدها وتوجيهها.

- **التأثير السلبي للسياسة**؛ لأن كل شيء له علاقة بشكل من الأشكال وفي كل الأحوال بالسياسة. وبما أن السياسة عبث فهي تفسد الثقافة والمثقف كما تفسد كل مناحي الحياة. تغوّل السلطة على المجتمع بشكل عام وعلى المثقفين بشكل خاص، وقمعها لكل صوت حر ومستقل أدى في النهاية إلى انسحاب المثقف من الفضاء العام أو ممارسته نوعا من الرقابة الذاتية تُفقده وظيفته الحقيقية. يوجد مصدران لشرعية المثقف: المصدر الأول هو السلطة من خلال التقرب إليها والدفاع عنها وتبرير خياراتها

وتصرفاتها. والمصدر الثاني هو المعرفة والخبرة والمصداقية وقدرة المثقف على استخدامهم لمواجهة السلطة ونقدها. ومع تغوّل السلطة وهيمنتها على كل العوالم الاجتماعية ومنها الحقل الثقافي، تراجع بشكل كبير دور المثقف المستقل الناقد للسلطة، وهيمن فى المقابل دور مثقف السلطة.

- **التأثيرات السلبية للتقنية**، التي فجّرت المعنى الواحد إلى معان متعددة، والحقيقة الواحدة إلى حقائق متناقضة، والأساليب الرفيعة إلى أذواق غير قابلة للنقاش، وحوّلت القارئ من مستهلك إلى "**منتهلك**" بتعبير ألفين توفلر عالم الدراسات المستقبلية الأمريكى. لقد جعلتنا التقنية نعيش فى زمن أصبح فيه كلّ إنسان كاتبا.. أصبح الكلّ، دون استثناء، يكتب وينشر ويمارس النقد ويحاضر ويُدرِّب ويقدم استشارات ويُفتى فى العالم الافتراضى، بعد أن كانت هذه الأفعال الثقافية حكراً على

فئات متخصصة تمتلك الرأسمال الثقافي والرمزي اللازم لممارسة فعل التثقيف.

- **مسؤولية المثقف** نفسه عندما يستسلم لتيار العبث والتفاهة، ولهيمنة المال والسلطة. المثقف لا يستقيل أبداً.. يمكن للمثقف أن يغيّر مواقعه لكن لا يمكنه أبداً أن يغيّر مواقفه أو يستقيل. المثقف هو ضمير المجتمع والإنسانية والمتكلم الرسمى باسمهما ما دامت قضايا المجتمع والإنسانية هى ما يشغل باله، فإذا استقال سيصبح العالم بلا ضمير.

- وأخيراً عمّقت جائحة "كورونا" أزمة المثقفين عندما تسبّبت في حالة من **الإغلاق التام** شملت أيضاً الصناعات الثقافية، فلم يتبق أمام المثقفين إلا الفضاء الافتراضى لمن يتقن استخدامه.

هذه هي أهم الأسباب، لكن توجد إلى جانبها لائحة أخرى من الافتراضات عن أسباب نهاية المثقف لها ما

يبررها ويجب أن نتساءل عنها أيضاً: **هل هو الشعور بالإعياء؟ هل هي لحظة استراحة؟ هل هي نتيجة حتمية للإفراط في فعل التثقيف؟ هل لأن الأفق مسدود؟ هل هي نهاية التاريخ وانتصار نظام التفاهة؟ هل المجتمعات أصبحت غير قابلة للتغيير؟ هل المثقف يعيش على الخيال والأوهام أكثر مما يرتبط بالواقع؟ هل المشكلة في قصور المناهج والأدوات التي يستخدمها المثقف؟ كيفما كان الجواب يبقى الشيء الوحيد المؤكد هو أن نموذجا معيناً من المثقفين على الأقل قد انتهى!**

نهاية التفكير

يبدو أن زمن النقاشات والصراعات الفكرية الكبرى قد انتهى، وأن عصر المفكرين الكبار قد اختفى، وأننا نستقبل فراغًا فكرياً كبيرًا سيتركنا في حيرة من أمرنا.

جيل جديد من "المثقفين" وأنصاف المثقفين، من خصائصه:

- جيل يملك قنوات التأثير لكن لا يمارسه.
- جيل يملك المعلومة وسرعة المعلومة لكن لا يستطيع بناء المعرفة ولا حتى استهلاكها.
- جيل بلا التزام إلا ما كان من التزام بقضايا قريبة من مخاوفه الحالية.
- جيل بلا مشروع عالمى أو مجتمعى لأن المشاريع المشتركة الوحيدة المتبقية هي المشاريع القطاعية القائمة على المطالبات..

جيل متقلب سهل التأثر يفكر برغبات جمهوره ويكتب لهم ما يرغبون في سماعه. التفكير مخاطرة ولا

أحد اليوم أصبح مستعداً للمخاطرة بفقدان قرائه الافتراضيين ورؤية تقييمه الاجتماعي ينخفض.

يبدو إذن أن التفكير فى طريقه إلى محطته النهائية أيضاً، ومظاهر هذه النهاية متعددة :

- **التحول من المعرفة إلى المعلومة بل إلى سرعة المعلومات المدمرة للتفكير**، لأن المفكر يحتاج إلى وقت طويل للتفكير وهو دائما آخر من يتكلم.
- **هيمنة «البياناتيّة»** وهو أسلوب مدمر للمعرفة، لأنه يُلغي التفكير.
- **انحسار مساحة السلوك العقلاني** لصالح المزيد من السلوكيات العاطفية والغريزية.
- **هيمنة الرداءة والتسطيح** بأنواعه: التسطيح العاطفى والتسطيح الشعبوي والتسطيح الأكاديمي.
- **هيمنة الصور وانحسار الكلمات**. لقد كان لتحول البشرية من التقليد الشفهي إلى

الكتابة تأثير كبير على وعي الأفراد والمجتمعات، فمع تزايد الكلمات اتسعت دوائر الوعى. لكن يبدو أننا نعيش فى هذا العصر تراجعاً خطيراً لهذا المنحى التاريخى التوسعي لدوائر الوعي، بسبب تحول العالم من الكلمات إلى الصور. إن مساحات الوعى تضيق بتناقص الكلمات وزحف الصور.

- **هيمنة حقل الإعلام الجديد على الحقل الأكاديمي**، وتناوله للمعرفة كأجزاء صغيرة ومتناثرة من المعلومات دون أي رابط أو مشروع متكامل.
- **هيمنة تكنولوجيا الشبكات الاجتماعية على الحياة المعاصرة**، وهذه الشبكات غير مصممة للتمييز بين الحقائق والأباطيل، أو التحقق من الدقة، أو تصحيح الأخطاء. بل هى بالعكس تماما، مبنية لتعظيم عدد النقرات والمشاركات والإعجابات.

- **تآكل العقل الناقد وتراجع التعليم الفعّال وموت البيئات الفكرية الحيّة**، وما يترتب على ذلك من تراجع قدرة المنظومات التربوية التعليمية على تعزيز تخريج مثقفين ومفكرين كبار.

- **هيمنة طلب الخبرة الفنية المتخصصة على طلب المعرفة والفكر**، وأولوية الحلول الفنية السريعة على الحلول المعرفية والفكرية.

إنها إذن نهاية التفكير، لكن إذا تفاءلنا واعتبرنا أن التفكير لا ينتهى وأن المعرفة لا تموت، سيكون التفسير البديل لما يحدث هو **ظهور مفهوم جديد للمعرفة والتحول نحو نظام جديد للمعرفة**. أما فرضيات هذا المفهوم الجديد للمعرفة فهي :

- الدور الجديد للمعرفة أدى إلى تغييرات فى توزيع السلطة.

- كل تغيير فى نظام المعرفة يترتب عنه تغيير في نظام صناعة الثروة ونظام التحكم.

- كل تغيير في نظام المعرفة يصطدم بالمصالح القائمة، ويؤدي بالتالى إلى نشوب صراعات مصالح.
- المصادر الوحيدة للسلطة هى المال والمعرفة والعنف.
- كل نوع من السلطة قابل للتحول إلى نوع آخر.
- أهم عامل على الإطلاق هو نوعية السلطة.
- العنف سلطة من نوعية متدنية لأن العنف يولد اليقظة والمقاومة.
- الثروة سلطة من نوعية متوسطة فهى أداة أفضل من العنف لأنها تتمتع بمرونة أكبر.
- أعلى نوعيات السلطة هى المعرفة لأنها تتيح التحكم الهادئ وتُغني عن استخدام العنف المادي.



الفصل الرابع

نهايات في المجال الاجتماعي



نهاية العلاقات الاجتماعية

ماذا يُخبئ لنا المستقبل مع الرأسمالية المعرفية الرقمية؟

عرفت البشرية عبر تاريخها ثلاث ثورات كان لكل منها تأثير خاص على حياة البشر:

- **الثورة الزراعية** حيث وسّع الاقتصاد الزراعى مجال العلاقات الإنسانية.
- **الثورة الصناعية** حيث وسّع الاقتصاد الصناعي مجال المادة.
- وأخيرا **الثورة المعرفية الرقمية**.

السؤال اليوم وغدا هو: **ماذا يُخبئ لنا اقتصاد المعرفة الرقمي؟**

دعونا أولا نفهم ما معنى اقتصاد المعرفة الرقمي؟

اقتصاد المعرفة يُحوّل الأشخاص والأشياء إلى معارف، والرقمنة تُحوّلهما إلى بيانات، والنتيجة فى الحالتين واحدة: سحب العالم عن الواقع والإزالة المنهجية

للأشخاص والأشياء التي يتم تحويلهما إلى معلومات. ولتنفيذ هذه العملية، لدى الرأسمالية المعرفية أسلحة فعالة: الهاتف الذكى، والتصوير الرقمى، والشبكات الاجتماعية، والذكاء الاصطناعى، وإنترنت الأشياء، وتحليل البيانات الضخمة، والتخزين السحابي، وكل تكنولوجيات القطيعة.. **حلّت البيانات والمعلومات محل الأشخاص والأشياء، وأصبح العالم سوقاً، وما فيه من أشخاص وأشياء مجرد سلع!**

لم نعد نسكن الأرض ولا السماء، وإنما أصبحنا نسكن عوالم افتراضية تسمى فيسبوك وتويتر وانستغرام وتيكتوك وغوغل... أصبحنا معلومات تستمد جذورها من عالم البيانات، وأفاتار يسكن فى عالم الميتافيرس، وتراجع استخدام اليد التي تتعرف على الأشياء باللمس وتُلقي التحيات الحارة على الأشخاص، ليفسح المجال للنقر بالأنامل على الأزرار.

لم يَعُد العالم مسكونًا بالأشياء والبشر، ولا الحياة تحظى بشرف من يعيشها، ولا الوقت حساسًا لأشواق العاشقين والتزامات رجال الأعمال.. غزت التقنية حياتنا فحرمتنا من الحياة!

لا نريد أن نلعب على وتر **الخوف** ونحن نتحدث عما تُخَبِّئ لنا الرأسمالية المعرفية الرقمية، لكنها الحقيقة: المخاطر معها مؤكدة!

من المخاطر التى تنتظرنا **السحب المُمَنهج والحذف المُبَرمج للأشخاص والأشياء من الواقع**، وما يترتب على ذلك من فقدان لعلاقاتنا الاجتماعية. **في الماضي كان الجسد هو الشرط المادي لوجود الروح، أما اليوم وغدا فأصبح شرطاً مادياً لوجود المعلومات..** أصبح الجسد ومعه كل الأشياء المادية في هذا العالم مجرد قاعدة مادية لكن للمعلومات وليس للروح!

فى كتابه "**نهاية الأشياء**" يطرح الفيلسوف بيونج تشول هان (فيلسوف ألمانى من أصل كوري جنوبى) فرضية أن عالم الأشياء في طريقه إلى الاختفاء. بنظره يتآكل العالم الملموس والمستدام لصالح عالم افتراضى سريع التبخر.

والخطر الذي يتهددنا لا يكمن فقط فى الرقمنة وتحويل الأشخاص والأشياء إلى مجرد معلومات، وإنما في "**غباء الذكاء الاصطناعي**" الذي يقود المغامرة..

الذكاء الاصطناعي غبي لأنه يفكر بالماضي فقط وأعمى عن الحدث وسياقه وعن المستقبل واحتمالاته.

هذا هو اقتصاد المعرفة الرقمي؛ يُنذر بنهاية العلاقات الاجتماعية حين يقوم بحوسبة العالم فيجعل من الأشخاص والأشياء مجرد مواضيع للمعرفة التقنية والسوقية وسلام على الذات الإنسانية والعلاقات الاجتماعية!

نهاية المجتمع

مع بدء تفكك الرأسمالية الصناعية بدأت كل المؤسسات الاجتماعية المرتبطة بها فى التفكك أيضاً: الأسرة النووية والمدرسة العمومية والجامعات التقليدية والوظيفة الحكومية وأنظمة التقاعد والمؤسسات التجارية والنقابات العمالية والأحزاب السياسية... **وفي كثير من الحالات لم يقف الأمر عند حدود التفكك بل فقدت معناها بفقدان قدرتها على القيام بوظائفها.. إنه تحلل الجثث وتعفنها بعد موتها !**

انهار المجتمع وانهارت معه الكثير من القيم والمؤسسات التى وضعنا فيها ثقتنا فى الماضى مثل الأسرة والمدرسة والجامعة والتخصص والشهادة والوظيفة وأنظمة التقاعد والسوق والنقابة والحزب.. انهار المجتمع وانهارت أيضا الكثير من آليات التضامن العضوي التى تعطيه معناه واتجاهه.. انهار المجتمع وحلت محله الفردانية المتوحشة.. والمثير للشفقة والسخرية أن **هذه الفردانية المتوحشة نجدها في الكثير من الحالات ممزوجة بالهوية الدينية أو الثقافية أو العرقية !**

ومظاهر هذا الانهيار متعددة :

- الكثير من العادات والتقاليد والطقوس التى كانت تساهم فى توثيق أواصر العلاقات الاجتماعية وتشكيل الروابط الاجتماعية المختلفة وترسِّخ المجتمع فى الفرد وتُدمج الفرد في المجتمع وتجعلنا أكثر إحساساً بالمجتمع تراجعت بشكل كبير أو اختفت نهائياً.

- على الرغم من ثورة الاتصال الرقمى والانتشار الواسع لشبكات التواصل الاجتماعى فإن شعور الأفراد بالعزلة والوحدة يزداد انتشاراً وحِدّة.

- أصبحنا نعيش وبشكل متزايد داخل مجتمعات تحكمها الأنانيات المستعلية والرغبات الفردية والميل النرجسيّ العميق نحو الفردانية.

- زادت أزمة كوفيد 19 في تأزيم وضع المجتمع والقضاء على ما بقى من طقوسه ومظاهره الاجتماعية، فلم يعد مسموحاً بمدِّ الأيادي للمُصافَحة، ولا الاقتراب من بعضنا ضمانا لمسافة التباعد الاجتماعى، وصار كل شيء يجري عبر وسائل التواصل الرقمي مما جعل التواصل

الاجتماعي يتم بدون قرب فيزيائي جسدي يعطي للجماعة والمجتمع تجسيدهما المادي.

أما أسباب هذا الانهيار فمتعددة أيضاً، أهمها :

- فقدان المجتمع والمؤسسات المكونة له الكثير من قدرته على إدماج الأفراد وتوجيههم؛ فقدت الأسرة القدرة على التربية، وفقدت المدرسة القدرة على التعليم، وفقد الحزب القدرة على التأطير، وفقد المثقف القدرة على التوجيه...

- لم يعد العامل الأساس الذي يُحرّك الاتصال في عالم اليوم هو الحاجة الوجودية إلى الغير وإرادة التواصل الإنسانى وإنما الإحساس المتزايد بالفراغ والرغبة المتعاظمة في التعبير الأناني عن الذات.

- تحوّلت الكثير من القيم الاقتصادية النسبية كالإنتاجية والعائد إلى قيم مُطلَقة وساهمت بإطلاقيتها في تدمير القيم الاجتماعية.

- إن اختفاء الكثير من القيم والعادات والتقاليد والطقوس التي كانت تعزز من قوة العلاقات الاجتماعية كان بسبب عوامل متعددة لكن العامل الأساس الذي

قضى على ما بقي منها وبشكل سريع وفعّال هي وسائل التواصل الاجتماعىّ الحديثة التى سحقت البُعد الاجتماعىّ فى عمليات الاتصال بين الأفراد لأنها جعلت من «الأنا» مركزاً ومداراً لاهتماماتها.

في أكتوبر 1987 قالت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر (وقد كانت أحد الوجوه البارزة للسياسات الرأسمالية المتوحشة المفترسة) قولتها المشهورة: "**المجتمع لا وجود له**".. وبعد ثلث قرن بدأ يتضح بالملموس لمن لم يقتنع بعد أن المجتمع فعلاً لم يعد له وجود !

هل حصل هذا بتخطيط من الذين يخافون من تماسك المجتمع ويريدونه مفككا لزيادة أعداد المستهلكين (مع ارتفاع معدلات الطلاق مثلا ترتفع أعداد الأسر المستهلكة)، ويخافون من يقظة المجتمع ومقاوماته ويريدونه مجرد مستقبل سلبى لسياساتهم؟ أم أنه التطور "الطبيعى" لمؤسسة كنا نعتقد خطأً أنها طبيعية وتبين أنها أيضا أحد اختراعات التاريخ البشري، وكما اختفت "**الجماعة**" فى مرحلة تاريخية سابقة آن الأوان ليختفي "**المجتمع**" أيضا؟ أم أننا كنا نتوهم وجود شيء

اسمه "المجتمع" والحقيقة أنه لا وجود له كما قالت مارغريت تاتشر وأن الأشياء الوحيدة التى تملك صفة الوجود الفعلى هم الأفراد والأسر وجماعات المصالح الفئوية والطبقية؟ وأي أسر وأي وجود فعلى: الأسر التى تملك السلطة والثروة العظيمة وحكمت العالم عبر التاريخ، أم الأسر الطيبة التى لا وزن لها فى ميزان الثروة والسلطة ولا ترى فى العائلة إلا علاقة دم ورابطة محبة ومحضنا لإعادة الإنتاج؟

كيفما كان الجواب فإن الناس، أكثر الناس، **الذين وضعوا ثقتهم في المجتمع يرون الآن الانهيار التام لقيمه ومؤسساته التي تتساقط تباعا أمام أعينهم كأوراق الخريف!**

نهاية الطبقة المتوسطة

في أكتوبر 1987 قالت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر (وقد كانت أحد الوجوه البارزة للسياسات الرأسمالية المتوحشة المفترسة) قولتها المشهورة: "**المجتمع لا وجود له**".

هذا التصريح ما هو إلا تعبير عن سياسة ذكية وماكرة انتهجها المهيمنون للقضاء على كل مقومات حياة المجتمع، أما النتائج فمتعددة وكارثية: أزمة التمثيلية السياسية، انحطاط الطبقة السياسية، الانقسام الكبير للحركات الاجتماعية، تدهور الطبقات الشعبية، البطالة بأنواعها، تحول المجتمع إلى جماعات صغيرة عرقية ودينية وحلول الولاء والانتماء للجماعة محل الاحساس بالانتماء للمجتمع... ومن النتائج أيضا نهاية الطبقة المتوسطة.

انتهى المجتمع إذن بفعل هذه الانقسامات المجالية والثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وانتهت معه الطبقة المتوسطة. ورغم أنها صمام أمان المجتمع كان يجب أن تنتهي بنظر المُهيمنين،

لأنها المصدر الأول للإزعاج والمشاكل والثورات الاجتماعية والسياسية.

مظاهر هذه النهاية متعددة :

- ظاهرة اختفاء الطبقة المتوسطة ليست وليدة اليوم، فمنذ عقود ونحن نعيش هذه الظاهرة بأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية.
- تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للطبقة المتوسطة وانزلاق أفرادها نحو الأسفل، فقد تم إنهاك هذه الطبقة بغلاء المعيشة والقروض.
- **الأشكال الجديدة للفقر** بتعبير عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، والتي قد تُخفي عنا تدهور الطبقة المتوسطة.
- لم يعد للطبقة المتوسطة حضور واضح ومؤثر فى الاحتجاجات الاقتصادية والاجتماعية، بل في الكثير من الدول أصبحت غائبة بشكل شبه كلي، رغم أنها مُتضررة بالدرجة الأولى من

السياسات الحكومية الاقتصادية والاجتماعية، وأصبحت الطبقات الدنيا هى التى تتصدَّر المشهد.

- فى الهند والصين والدول الصاعدة يبدو ظاهريا أن هناك طبقة متوسطة، لكن في الحقيقة لا توجد طبقة متوسطة، وإنما تحسن فى ظروف عيش فئات من المجتمع دون تشكل طبقة متوسطة بالمعنى الدقيق للطبقة الاجتماعية.
- سجّل بيان صادر للبنك الدولى سنة 2016 تراجعاً كبيراً للطبقة المتوسطة على مستوى العالم منذ بداية الألفية خاصة فى دول مصر واليونان والأرجنتين وروسيا. ووفقا لهذا البيان، تقلَّصت الطبقة المتوسطة فى مصر مثلا بأكثر من 48%، لينخفض عددها من 5.7 مليون شخص بالغ فى عام 2000 إلى 2.9 مليون بالغ في 2015، يُمثِّلون نسبة 5% فقط من إجمالي البالغين.

أما أسباب هذه النهاية فمتعددة أيضاً، أهمها :

- **أسباب منهجية** تتعلق بتعريف الطبقة؛ فاليوم يوجد عاملون لكن لا توجد طبقة عاملة، وتوجد أطر متوسطة وعليا لكن لا توجد طبقة متوسطة، لأن الطبقة لا تتحدد بعوامل سوسيو-مهنية فقط، وإنما بعوامل ثقافية وسياسية أيضا، من قبيل الوعى بالوضع الطبقى وبالمصير المشترك والثقافة المشتركة والشعور بالانتماء الطبقي والتعبير عنه والدفاع عنه والعمل على تحسينه.

- **أسباب سياسية**؛ فتاريخيا كانت الطبقات المتوسطة هى الحاملة دائما للواء التغيير، ومصدر الثورات الثقافية والاجتماعية والسياسية، والتخلص منها هو تخلص من أحد أهم مصادر الإزعاج والمشاكل بنظر الطبقة المهيمنة.

- **أسباب إيديولوجية** تتمثل في إيديولوجية نهاية الصراع الطبقي وانتصار الطبقة

المهيمنة، وهي إيديولوجية رأسمالية لتعزيز الهيمنة، وصناعة وعى الهزيمة والاستسلام. صحيح أن الطبقة المهيمنة تُحَقِّق كل يوم المزيد من الانتصارات، لكن الصراع الطبقى لم ينته ولا يمكن أن ينتهي أو يتحول إلى شكل آخر من الصراع كما يزعم البعض، لأنه خاصية مميزة للوجود الاجتماعي ولازم له.

- **أسباب اجتماعية**، وتحول الانقسامات والصراعات داخل المجتمع من صراعات طبقية إلى صراعات من نوع آخر عرقية أو دينية بسبب هيمنة الانتماءات الأخرى وخاصة الانتماءات الدينية والثقافية التى دمرت الانتماء الطبقى، وحرمت المجتمع، بنية حسنة أو سيئة لا فرق، من أحد مصادر حيويته وقوته. وعزّز هذا الانهيار ظاهرة الأغنياء الجدد الذين "عوّضوا" الطبقة المتوسطة العريقة بتقاليدها بشبه طبقة مجتثة لا تقاليد لها ولا أصول.

- **أسباب اقتصادية** تتمثل فى تدهور الأوضاع المادية للطبقة المتوسطة وانزلاق أفرادها

نحو الأسفل. وحصيلة هذه الانزلاقات **هندسة اجتماعية جديدة للطبقية من خمس طبقات: تحت عتبة الفقر، والفقر، والأشكال الجديدة للفقر، والأغنياء في وضعية هشاشة، والذين يملكون كل شيء.**

- **أسباب نفسية** تتمثل فى الشعور المتزايد لدى أفراد الطبقة المتوسطة بالعجز أمام الانتصارات المتتالية للمهيمنين، وسلوك اللامبالاة والهروب كنتيجة لهذا الشعور.

يجب أن نعترف أن الطبقة المتوسطة أُنهكت وأُلْبست أشكالاً جديدة للفقر، وأن الطبقة الغنية المُهيمنة حققت الكثير من الانتصارات وكسبت المزيد من المواقع، وبالتالي فمهما تسلحنا بالمعرفة المتفائلة فنحن بكل تأكيد أمام شكل آخر من أشكال "**نهاية التاريخ والطبقة الأخيرة**".

إن معارك الطبقة الشعبية المسحوقة والطبقة المتوسطة المنهوكة، وكفاحهما الأبدي في مواجهة صعوبات الحياة ومتطلباتها إنجاز بطولي، لكنه إنجاز

الطبقات المتواضعة التي تمارس البطولة الحقيقية بشكل يومى ودون ضجة من أجل أن تُؤَمِّن ضروريات العيش وتظل صادقة وشريفة.

أما معارك المال المتوحش والسلطة المُتَغَوِّلة فهو أيضاً إنجاز بطولي، لكنه إنجاز في شن الحروب الطبقية، وصناعة التفاوتات الاجتماعية، وإعادة إنتاج الواقع والمواقع، وحراسة العبد والمعبود والمعبد، ليبقى الأغنياء أحراراً والفقراء عبيداً، عن طريق العبث السياسى والريع الاقتصادي ومناورة الطبقات الشعبية والمتوسطة بالأشكال المختلفة للوهم (مثلا وهم تحقيق الأمن المالى من خلال الأمن الوظيفى، ووهم طبقة متوسطة مزعومة تعيش بوضع مادي فى حالة فقر ومظاهر شكلية للغنى).

نهاية الصراع الطبقي

الطبقة الشعبية سُحقت منذ زمان، والطبقة المتوسطة أُنهكت منذ عقود وهى فى طريقها لكى تُسحق بدورها، لكن يبدو أن الحرب الطبقية لم تنته بعد، وأن الطبقة الغنية التي كسبت معارك متعددة لم تكسب الحرب الطبقية بشكل نهائي بعد.

فى مجال البحث الأكاديمى انقسم علماء الاجتماع فى العقود الأخيرة بخصوص الصراع الطبقى إلى ثلاث مدارس :

- **المدرسة الأولى** ترى أن الصراع الطبقى قد انتهى بانتصار الأغنياء الذين خططوا للحرب الطبقية بذكاء وقادوها بدهاء وانتصروا فيها انتصاراً ساحقاً.

- **المدرسة الثانية** ترى أن فكرة "نهاية الصراع الطبقى" يُرَوِّج لها حراس المعبد، وما هى إلا إيديولوجية رأسمالية لتعزيز الهيمنة، وصناعة وعي الهزيمة والاستسلام، فالصراع الطبقي

بنظرها لا يمكن أن ينتهي لأنه خاصية مميزة للوجود الاجتماعي ولازم له.

- **المدرسة الثالثة** ترى أن طبيعة الصراع الاجتماعى تغيرت من "**صراع طبقات**" إلى "**صراع مواقع**"، فقد انتقل الصراع بنظرها إلى داخل حقول العالم الاجتماعى، وتحول من صدام بالأسلحة التقليدية للصراع الطبقى إلى مواجهة بالأسلحة الجديدة لقواعد اللعبة الاجتماعية ورساميلها.

لكن كيفما كانت حقيقة الصراع الاجتماعي اليوم، فالشىء الوحيد المؤكد هو أن الطبقة الشعبية قد سُحقت تماماً، وأن الطبقة المتوسطة قد أُنهكت وأُلْبست أشكالاً جديدة للفقر، وأن الطبقة الغنية حققت الكثير من الانتصارات وكسبت المزيد من المواقع، وبالتالى فمهما تسلحنا بالمعرفة المتفائلة فنحن بكل تأكيد أمام شكل آخر من أشكال "**نهاية التاريخ والطبقة الأخيرة**".

قبل سنوات صرّح الملياردير الأمريكي وارين بيفيت: "**الحرب الطبقية موجودة، والطبقة الغنية هي التي**

تخطط لهذه الحرب وتقودها وهي التي تنتصر"، ويكفينا لإدراك الهوة السحيقة التى ولّدها هذا الانتصار أن نستحضر لغة الأرقام؛ فمثلا خلال العقود الثلاثة الأخيرة احتكر 1٪ من ساكنة العالم 93٪ من الارتفاع الذي حصل فى المداخيل، فهل يصح نفى حرب الطبقات فى ظل تزايد التفاوت المهول والمرعب فى توزيع الناتج الداخلى الخام العالمي!؟

نهاية الأسرة

الأسرة باعتبارها مشروعاً انتهت من زمان.. منذ اللحظة التى اخترعت فيها الدولة المدرسة لإلغاء مشروع الأسر مع أبنائها ورقابة الأسر على أبنائها واستبدالها بمشروع الدولة ورقابة الدولة.. يجب ألا ينسينا تطور أشكال المدرسة وتنوع مناهجها وظيفتها الأصلية: **المدرسة هي مدرسة الدولة حيث تصنع الدولة من الأطفال عبيداً لها**.. نجحت الخطة وتخلت الأسر عن أطفالها وسلمتهم لمدرسة الدولة.

أما الأسرة بوصفها مؤسسة لإعادة الانتاج البيولوجى مكونة من أب وأم وأبناء فهى فى طريقها إلى الانقراض؛ فبعد الأسرة الممتدة والأسرة النووية ها هو العالم يتحول تدريجيا إلى **الأسر أحادية الوالدية** Monoparentale فرصة للرأسمالية المتوحشة المفترسة لمضاعفة مداخيلها بمضاعفة عدد الأسر المستهلكة! (خلال ربع قرن تضاعف عدد الأسر أحادية الوالدية، وفي بعض الدول 1 من كل 5 أسر هي عائلات أحادية الوالدية، وهذه النسبة سترتفع أكثر خلال السنوات المقبلة بالنظر لمعدلات الطلاق المرتفعة عالميا).

إن الوظيفة الأولى للمدرسة كانت ولا تزال هي إلغاء دور الأسرة ورقابتها على أبنائها واستبدالها برقابة الدولة. صحيح أن المدرسة لم تتجاهل دور الأسرة، ولكنها حولته إلى دور هامشي عندما اعتبرتها مجرد شريك لمشروع المدرسة إلى جانب الشركاء الآخرين. هكذا أصبح الطفل موضوعا لمشروع المدرسة (أي مشروع الدولة) لا لمشروع الأسرة، هذا إن كان للأسرة مشروع!

النتيجة كانت كارثية، وقد عبّر عنها طوماس بيرنهارد في مقطع من رواية (السادة الأوائل)، يقول: "**عندما دخلت إلى المدرسة، فأنا في حقيقة الأمر دخلت إلى الدولة. وبما أن الدولة تُدَمِّر كل الكائنات، فمعنى هذا أنني دخلت إلى المؤسسة المتخصصة في تدمير الكائنات. لقد أجبرتني الدولة على الدخول إليها، مثلما أجبرت كل الآخرين، وحَوَّلتني، مثلما حَوَّلت كل الآخرين، إلى كائن خاضع لها. لقد صنعت مني، ومن كل الآخرين، إنساناً منضبطاً ومُرَوَّضاً ومُشَوَّهاً ومُكْتئباً وحاملاً لشهادة**". وهكذا لم نعد نرى من حولنا إلا عبيداً للدولة، يقضون حياتهم بالكامل في خدمة الدولة، أي في خدمة كل ما هو مضاد للفطرة والطبيعة. ويحتاج هؤلاء العبيد للتحرر

من عبوديتهم إلى فهم معنى "التعليم الأساسي"، ولماذا هو إجباري؟ هو "**أساسي**" لأن المسار الكامل لحياة العبودية ينبنى عليه، وهو "**إجباري**" لضمان الحد الأدنى من السنوات الضرورية لترويض الجسد على هذه العبودية الجديدة!

كم كان أفلاطون ذكيا عندما اقترح فى جمهوريته الفاضلة أن تقوم الدولة بنزع الأطفال من أسرهم وتتكفل بتربيتهم وفق توزيع مسبق للأدوار الاجتماعية، وكم كانت الدولة القطرية أكثر ذكاء ومكرا عندما عززت حظوظ نجاح هذا التنظير الأفلاطونى المثالى لإعادة الانتاج الاجتماعى باختراع واقعى ماكر اسمه "المدرسة" وإيديولوجية ماكرة اسمها "حقوق الطفل"، وكم كانت "**الأسر الطيبة**" غبية وجبانة عندما سلمت أبناءها للدولة لتقوم بإعدادهم في مدارسها ليكونوا خداماً أوفياء عند الدولة مستقبلا، وكم كانت "**الأسر الحازمة**" ذكية وحازمة عندما استثمرت فى مدرسة الدولة بذكاء دون أن تتخلى عن رقابتها لأبنائها لصالح رقابة الدولة وعن مشروعها مع أبنائها لصالح مشروع الدولة. **إن ما تمنحه المدرسة على علاته مهم**

لمن يتقن استثماره بذكاء، لكنه خطير على من لا يفهم اللعبة!

نهاية الخصوصية

من القيم التى انجرفت أيضاً وستنجرف أكثر مع تيار «عصر النهايات» قيمة الخصوصية.. انمحت الحدود الفاصلة بين الفضاء العام والفضاء الخاص، وعشنا لنرى تبخر الفضاء الخاص وتوزع ما بقي منه ما بين "**خصوصية شقية**" وظيفتها تعزيز الرقابة الذاتية وممارسة النقد الذاتى لمنع الذات من القيام بمشاريع غير متلائمة مع القواعد التى يضعها صانعو الألعاب، و"**خصوصية مستباحة**" تم اجتياحها من طرف جهات تحركها حوافز اقتصادية أو سياسية.

عندما نقوم اليوم بإرسال رسالة إلى قريب أو صديق أو زميل فى العمل فإن نفس الرسالة تصل منها ما يشبه "نسخة كربونية خفية BBC "إلى مجموعة من المعلنين والمتسللين وشركات التكنولوجيا الكبرى، لكن بغير إذن منا ولا علم!

لم تعد هذه الحقيقة مجهولة من أحد ولا مُزعجة لأحد، والقلة القليلة من المنزعجين سيوفر لهم صانعو اللعبة والمتحكمون فيها بدائل "آمنة" تشتغل وفق

توقعاتهم لحين تلاشي حس اليقظة لديهم أو انقراضهم! **الصبر أهم مُكوّن في أي لعبة، وصناعة الأمل لا تقل أهمية عن صناعة الخوف لمن يسعى إلى الرقابة الشمولية والتحكم المطلق**، ويجب ألا ننسى أن كل الممارسات الجديدة المزعجة كانت دائماً وعبر التاريخ تبدأ شاذة ومرفوضة وتنتهي طبيعية ومقبولة، **وكل ما يحتاج إليه صانعو ألعاب التحكم هو القليل من الصبر من طرفهم والكثير من الغباء والاندفاع من طرف القطيع.**

إنه تحول آخر من تحولات "عصر النهايات".. كأن الفعل التواصلي الذي كان يتم في فضائين متمايزين عام وخاص ووفق قواعد مختلفة لكل منهما، أصبح يتم في فضاء واحد يمكن أن نسميه ب "**الفضاء العاص**" (التسمية من عندي) الشبيه بفضاء أفلام "ألعاب الجوع" حيث تنمحي كلياً الحدود الفاصلة بين الفضائين العام والخاص، وحيث يتابع جميع سكان الفضاء العام الجديد المبني من الواقع المعزز الحياة الخاصة للاعبين غير مُعززين ولا مُكرمين، وحيث تُغَذي قصص الحب المُثيرة والأحداث المشبعة بالشحنات العاطفية القوية شغف المتابعة "المشروعة" للحياة الخاصة والحميمية للآعبين التي

أصبحت مجرد سباقات مجنونة من أجل البقاء في فضاء عام افتراضي أو في واقع معزز !

الخصوصية إذن فى طريقها أيضاً إلى محطتها النهائية، ومظاهر هذه النهاية متعددة :

- الإحصاءات اليوم تقول أن عدداً قليلاً جداً من شركات التقنية العالمية لديها كميات ضخمة جداً من البيانات حول الجميع.. معادلة مُرعبة وغير متوازنة.
- كل حكومات العالم تضغط لإنهاء التشفير أي لإنهاء الخصوصية، أو تضغط للحصول على الخوارزميات السرية لفك شفرات المعلومات الخاصة للأفراد.
- تحوّلت حياتنا الخاصة بشكل كبير إلى الإنترنت، وتوسع هذا التحول وزادت وتيرته مع الأزمة العالمية الحالية، ولأن الإنترنت فضاء عام أصبحت حياتنا الخاصة سيرة شعبية متداولة ومتاحة للجميع.

- كان التواصل قديماً هو الاشتراك في المعنى، أما اليوم فهو الاشتراك في القناة؛ قناة التواصل أصبحت أكثر تطوراً وأهمية من الرسالة نفسها. وبتحول التواصل من مركزية الرسالة إلى مركزية القناة فقدت الخصوصية قيمتها، لأن الخصوصية صفة في الرسالة وصاحبِها لا في القناة.

- بعض الشركات والمواقع تعرض بكل وقاحة اقتناء المعلومات الشخصية للمستخدم واستخدامها لأهداف تسويقية مقابل خدمة مجانية، وتجد رغم ذلك الكثير ممن يبيع معلوماته الشخصية بكل محبة.

- أصبح من الرائج كثيراً التضحية بالخصوصية من أجل التربح من خلال "التصريح بالممتلكات الشخصية" أو زيادة المتابعين أو لمجرد امتلاك قناة مجانية للتواصل.

- شركات التقنية العالمية مهتمة بشكل كبير بالحياة الشخصية للأفراد، وتجمع بعلمهم أو

بغير علمهم معلومات كثيرة عن حياتهم الشخصية.

- تقوم شركات التقنية العالمية من حين لآخر بتحديث شروط الخدمة وسياسة الخصوصية لإعلام المستخدمين بشروط جديدة لإدارة بياناتهم وتخزينها واستخدامها، وهذه الشروط الجديدة غالبا تستبيح خصوصيات المستخدمين.

- بعض شركات التقنية العالمية لا تخضع للرقابة المستقلة، إذ تقوم بالتسلل إلى معلومات المستخدمين بكل جرأة وحرية ودون أي رقابة.

- جزء مهم من النمو الاقتصادي اليوم مصدره تكنولوجيا المعلومات، التي هي في جزء كبير منها تكنولوجيات عسكرية ومخابراتية فى الأصل.. التحفيز الاقتصادي والتحفيز السياسى يتبادلان المنافع والأدوار !

- معظم الناس للأسف لا يهتمون بالخصوصية اعتقاداً منهم أن البيانات الشخصية تُجمع فى الغالب للإعلان فقط لا لأهداف سيئة.

- الغالبية العظمى من الأفراد يوافقون على شروط وسياسة الخصوصية على الإنترنت دون قراءتها.

- معظم الأفراد أصبحوا متواطئين مع شركات التقنية العالمية بأنفسهم على أنفسهم حين ينقلون معطياتهم الشخصية الخاصة إلى الشبكات الاجتماعية العامة فى موجة أشبه ما تكون بمجاراة ومواكبة الموضة، ولا ينتبهون لهذه الأخطاء القاتلة إلا عندما يجدون أنفسهم في موقع المساءلة والمحاسبة.

- لا يملك الأفراد والمؤسسات الحق ولا القدرة على إزالة معلوماتهم الشخصية من الإنترنت لأن حذف المحتوى من المواقع أو الصفحات الاجتماعية لا يحذفه من محركات البحث،

ولأن عملية استرجاع أي محتوى محذوف ممكنة دائما من الناحية التقنية.

- ستتراجع الخصوصية كقيمة مع الأجيال الجديدة الصاعدة؛ فجيل z (جيل ما بعد سنة 2000) حاضرون بقوة في الشبكات الاجتماعية، والأنترنت والتكنولوجيا والهواتف الذكية جزء أساسى فى حياتهم، ومستعدون للتنازل عن خصوصياتهم عند الضرورة من أجل ممارسة قدراتهم التأثيرية من خلال الشبكات الاجتماعية والأنترنت، كما يتميزون بقوة التواصل والتعاون والتقاسم دون اعتبار للحدود الفاصلة بين قواعد الفضاء العام وقواعد الفضاء الخاص، ولا يهولون من الخصوصية كما هو الشأن بالنسبة لجيل x (جيل ما بين 1960 و 1980) وجيل y (جيل ما بين 1980 و 2000).

أصبح من الطبيعي جداً، أن نجلس في غرفة مغلقة جداً، لنجري محادثة خاصة جداً، بينما يجلس بكل محبة إلى جوارنا مباشرة شخص غريب جداً، يدوّن كل ما قلناه

ويرسله إلى الحكومة وإلى شركات الدعاية والإعلان وشركات التكنولوجيا الكبرى! جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالخصوصية!

نهاية السعادة

لا وجود للسعادة بالمعنى الفلسفى المطلق كحالة من الرضا التام والمستدام بما تناله الذات، فالسعادة مجرد حالات شعورية قليلة نقتنصها اقتناصاً فى لحظات عابرة، ومع ذلك تعمل الرأسمالية العالمية المتوحشة على افتراس هذه الحالات المحدودة واللحظات العابرة أيضا !

هل يمكن للسعادة أن تستمر والحال أن أسبابها فى طريقها إلى الانقراض؟

بعيدا عن التأملات الفلسفية المجردة والتعريفات الفلسفية المطلقة للسعادة، دعونا ننطلق من نتائج العلم من خلال الكثير من الدراسات العالمية حول السعادة لنقف على أسبابها في المعيش الواقعي للإنسان.

تتلخص أهم أسباب السعادة، حسب الدراسات العلمية، في العوامل الأساسية الآتية :

- العلاقات الاجتماعية

- الرضا عن العمل
- الرضا عن الدخل
- مستوى التعليم والثقافة
- وقت الفراغ

هذه الأسباب والعوامل، فماذا تبقى منها في ظل التحولات والانهيارات والنهايات؟ من الواضح أن السعادة على قلتها في طريقها أيضاً نحو النهاية.

1ـ ماذا تبقى من العلاقات الاجتماعية؟

أبرزت دراسة أمريكية تأثير العلاقات الاجتماعية على سعادة الإنسان، وبشكل خاص الحياة الأسرية والزواج والصداقة والجماعة المحلية والانتماء إلى التنظيمات الاجتماعية. وأبرزت دراسة بريطانية أن السعادة التى يكون مصدرها العلاقات لها ثلاثة أبعاد: الدعم المادي والدعم العاطفى والمشاركة فى الاهتمام. ترى ماذا بقى من هذه العلاقات الاجتماعية ومن أبعادها فى عصر النهايات؟ وإلى أي حد لازالت هذه العلاقات تساهم فى شعور الفرد بالسعادة؟

في عصر النهايات طالت الانهيارات المتعددة العلاقات الاجتماعية بدورها التى ازدادت تفككاً بسبب الإجهاد البدني والارهاق الذهني والاحتراق النفسي :

- **على مستوى العلاقات الأسرية** تراجعت الاستجابات اللفظية الايجابية والسلوك المستثير للسعادة كالقبل والهدايا والمساعدة العملية وقلّ الوقت الذي يقضيه الزوجان معا، وزادت فى المقابل الاستجابات اللفظية السلبية والنقد للطرف الآخر وفشل العلاقة الجنسية وضعف الاتفاق على المسائل المادية والعجز المتزايد عن تفهم وجهة نظر الآخر.

- **الظروف المادية الضاغطة** زادت الطين بلة بسبب محدودية الدخل وغلاء المعيشة والتضخم وانهيار القدرة الشرائية وسحق الطبقة الشعبية تماماً وإنهاك الطبقة المتوسطة وإلباسها أشكالاً جديدة للفقر، من تراجع الدعم المادي والدعم العاطفى والمشاركة فى الاهتمام في العلاقات الأسرية.

- **على مستوى علاقات العمل** قلّت فرص التفاعل الاجتماعي أثناء العمل وجو المرح المحيط بالعمل وقلّ

أيضا التقدير والتمكين والمشاركة في اتخاذ القرار من جانب المشرفين، كما ساهم غياب أو ضعف الزيادة فى العائد المادي من العمل فى تراجع دور العمل فى تحقيق السعادة.

2ـ ماذا تبقى من الرضا عن العمل؟

المصدر الأول للرضا عن العمل هو الرضا الذاتى المرتبط بمشاعر الانجاز وتحقيق الاهداف والاعتراف والنجاح فى العمل، لكن الطبيعة الجديدة للعمل فى عصر الرأسمالية المعرفية المفترسة للحقوق والواجبات أفقدت العمل الكثير من ميزاته كالاستقرار (أي سعادة وأي رضا مع عمل بعقد مؤقت؟) والأجر (أي سعادة وأي رضا مع عمل بأجر لا يحقق الكفاية والكرامة والعدل ولا يواكب غلاء المعيشة ومستويات التضخم المرتفعة؟).

3ـ ماذا تبقى من وقت الفراغ؟

أنشطة وقت الفراغ هى كل شىء يفعله الإنسان أثناء الساعات التى لا يكون فيها نائما أو يعمل أو يأكل أو يرعى نفسه أو أسرته، وكيفية قضاء الناس وقت فراغهم

تعطينا مؤشرات هامة عما يريده الناس وما الذي يجعلهم سعداء.

في ظل استنزاف العمل وملحقاته كالتدريب والتعلم المستمر لمواكبة المعارف والمهارات المهنية المستجدة لجزء كبير من وقتنا، وفي ظل استغراق ما تبقى من الوقت في الأشكال الجديدة لرعاية الأبناء المرتبطة بالمدرسة وواجباتها والدعم بأشكاله المختلفة والنوادي والأنشطة، ترى ماذا يتبقى للآباء والأبناء على حد سواء من وقت للفراغ؟ كم أصبح متاحا لنا من الوقت للأسرة والتدين والأصدقاء والعمل التطوعي والقراءة والتواجد مع الأقارب واللعب والعمل المنزلي والاسترخاء والسفر والاجازات وزيارة الحدائق العامة والإنصات الى الموسيقى ومشاهدة الأفلام وممارسة الرياضة والانخراط في الأندية والجمعيات وممارسة السياسة؟

4ـ ماذا تبقى من الرضا عن الدخل؟

أكدت الكثير من الدراسات أن المال لا يجعل الناس سعداء، أو هو ذو تأثير محدود، لكن المال يمكنه أن يزيد من الشعور بالسعادة بسبب ما يوفره من إمكانات.

في دراسة أمريكية وجد أن الدخل يرتبط بالمشاعر الايجابية، وفى دراسة بريطانية ثبت أن المقارنة وليس الدخل هو مصدر الرضا عن الدخل.

سواء كان مصدر السعادة هو الدخل أو مقارنة الدخل فإن السعادة المرتبطة بالدخل في تراجع مهول بسبب تزايد نسب البطالة (انعدام الدخل)، وتراجع مستويات الأجور والرواتب، وتعاظم الفروقات في الدخل.

5ـ ماذا تبقى من التعليم والثقافة؟

أثبتت الكثير من الدراسات أيضا أن التعليم له تأثير أقوى على السعادة وأن الأعلى تعليما يشعرون بسعادة أكبر، لكن ماذا تبقى من التعليم والثقافة فى زمن تَسَوّق فيه كل شىء حتى المعرفة والعلم والثقافة، وانمحت الحدود الفاصلة بين المعرفة والتقنية، وماذا تبقى من السعادة المرتبطة بالتعليم فى زمن تخلف التعليم وفشله.

لم يتبق إذن من العلاقات الاجتماعية والرضا عن العمل والرضا عن الدخل ومستوى التعليم والثقافة

ووقت الفراغ إلا القليل، والسعادة التي تتغذى من هذه المصادر في طريقها إلى الاختفاء أيضا.



الفصل الخامس

نهايات في المجال الاقتصادي



نهاية المِلْكِيَّة الخاصة

قد تبدو المِلكية الخاصة أصلَ كل الشرور إذا استحضرنا أن المهيمنين يرون فيها ضماناً لاستمرارية هيمنتهم فيتموّلون بالمزيد منها ويحرمون المستضعفين من سبل الوصول إليها.. إنه التجسيد الفعّال لقاعدة: "**تملّك أسلحة المواجهة واحرم عدوك منها**".

لكن ماذا لو بلغ الاستخدام الاجتماعى لهذه القاعدة أقصاه وقررت الرأسمالية العالمية تتويج انتصاراتها على الفقراء والطبقة المتوسطة بوضع حد نهائي للمِلكية الخاصة!؟

حتى نستطيع تصور احتمالية هذا السيناريو الذي يبدو بعيداً فى خيال الطيبين سفراء النوايا الحسنة دعونا أولا نُذَكّر بأن **المِلكية الخاصة ليست غريزة كما يعتقد الكثيرون، وإنما هي ممارسة تاريخية واجتماعية**، أي كائن غير متعال عن مظروفيته التاريخية والاجتماعية يخضع لسُنَّة البداية والنهاية والتغيير.

كم هو ساذج وسطحي هذا التصور الذي يعتبر الملكية الخاصة حقاً طبيعياً نابعاً من غريزة متأصلة في

الطبيعة الإنسانية.. نعم ساذج وسطحي لأنه يكفي أن نستحضر تاريخها الاجتماعي وتطور فكرة الملكية الخاصة وأنظمتها عبر التاريخ لنُدرك أنها كانت ولا تزال مجرد سياسة عامة بيد الدولة للإدارة السكانية، واستراتيجية للهيمنة بيد الرأسمال.

الملكية علاقة بين ذات وموضوع.. حق لذات على موضوع، لكن التدخل المتزايد للدولة بقوانينها المهددة للملكية الخاصة، والزحف الذكى للرأسمالية العالمية بنماذج أعمالها قلّص ويُقلّص هذا الحق، والسؤال هو: **هل تتجه الملكية الخاصة في المستقبل إلى نهايتها؟**

العلامات الدالة على هذه النهاية المستقبلية كثيرة، منها:

- التوجه العالمي نحو **استبدال المنتج بالخدمة** على نطاق واسع وفى كل المجالات والقطاعات.. ماذا سيتبقى من الملكية إذا استحضرنا أن الملكية الحقيقية فى المنتج لا في الخدمة!؟

- الانتشار المتزايد وفي قطاعات مختلفة **لنماذج الأعمال "الذكية" الجديدة التي تعتمد على ممتلكات الغير** وتُغيّر المفهوم التقليدي للملكية الشخصية، على شاكلة شركة Uber أو شركة Airbnb وهذا النوع من نماذج الأعمال يضرب عصفورين بحجر واحد: يقدم خدمة تجعل الاستخدام الشخصى للممتلكات (سيارة أو منزل مثلا) متجاوزاً، ويُؤسس فى نفس الوقت لسياسة تقييدية للمالك على مِلكيته.. **في الماضي كان ذكاء الأعمال هو الاشتغال بأموال الآخرين، أما اليوم وغدا فسيكون هو الاشتغال بممتلكات الآخرين!**

- انتقال حالة المنتجات من الملكية المادية والنفسية الاجتماعية إلى "**العبء**" الذي يثقل كاهل مالكها بالتعقيدات البيروقراطية والمصاريف التشغيلية والضرائب التى تتفنن الدولة في اختراع المزيد منها.

- المنتدى الاقتصادي العالمى، وهو إحدى الأدوات التي تستخدمها الرأسمالية العالمية

لصناعة النهايات والبدايات، قدّم رؤيته لمستقبل العالم فى مقال له على موقعه على الإنترنت وفيديو له على قناته على اليوتيوب بعبارات دالة: "**أنا لا أملك أي شيء.. أنا لا أملك سيارة.. أنا لا أملك منزلًا.. كل هذه الأشياء أصبحت مجانية، لذلك ليس من المنطقي بالنسبة لنا أن نمتلك بعد الآن.**" وفى عبارة أخرى: "**مرحبًا بكم في المستقبل.. أنا لا أملك شيئًا، وليست لدي خصوصية، والحياة أفضل من أي وقت مضى**".. إنها المعرفة المقنّعة بقناع العلم التى تصنع الواقع من خلال ادعاء وصفه!

الخلاصة.. هل يمكن للملكية الخاصة أن تنتهي؟ قد يكون الجواب البديهى بالنفى إذا اعتبرناها غريزة فطرية أو حق، لكن سواء كانت الملكية الخاصة غريزة بدون تاريخ أم مجرد سياسة عامة بتاريخ اجتماعى فإن كل الاحتمالات ممكنة مع الرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة لكل شىء، ويبدو بشكل واضح، من خلال الكثير من العلامات الضعيفة والقوية، أن الرأسمالية العالمية لديها رؤية بعيدة

المدى لإلغاء الملكية الخاصة أو على الأقل إعادة اختراعها بأشكال جديدة تفرغها من مفهومها المألوف ووظائفها الاعتيادية.. **كان الله للأجيال المقبلة**!

نهاية السوق

عبر تاريخ الإنسان تعاقبت ثلاث موجات حضارية، حضارة الاقتصاد الزراعى وحضارة الاقتصاد الصناعى وحضارة اقتصاد المعرفة، وكان لكل موجة حضارية تأثيراتها الخاصة على المؤسسات الاجتماعية الأساسية: الأسرة والمدرسة والسوق.

على مستوى السوق، أنتجت موجة الاقتصاد الزراعى البازار والباعة المتجولين، وأنتجت موجة الاقتصاد الصناعي المؤسسات التجارية، **ترى كيف سيكون شكل السوق مع اقتصاد المعرفة!؟**

لاستشراف مستقبل السوق علينا أولا أن نحلل ونفهم التحولات العالمية الجارية حاليا في السوق.

واقع الأسواق والمؤسسات التجارية الآن عنوانه الأزمة.. وليست ككل الأزمات العابرة فى سياق الدورة الاقتصادية: الانتعاش ثم الذروة ثم الركود ثم الكساد ثم الانتعاش من جديد وهكذا دواليك. **الأزمة الحالية عنوانها خارج الدورة الاقتصادية! إنه الإنفجار العظيم.. تفجير رأسمالي عالمي متوحش للأسواق من الداخل.**

وحوش رأسمالية مُعَوْلَمَة على شاكلة أمازون تخرج، كما يخرج الحى من الميت، من جثث الأسواق والمؤسسات التجارية المنهكة بالأزمة العالمية، ومؤشرات هذا الخروج كثيرة منها مثلا معدلات نمو الأسواق والمنصات الإلكترونية العالمية وشبكات التوزيع الضخم وهو نمو مُرعب يتجاوز في بعض الدول 500٪، فى مقابل الموجة الكبيرة لإفلاس الشركات فى نهاية 2020 وبداية 2021 حيث تقدر دراسة لعملاق التأمين أليانس أن عدد عمليات الإفلاس ستزداد مقارنة مع معدلات الإفلاس في 2019 بنسبة 57٪ في أمريكا، و45% في البرازيل، و43% في بريطانيا، و42% في هولندا، و41% في إسبانيا، و40% في الصين.

تستطيع شركة رأسمالية عالمية واحدة بامتلاكها فقط لتطبيق على الهاتف أو منصة إلكترونية أن تفجر مهنة أو قطاع بأكمله من الداخل وتحوله إلى قطاع محتكر من طرفها على المدى البعيد، والأمثلة كثيرة :

- شركة أوبر فجرت قطاع النقل وأضرت بمصالح الشركات الوطنية العاملة فى هذا القطاع وبسيارات الأجرة في الكثير من بلدان العالم.

- شركة أمازون المعولمة وأذرعها التجارية المتخصصة بإمكاناتها ووسائلها التى تكاد تكون لا محدودة فجرت قطاع التجارة الإلكترونية من الداخل وتسببت فى إفلاس الكثير من المنافسين الجدد والقدامى.. ومع التوسع المطرد لهذه الشركة من قطاع الكتب إلى قطاع الإلكترونيات إلى قطاع اللوجستيك إلى قطاع المواد الغذائية... **أصبح السوق هو أمازون وأمازون هي السوق!**

إن أول وأكبر الضحايا لهذا التحول العالمي نحو الرقمنة والتغيير فى نماذج الأعمال هم الأسواق والمؤسسات التجارية الصغيرة والمتوسطة وإلى حد ما الكبيرة أيضاً.

أما أسباب هذه النهاية فمتعددة.

السبب الرئيس هو قواعد اللعبة غير العادلة وعدم تكافؤ الفرص فى الوصول إلى التقنية المتطورة ومصادر التمويل وشبكات التسويق مع المؤسسات التجارية الرأسمالية العالمية وعلى رأسها الوحوش التجارية العالمية (أمازون وغوغل وميكروسوفت وآبل...).

ومع هذا السبب وبعده تأتي أسباب أخرى، بعضها ذاتي والبعض الآخر موضوعي :

- غياب الوعى بالتحول الرقمى الجاري عالميا وبرهاناته الخطيرة.

- غياب استراتيجية رقمية واضحة لدى الكثير من الحكومات والمؤسسات والشركات.

- غياب الإمكانات المالية لإنجاز التحول الرقمى المطلوب.

- إنجاز تحول رقمي فاشل لأسباب ثقافية غالبا.

- الاستمرار فى الاشتغال بنماذج الأعمال التقليدية والعجز عن التحول إلى نماذج أعمال جديدة ومبتكرة.

- غياب سياسات ورُؤَى ومشاريع واضحة وفعالة للدولة لحماية المؤسسات التجارية الوطنية من تغوّل المؤسسات التجارية العالمية.

من الواضح أن الأسواق والمؤسسات التجارية الصغيرة والمتوسطة والتى تشتغل بنماذج أعمال تقليدية في طريقها نحو محطتها النهائية ككل نهايات الانفجار

العظيم! وهي اليوم وغدا بين نارين: نار شبكات التوزيع الضخم العامة والمتخصصة التى تلتهم الأخضر واليابس فى العالم الواقعى (وول مارت، كارفور، تيسكو، كروجر...)، ونار الشركات والأسواق والمنصات الإلكترونية العالمية التي تلتهم الأخضر واليابس في العالم الافتراضي (أمازون، غوغل، ميكروسوفت، آبل...). **إنه السوق بمفهومه الشمولي للافتراس وبقواعده المتوحشة للّعب: يضع المهيمن القواعد ويأخذ كل شيء إذا فاز!**

نهاية النقود

هل النقد محكوم عليه بالاختفاء؟

الجواب: نعم، فمن المؤكد أن القرن الجاري لن ينتهي قبل أن تغدو النقود الورقية جزءاً من التاريخ.

دعونا أولا نستعرض مظاهر هذه النهاية المرتقبة :

- الانتشار المتزايد لبطاقات الائتمان، وتحويل الأموال عبر الكمبيوتر والهاتف.
- تزايد المدفوعات عبر الإنترنت.
- تمديد الدفع بدون تلامس.
- مدفوعات الهواتف الذكية أصبحت ذات أهمية متزايدة.
- تراجع أعداد الصرافات الآلية وأجهزة السحب النقدي.
- فى الكثير من دول العالم. خاصة المتقدم، أصبحت آليات الدفع الإلكترونى، كبطاقة السحب الآلي أو البطاقة الائتمانية، هي

الوسيلة الأكثر استخداما، وأصبح من النادر الدفع نقداً.

النقد إذن محكوم عليه بالاختفاء والأسباب متعددة :

- التطور التكنولوجي وثورة الاتصالات هما أهم سببين لتخزين الأرصدة بطريقة إلكترونية، بحيث تم التقليص من حمل الأوراق النقدية بشكل كبير جداً الأمر الذي يُمهد لاختفائها تماما.
- رغبة الدول وحاجتها لتتبع جميع المدفوعات ومحاربة الاقتصاد غير المهيكل والتهرب الضريبى، وهنا يُمثل الدفع الالكترونى طريقة فعّالة لتحقيق هذا الهدف، فقد شهد حجم الإيرادات الضريبية انضباطا ملحوظا بنسبة تصل إلى 63 فى المائة، بسبب استخدام المدفوعات الإلكترونية فى عملية السداد في 22 دولة في أوروبا وأمريكا الشمالية وكل من اليابان وكوريا الجنوبية.

- اعتبار السيولة النقدية عامل تلوث، وقد تعزّز هذا الاعتقاد والتوجه مع الوباء العالمى كوفيد 19، ومن تم تفضيل الدفع بدون نقود.
- تزايد التجارة الإلكترونية عبر شبكة الإنترنت يُحتّم زيادة استخدام النقود الإلكترونية، لأن مواقع الإنترنت لا تقبل أوراقا نقدية أو عملات معدنية.

من الواضح أن النقود فى طريقها أيضا نحو محطتها النهائية ككل نهايات الانفجار العظيم!

نهاية الوظيفة العمومية

ليس من السهل تناول مواضيع معقدة وحساسة، كالأسرة والمدرسة والجامعة والتخصص والشهادة والوظيفة والتقاعد والسوق والسياسة والديمقراطية والمصلحة العامة والقيادة، دون صعوبات وسوء فهم. ومع ذلك قررنا ركوب المغامرة؛ لأن مستقبل مجتمعاتنا بحاجة إلى هذا النقاش لمواكبة التحولات الجذرية والشاملة الجارية.

ولفهم هذه التحولات الجارية التي بدأت تطال القيم والمؤسسات التى وضعنا فيها ثقتنا فى الماضى علينا أولا أن نتحرر من الارتباط الفكري والعاطفى والمصلحى بها، وأن نتحرر أيضا من النظرة التجزيئية واللاسياقية مع الأحداث؛ لا يمكن فهم الأحداث القطاعية والمحلية بدون ربطها ببعضها البعض وبالصورة الكلية وبالسياق الجديد لتوجهات الرأسمالية العالمية في القرن الواحد والعشرين.

الرأسمالية العالمية فى صيغتها الصناعية سابقا اخترعت الأسرة النووية والمدرسة والوظيفة والتقاعد والمؤسسات التجارية والديمقراطية لتلبية حاجاتها وخدمة

مصالحها، وهي اليوم في صيغتها الجديدة المعرفية تعمل على إلغائهم أو إعادة اختراعهم فى أشكال جديدة تستجيب لحاجات مستجدة عندها وخدمة مصالحها دائما.

على الذين يواجهون سياسات حكومية محلية أو يعيشون مُطمئنين في دفء مكتسباتهم التي منحتهم هذه المؤسسات سابقا أن يفهموا أن ما تقوم به رأسمالية القرن الواحد والعشرين الآن ليس تغييرا للعبة ولقواعدها وإنما تفجير لها من الداخل.

دعونا بعد هذه المقدمة نرى هذا التفجير من الداخل الذي تقوم به رأسمالية القرن الواحد والعشرين للوظيفة العمومية.. دعونا نُرَكِّب الصورة النهائية الكلية من خلال وضع القطع الصغيرة بشكل سليم بجانب بعضها. هاكم بعض القطع :

1ـ أغلب حكومات العالم وضعت فى السنوات الأخيرة مشاريع استراتيجية تؤسس لنماذج جديدة للوظيفة العمومية تُحدث قطيعة مع الوظيفة العمومية كما نعرفها.

2ـ من هذه المشاريع تقليص خطط التوظيفات الجديدة إلى حدها الأدنى أو إلغاؤها فى بعض الحالات كما حدث مؤخرا فى قوانين المالية لسنة 2021 لبعض الدول التى نصت على تقليص أو إلغاء مناصب الشغل فى الوظيفة العمومية بمبرر تداعيات كوفيد 19.

3ـ عدم استبدال الموظفين المتقاعدين بموظفين جدد: مثلا قانون ساركوزي بفرنسا: "عدم استبدال موظف واحد من كل موظفين أحيلا على التقاعد".

4ـ التوجه نحو إنهاء مبدأ التوظيف مدى الحياة واعتماد التوظيف بالتعاقد. فى بعض الدول تجاوز عدد الموظفين المتعاقدين مع الحكومة المليون منذ سنوات. من سيغامر ببناء أسرة بعقد لمدة سنتين مثلا!؟

5ـ تقليص أنظمة الترقيات إلى حدها الأدنى. من سيقلص فى المقابل معدلات الزيادة المطردة فى تكاليف المعيشة!؟

6ـ التوجه العالمى المتزايد لإدارة الموارد البشرية بالجدارات Competence في أفق التوظيف بالجدارات بدل التوظيف بالشهادات، وتوقيع الرئيس الامريكي

ترامب في يونيو 2020 أمرًا تنفيذياً يأمر فيه الحكومة الفدرالية بالتوظيف بناء على القدرات والمهارات والجدارات بدلا عن الشهادات الأكاديمية مؤشر واضح على هذا التوجه.

7ـ التوجه المتزايد نحو الإدارة الاستراتيجية والتوقعية للمهن والكفاءات لتقليص الصدمات الاجتماعية وتحقيق التحول نحو النموذج الجديد للوظيفة العمومية، الذي ستكون تكلفته الاجتماعية باهظة، بأقل المعارضات والمواجهات.

8ـ التوجه العالمى المتزايد نحو تبسيط الإجراءات ورقمنة الخدمات الحكومية، وهذا سيترتب عنه تقليص كبير جدا فى احتياجات الإدارات الحكومية من الكادر البشري مما سيؤدي إلى تزايد خطط الاستغناء وتراجع خطط التوظيف.

9ـ فى الماضى كانت الدولة تستقطب الشباب وتؤهلهم لإدماجهم فى الوظيفة لأنها كانت بحاجة إلى جيش من الموظفين لسد احتياجاتها في إدارة المرفق العمومي ولتقوية الدولة، أما اليوم فالدولة القُطرية التي

صارت مغلوبة على أمرها أصبحت، فيما يبدو أنه توجه عام للرأسمالية العالمية، تمنح القروض للشباب وتؤهلهم من أجل "تحريرهم" من عبودية الوظيفة العمومية وتوريطهم في عبودية القروض.

10ـ ومن المصادفات العجيبة أن مسميات بعض القوانين الجديدة للوظيفة العمومية مثيرة للسخرية: قانون التحولات المهنية الآمنة فى حالة إعادة الهيكلة! قانون الموظفين المحرومين من الوظيفة !

لقد انتقدنا الوظيفة لسنوات وقلنا عنها إنها، مع المدرسة، **أسوأ اختراعين في تاريخ البشرية**. كنا ننتقد ونحن نتوقع أنه سيأتى يوم ستُغَنّى فيه فئات واسعة تَحِنّ إلى الوظيفة وتطلبها ولا تجدها: "جادك الغيث إذا الغيث همى، يا زمان الوصل بالوظيفة العمومية"!

قريبا ستصبح عبودية الوظيفة العمومية ذكرى من الماضى وسيذكرها التاريخ بصفة عبودية القرن العشرين، أما عبودية القرن الواحد والعشرين فستكون عبودية البطالة العالمية المؤدى عنها ب "**راتب العجز العالمي**" الذي يحمي من التشرد ويكفي للأكل والنوم وإعادة إنتاج

منظومة العبودية العالمية (بعض الدراسات الاستشرافية تقول أن نسبة البطالة سنة 2070 ستكون 80%).

نهاية أنظمة التقاعد

من المؤسسات التى ستنتمى أيضاً إلى «عصر النهايات» أنظمة التقاعد.

فى السنوات الأخيرة تعددت إصلاحات أنظمة التقاعد وتنوعت، لكن يبدو بوضوح أن الهدف واحد: تقليص امتيازات المستفيدين من صناديق التقاعد على المدى القصير والمتوسط فى أفق إلغائها بطريقة ماكرة بمنطق الأمر الواقع على المدى البعيد. والبديل المنتظر هو صناديق التقاعد الخاصة.. تريد تقاعداً خذ لك بوليصة تأمين خاص! لاحظوا مرة أخرى أن الرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة ترى فى كل شىء فرصاً استثمارية، ومع ذلك لازال البعض يُصِر أننا نرسم لوحة تحليلية تشاؤمية مبنية على الخوف وأننا أعطينا الرأسمالية العالمية أكثر من حجمها.. الطيبون يحسنون الظن دائما ومتفائلون، أما الحزم فقاعدته سوء الظن خاصة مع من لهم سوابق فى التوحش والافتراس كالرأسمالية العالمية.

إن الانفجار العظيم، من الداخل طبعا، الذي سيقع فى أنظمة التقاعد العالمية بدأت تُعلن عن قدومه علامات كثيرة، بعضها قوية وبعضها ضعيفة، وليس من قبيل المصادفة أن أزمة صناديق التقاعد عبر العالم تكاد تكون بنفس السمات، ومشاريع إصلاح أنظمة التقاعد عبر العالم تبدو متشابهة أيضا.

فى التحليل الأكاديمى المهنى البارد تبدو أزمة صناديق التقاعد موضوعية، فقد ساهمت عوامل موضوعية متعددة في تأزيم وضعيتها، وهي عوامل ديمغرافية واقتصادية بالأساس. ويمكن للتحليل البارد أن يضيف بعض الحماس المناضل ويدين أيضا سوء الإدارة والتدبير في بعض الحالات.

أحد العوامل الرئيسية هي تجاوز عدد المستفيدين لعدد المساهمين مما أدى إلى عجز صناديق التقاعد. فى بعض الدول كفرنسا سيتضاعف هذا العجز خمس مرات في أفق سنة 2025.

بالتحليل الأكاديمي المهني البارد أيضا يمكن أن نتساءل: كيف يمكن حل هذه المشكلة التي يبدو أن

الرأسمالية العالمية المتوحشة المفترسة لا يد لها فيها أو على الأقل لا تطمع في استغلالها؟

نظريا وواقعيا توجد حلول لهذه الأزمة، من هذه الحلول: زيادة مساهمات المنخرطين بشكل مباشر، أو زيادة مساهمات المنخرطين بشكل غير مباشر من خلال استحداث ضرائب خاصة، أو تقليص رواتب المتقاعدين، أو المزيد من الاستثمارات الناجحة لأموال الصناديق، أو تسييل الأصول، أو زيادة مساهمة الدولة.

تم اعتماد بعض هذه الحلول في الكثير من الدول وبقيت الأزمة قائمة، بل تفاقمت فى الكثير من الحالات، وعندما تفشل الوصفة الطبية فى علاج المرض ننتقل إلى العملية الجراحية. وتصبح العملية الجراحية مُغرية لا ضرورية فقط عندما ترى فيها الرأسمالية العالمية المفترسة فرصاً للاستثمار !

دعونا الآن نجمع ونُرَكِّب بعض القطع لفهم الصورة الكلية النهائية لهذه العملية الجراحية ولشكل ومضمون تقاعد المستقبل :

1ـ من كل الحلول الممكنة لأزمة صناديق التقاعد يبدو أن رفع سن التقاعد هو الحل المُفضل والمغري. قبل شهر وفى إطار عملى كمستشار للاستراتيجية قابلت أون لاين مدير التخطيط والاستراتيجية بأحد صناديق التقاعد الخليجية وسألته عن أفضل الحلول لأزمة صناديق التقاعد فأجاب بأن رفع سن التقاعد يحقق استدامة أكثر. إن سياسة الرفع التدريجى لسن التقاعد هو توجه عالمى، فقد تم رفع سن التقاعد من 60 إلى 62 إلى 64 إلى 65 إلى 70... ففي بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مثلا، يبلغ معدل سن التقاعد عند الرجال 64.3 سنة، مقابل 63.7 سنة عند النساء. هذا متوسط عام أي أن بعض دول المنظمة الوضع فيها أسوأ مثل أستراليا حيث يبلغ معدل سنّ التقاعد حاليا 65.5 سنة، وسيتم بداية من عام 2023 رفعه شهرين سنويا حتى يصل إلى 67 سنة، مع التفكير فى رفعه مجددا ليبلغ 70 سنة بحلول 2035. وفى الولايات المتحدة تم تحديد سن التقاعد منذ وقت طويل ليكون 65 سنة، ولكن بالنسبة للمولودين عام 1938 أو بعده، فإن سن التقاعد يصل إلى 67 سنة. الهدف من هذه السياسة واضح: الرفع التدريجى لسن التقاعد للوصول إلى متوسط العمر المتوقع (لسنا بعيدين

عن هذا الرقم ففي عام 2015 بلغ متوسّط عمر الإنسان المُتوقَّع العالمى 71.4 عاماً) بحيث يصبح عندك نسبة وفيات الموظفين عند سن التقاعد تساوي أو تقارب 100٪ وتنتهي المشكلة !

2ـ إلى جانب سياسة رفع سن التقاعد يلاحظ وجود توجه "تكميلى" لهذه السياسة نحو معاقبة الموظفين الذين يتقاعدون قبل السن الجديد للتقاعد بالاقتطاع، فيما سيستفيد أولئك الذين سيقومون بتأخير تقاعدهم من "مكافأة".. سياسة العصا والجزرة !

3ـ من إجراءات هذه العملية الجراحية أيضا التوجه بإلغاء الكثير من امتيازات المتقاعدين خاصة امتيازات صناديق التقاعد الخاصة، والتوجه في بعض الدول نحو إلغاء الصناديق الخاصة واعتماد نظام واحد وموحد هدفه الأساس التخلص من الامتيازات الممنوحة للصناديق الخاصة. فى فرنسا مثلا تم التوجه نحو إقامة "النظام الموحد" للتقاعد الذي سيحل مكان 42 نظاما قائما حاليا.

4ـ ومن امتيازات المتقاعدين التى سيطالها الإلغاء أيضا قاعدة احتساب راتب التقاعد بناء على رواتب أفضل

السنوات (وهي غالبا قاعدة القطاع الخاص) أو الأشهر الأخيرة (وهى غالبا قاعدة القطاع الحكومى) واعتماد كامل المسار الوظيفى كقاعدة لحساب راتب التقاعد مع منح وزن أعلى لرواتب السنوات الأولى للمسار المهنى.. النتيجة واضحة: انخفاض كبير في قيمة راتب التقاعد.

5ـ وأخيرا تشجيع حرية اختيار سن التقاعد ابتداء من سن متأخرة وتشجيع العمل بدون نهاية بحوافز ضعيفة في حدود زيادة 5٪ سنويا.

أما بعد، فإن الإطعام من جوع والأمن من خوف هما أساس النِّعَم والقاعدة المادية والنفسية لبقية النِّعَم. نقرأ عنهما فى القرآن فى سورة قريش كنعمتين عظيمتين: "**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**"، كما نقرأ عنهما فى العلم فى قاعدة هرم الحاجات لماسلو كحاجتين أساسيتين: الحاجة إلى الإطعام من جوع، ثم الحاجة إلى الأمن من خوف، والماكرون يفهمون هذا جيداً، لذلك يستخدمون ألعاب الجوع وألعاب الخوف للتحكّم.

إن وظيفة ألعاب الجوع وألعاب الخوف هي الإبقاء على جمهور اللاعبين فى حدود القاعدة المادية لهرم الحاجات الانسانية بعيداً عن المستويات العليا حيث الهوية الجماعية والكرامة الانسانية وتحقيق الذات الفردية والجماعية.

ألعاب الجوع الأساسية اليوم ثلاث: المدرسة والوظيفة والتقاعد، وهي تغطي في تعاقبها حياة الإنسان بالكامل، وتعززها ألعاب أخرى كالضرائب والتضخم. وحصيلة هذه الألعاب هندسة اجتماعية جديدة للطبقية من خمس طبقات: تحت عتبة الفقر، والفقر، والأشكال الجديدة للفقر، والأغنياء في وضعية هشاشة، والذين يملكون كل شيء؛ هذه هي نتيجة الذكاء الماكر للرأسمالية العالمية المتوحشة !

نهاية الطاقة الأحفورية

يُعطينا التاريخ درساً مهما فى اعتماد البشر على تدفقات الطاقة من أجل وجودهم الحضاري، وفى ارتباط أشكال المجتمعات والحضارات وتحولاتها بالطاقة؛ **فعبر التاريخ كان نوع الطاقة هو الذي يعطي للمجتمع والحضارة شكلهما،** ومع كل طاقة جديدة بداية تاريخ جديد، وكل الحضارات الكبرى والدول العظمى عبر التاريخ نشأت أو تطورت على إثر ظهور أشكال ومنظومات جديدة للطاقة؛ لقد أثر الانتقال التاريخي إلى الطاقة الأحفورية مثلا على كل شىء: الزراعة، والصناعة، والنقل، والأسلحة، والاتصالات، والاقتصاد، والتحضر، ونوعية الحياة، والسياسة، والبيئة. فالطاقة هى المصدر الأول لنوعية الحياة وشكل الحضارة والتقدم العلمي والتنمية الاقتصادية والقوة السياسية والعسكرية.

على مدار العشرة آلاف سنة الماضية كانت الابتكارات فى تحويل الطاقة (حرارة أو ضوء أو حركة أو قوة دافعة) وراء كل تقدم حضاري أو ثقافي أو اقتصادي، وها نحن اليوم نقف عند حافة نهاية دورة تاريخية وبداية دورة تاريخية جديدة، فالطاقة الأحفورية التي تقود

الحضارة اليوم يبدو أنها في طريقها إلى محطتها النهائية أيضاً.

مظاهر هذه النهاية متعددة :

- ابتعاد اقتصاديات العالم أكثر فأكثر عن الطاقة الأحفورية، والتوجه بشكل متزايد نحو مصادر الطاقة المتجددة على حساب الطاقة الأحفورية.
- تزايد القدرة التنافسية لمصادر الطاقة النظيفة.
- التوسع فى إبرام الصفقات الخضراء الهادفة إلى صافي انبعاثات صفرية بحلول عام 2050.
- كشف تقرير جديد بشأن إنتاج الطاقة أن بلدان الاتحاد الأوروبي تمكنت خلال النصف الأول من هذا العام من إنتاج الكهرباء من المصادر البديلة بنسبة تجاوزت تلك التى أنتجت من الطاقة الأحفورية وذلك لأول مرة. وأفاد التقرير بأن 27 دولة من الاتحاد الأوروبي تمكنت من إنتاج ما تحتاجه من الكهرباء بنسبة

40% من الطاقة البديلة المتمثلة في طاقتي الرياح والشمس، لتتجاوز بذلك ما تم إنتاجه من الطاقة الأحفورية التي بلغت نسبتها 34 %.

- فى جميع أنحاء العالم وفى كل القطاعات تجد المزيد من مبادرات الاستثمار في الطاقات النظيفة والمتجددة، والمزيد من الابتعاد عن الطاقة الأحفورية المُضرّة بالإنسان والمُلوثة للمكان.

أما أسباب نهاية عصر الطاقة الأحفورية فمتعددة، أهمها :

- التقدُّم التكنولوجى فى مولّدات الرياح والخلايا الشمسية، وخاصة ما يتصل بتكنولوجيا تخزين الطاقة على أساس فعالية التكاليف.
- الاستثمارات الضخمة فى الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وزيادة اعتماد وسائل توليد الطاقة النظيفة.

- تعزيز الاستثمارات الخضراء والمشاريع الصديقة للبيئة.
- المعايير البيئية والتشريعات الهادفة إلى السيطرة على انبعاثات الكربون ووقف تدهور البيئة.
- الحرب ضد تغير المناخ العالمى وظاهرة الاحتباس الحراري والتوجه نحو اتفاقية باريس.
- توجه العديد من الدول نحو فرض المزيد من الحظر على دعم الوقود الأحفوري، في مقابل دعم وسائل الطاقة النظيفة.
- تحوُّل قطاع النقل نحو تصفير الكربون، إما بسبب شراء المستهلكين للسيارات الكهربائية، وإما لأن شركات مثل أمازون اعتمدت المركبات الكهربائية لتوصيل الطلبات.
- السياسات المناخية تُغيِّر من نمط استهلاك النفط وفق عامل الزمن، فتُعجِّل باستهلاك النفط الذي خُطِّط لإنتاجه خلال العقد المُقبل

لِيُستهلَك اليوم، وهذا سيُعَجِّل بنهاية عصر النفط.

- النفط فى جميع السيناريوهات سينهار فى المستقبل؛ إذا ارتفعت أسعار النفط سيدفع ذلك الشركات والمستهلكين نحو شراء المركبات الكهربائية والابتعاد عن الوقود الأحفوري، وإذا انهارت أسعار النفط سيدفع ذلك الدول المنتجة إلى ضح المزيد من النفط حتى يغرق العالم في بحر من النفط الرخيص.

يبدو أن نهاية عصر الطاقة الأحفورية (وعلى رأسها النفط) باتت وشيكة، وسيشعر جميع المعنيين بهذه النهاية، المنتجون والذين يعتمدون فى تشغيل مواطنيهم وتنشيط السياحة لديهم على المنتجين، بألمها قريبا.. إنها النهاية التي ستجلب معها التغيير العميق مع الألم الكبير!

نهاية الاستهلاك المسؤول

لا زلنا نستعرض تداعيات هذا الإنفجار العظيم ونكتشف المزيد من نهاياته. إليكم السموم الأربعة لأسلوب الحياة المعاصر والتى تؤشر على نهاية الاستهلاك المسؤول.

السم الأول: إدمان السرعة

السرعة تقتل ومع ذلك غامرنا باعتمادها كنمط لحياتنا، والإيقاع البطىء لحياة الحجر الصحى أظهر كم كانت سرعة حياتنا عالية جداً، فهل يكون هذا الوباء فرصة للتصالح مع الذات؟

قبل الوباء كان واضحاً أن الرأسمالية العالمية المفترسة ضغطت سرعة حياة البشر حتى توقف محرك الاستمتاع بحياة هادئة أو كاد.

مُتعب أن تعيش بإيقاع سريع للحياة، وعَبَث أن تعيش حياة قائمة على الركض المستمر دون محطات للتأمل وللتقييم والتزوّد، لكن منطق اشتغال الرأسمالية العالمية ومصالحها تقتضي هذا الإيقاع المجنون.

لكن هذا "الحكيم المتناهي في الصغر" الكائن المجهري الذي أربك العالم وأوقف حركته، يبدو أنه بدأ يقوم بضبط إيقاع الأساسيات من جديد. فهل يخرجنا من جنون الإيقاع السريع للحياة ليدخلنا فى اتّزان الإيقاع البطيء للعزلة؟ لعلها فرصة للانتقال من سطحية الحرائق اليومية إلى عمق الحقائق الأبدية.. المتعلقة بمعنى الحياة والموت والعمل والحب والزمن والمصير.

السم الثاني: الاستهلاك غير الصحي

أصبحنا نعيش على إيقاع نظام غدائي ناتج عن التحفيز التسويقى الرأسمالى، وهذا يكلفنا خسائر مالية وصحية وبيئية.

نظامنا الغدائى يدور حول الأكلات المُعَلّبة والمشروبات الغازية: أكلات مُعَلّبة ليست سوى مواد مسرطنة، وعصائر مُعَلّبة ليست سوى القليل من الفواكه والكثير من السكر والنكهات الاصطناعية، ومشروبات غازية عبارة عن ماء وسُموم.. كل ذلك مع نمط حياة خامل.

التحرر من سموم الأكل غير الصحي سيمكننا من توفير الكثير من المال وربح سنوات إضافية فى عمرنا الافتراضي.

السم الثالث: الاستهلاك بما يفوق الاحتياج

أصبح الاستهلاك دين العصر، تُنفق الرأسمالية على تحفيزه أضعاف ما تُنفق على المسؤولية الاجتماعية، بل وأضعاف ما تنفق على الإنتاج فى حالات كثيرة، ونسبة الإنفاق على التسويق المرتفعة جداً تؤكد أن النزعة الاستهلاكية والإدمان المفرط على الكماليات فعلاً دين والتسويق نظامه التحفيزي.

التسويق وظيفته ليست هى تحفيز المبيعات وإنما تحفيز العملاء لشراء ما يفوق احتياجاتهم. ولتعزيز هذا التحفيز ليبلغ حدوده القصوى تعمل الرأسمالية على الربط بين منتجاتها والسعادة !

لعل فى الأزمة العالمية الحالية وما نتج عنها من تراجع القدرة الشرائية فرصة لمراجعة هذا الإدمان؛ لأن الاقتصاد الأساسي اليوم ولحين تعافي الاقتصاد هو اقتصاد الأساسيات واقتصاد الرعاية المتبادلة والتعاون

والتعاطف والرحمة، إنه حركة تصحيحية تذكرنا بأننا أفرطنا في الاستهلاك والأنانية.

السم الرابع: الاستهلاك الأناني

أحد أبعاد الاستهلاك المسؤول التضامن، لكن يبدو أن روح التضامن قد تلاشت أو كادت مع ظهور مجتمع الاستهلاك الأنانى، وتفكيك الدولة الاجتماعية، وتعزيز العولمة الأنانية التى أسست للارتباط المتبادل بدون تضامن.

تكلفة هذا الاستهلاك الأناني باهظة على المستوى الاجتماعى (الحقد الطبقى وارتفاع معدلات العنف والطلاق والانتحار...)

متى نزيل هذه السموم ونعالج هذا الإدمان؟ هل يمكن لاستهلاكنا أن يصبح مسؤولا أم أن الدخول في نمط الاستهلاك غير المسؤول لا رجعة فيه؟ وهل يمكن للأزمة العالمية الحالية أن تعزز الاستهلاك المسؤول من جديد؟



الفصل السادس

نهايات في المجال السياسي



نهاية الدولة

الكثير من التقارير العالمية تحدثت قبل أكثر من عشر سنوات عن "**عالم بلا دول**" فى المستقبل، ويضح العالم اليوم بإشارات واضحة تؤشر على تشكل الدولة بأشكال جديدة بعيداً عن شكلها التقليدي: العولمة، اللامركزية، المناطق الحرة، التدبير المفوض للخدمات الحكومية، الخصخصة، التوظيف بعقود مؤقتة، العملات الرقمية، عقود البلوكتشين...

مظاهر هذه النهاية متعددة، فالكثير من مقومات السيادة التى تمثل ركناً أساسيا فى نظرية الدولة (بالمعنى الذي ألفناه على الأقل) تتلاشى تباعا:

- **خصائص السيادة الخمسة** التى درج الفكر السياسي والقانوني على الحديث عنها، وهي السيادة المطلقة والشاملة وغير القابلة للتنازل والدائمة وغير القابلة للتجزئة، أصبحت تتلاشى تدريجيا بفعل التطور التكنولوجى والاعتماد المتبادل والترابط الشبكي وعولمة

الكثير من القضايا التي كانت تعالج سابقا في إطار وطني.

- **تنامي دور الفاعلين الدوليين** أدى إلى تراجع مكانة الدولة على المستوى الدولي.
- **تنامي دور الاقتصاديات الإقليمية** أدى إلى تراجع دور الدولة القومية.
- التهديد الذي يطال أحد أهم أدوات السيادة المالية للدولة (**البنوك المركزية**) والمتمثل فى التوجه نحو استقلالية البنوك المركزية عن الحكومات، والتفكيك التدريجى والممنهج لها من خلال مشاريع إعادة الهيكلة.
- **تهديد العملات الرقمية** لأحد أهم مظاهر سيادة الدولة المتمثل في إصدار العملة الوطنية، وإضعافها لقدرة البنوك المركزية على إدارة السياسة النقدية.
- **تهديد عقود البلوكتشين الذكية** لمظهر آخر من مظاهر سيادة الدولة المتمثل في قدرتها

على تحقيق أمن تعاقدي يفوق الأمن التعاقدي الذي تحققه الدولة.

أما أهم محركات التغيير التى ستحدد مصير الدولة مستقبلا فهي:

- **الرأسمالية العالمية** وموقفها من الدولة.
- **تكنولوجيات القطيعة** وتأثيرها على مقومات سيادة الدولة.
- **تسارع التاريخ** وضعف قدرة الدولة على مسايرة إيقاعه.
- **النزعات القومية** واتجاه المطالبات بالدولة القومية.
- **النزعات الدينية** واتجاه المطالبات بالدولة الدينية.

في المستقبل القريب والمتوسط السيناريوهات المتوقعة ستكون فى أغلبها **سيناريوهات الاستمرارية أو التغيير الصغير** مثل:

- **اختفاء الدولة الاجتماعية الراعية** وبقاء الدولة بمعناها السياسي فقط.
- **عالم بعدد أكبر من الدول**، فى حالة المزيد من التفتت وانتشار نموذج اللامركزية وانهيار الاتحادات الفيدرالية.
- **عالم بعدد أقل من الدول**، فى حالة انتشار المزيد من التكتلات والاتحادات الكبرى كالاتحاد الأوربى ومنظمة شنغهاي ورابطة دول جنوب شرق آسيا ودول مجلس التعاون الخليجى واتحاد دول غرب افريقيا واتحاد دول شرق افريقيا... وتطور هذه المنظمات الإقليمية إلى اتحادات فيدرالية.

لكن السيناريوهات المتوقعة **في المستقبل البعيد** ستنحو نحو **التغيير الكبير أو القطيعة**، مثل:

- **عالم بدولتين أو ثلاث**، على شاكلة التوجه الذي أصبحنا نراه فى الكثير من القطاعات التى أصبحت محتكرة عالميا من شركتين أو ثلاث.

- **الدولة العالمية** أو عالم بحكومة عالمية واحدة.

إن الدولة بمفهومها وشكلها الحالى ستختفى بكل تأكيد فى العقود المقبلة، والخلاف هو فقط متى وما شكل البديل عنها أو شكلها الجديد، وطبعا لن تختفي بنفس السرعة التى ستختفى بها مؤسسات أخرى حديثة العهد بالظهور كالمدرسة والوظيفة وأنظمة التقاعد التى لا يتجاوز عمرها المائة وخمسين سنة؛ الدولة مؤسسة قديمة نسبيا فعمرها في حدود العشرة آلاف سنة تقريباً.

وكيفما كانت احتمالات مستقبل الدولة، فإننا بحاجة إلى تجاوز التفكير في الكثير من القضايا بنطاق الدول والتوجه نحو التفكير بنطاقات أخرى لتحصيل فهم أعمق لما يحدث في عالم اليوم!

نهاية السياسة

انتهت السياسة وبلغ نظام التفاهة السياسية غايته ونهايته، وأصبحت الدجاجة السياسية (فى السلطة أو فى المعارضة لا فرق) تضع بيضة سياسية فاسدة، والبيضة تعطي رغم ذلك دجاجة لكن فاسدة أيضا، التي ستضع بيضة فاسدة، فى دورات للفساد السياسى المُقرف الذي يتسم بالرداءة والانحطاط وضعف الأداء على كل المستويات.

لفهم هذه النهاية دعونا أولا ننظر ما السياسة؟

السياسة هي كل ممارسة هدفها الحفاظ على السلطة أو امتلاكها أو التأثير على من يمتلكها باستخدام وسائل العنف المادي والرمزي بشكل غير مفتوح على حدودهما القصوى.. سياسة الدولة (الحفاظ على السلطة) وسياسة الأحزاب والجماعات (السعى إلى امتلاك السلطة) وسياسة مجموعات الضغط (التأثير على من يمتلك السلطة).

تنشأ السياسة من حاجة علاقات السلطة والقوة داخل فريق أو منظمة أو مجتمع أو على مستوى

العلاقات الدولية إلى تجنب الانفجار والصراع المفتوح والاضطرار إلى استخدام وسائل العنف المادي والرمزي بشكل مطلق ومفتوح وبحدودهما القصوى.

عندما يقع الانفجار ويتم اللجوء إلى العنف المفتوح والمطلق تنتهي السياسة وتبدأ الحرب. وتنتهي السياسة أيضا عندما يبلغ التحكم والادماج نهايته القصوى، فعندما يتم الانتهاء من ترويض جميع الفاعلين بسلطة من فوق أو من الخارج أو برقابة ذاتية تنتهي السياسة.

ولنهاية السياسة مظاهر متعددة :

1ـ **نهاية الديمقراطية السياسية**: فى الكثير من الدول التى تُصَنَّف أنها ديمقراطية بانتساب عريق لنادي الديمقراطيات نجد الديمقراطية لا تتسع لأكثر من حزبين بوضع أشبه ب "عائلتين ملكيتين" تتناوبان على الحكم وهذا منذ عقود أو قرون! فأين الديمقراطية السياسة مع هذه "الجمهوريات الديمقراطية الملكية"!؟

2ـ **نهاية القيادة السياسية**: ما يجري الآن فى الكثير من دول العالم مثل بريطانيا مع بوريس جونسون أو الولايات المتحدة مع دونالد ترامب أو كوريا الشمالية مع

كيم جونغ أون يعزز الاستنتاج بأن السياسة تتجه نحو النهاية. المواقع السياسية القيادية التى كنا نعتبرها بالأمس استراتيجية وتحتاج إلى أذكياء وحكماء أصبحت اليوم محتلة وبشكل استراتيجى من طرف أغبياء ومجانين. يبدو أن احتلال هذه المواقع أصبح تكتيكاً وعلينا أن نبحث عن الاستراتيجية في مواقع أخرى.

3ـ **نهاية الهوية السياسية**: الهويات السياسية الواضحة والحدود الإيديولوجية الفاصلة بين الفاعلين السياسيين انتهت؛ لم يعد اليمين يمثل اليمين مع بروز فاعلين جدد على يمينه (مثال حزب المحافظين فى بريطانيا)، ولا اليسار يمثل اليسار مع بروز فاعلين جدد على يساره (مثال حزب العمال فى بريطانيا)، ومع تكدس الغالبية العظمى في الوسط يبدو أن الدولة أصبحت كلتا يديها يمين، وحتى المشاريع والبرامج السياسية أصبحت متشابهة وبدون لون سياسي وأيديولوجي واضح ومتمايز.

4ـ **نهاية التأطير السياسي**: الأحداث السياسية الكبرى (مثال حركة احتلوا وول ستريت وحركات الربيع العربي) أصبحت تحدث بعيدا عن تأطير الفاعلين

السياسيين التقليديين وخارج نطاق السياسة كما نعرفها، فما فائدة أحزاب سياسية عاجزة عن تأطير المواطنين!؟

5ـ **نهاية الفكر والخطاب والقيادة والفعل**: القوة الاقتراحية للفاعلين السياسيين أصبحت بئيسة، ولغة الخطاب السياسي أصبحت متدنية، والقيادات السياسية أصبحت تفتقد إلى الكاريزما والمصداقية، والفعل السياسي أصبح يفتقد إلى المبادرة والانسجام والفعالية.

6ـ **نهاية المشاركة السياسية**: النسب المتدنية جداً للمشاركة في الانتخابات في كل أنواع الاستحقاقات الانتخابية وفي كل الدول.

7ـ **نهاية الارتباط العضوي بالجماهير**: أصبحت الطبقة السياسية بكل أنواعها وأشكالها وألوانها، المشاركون في اللعبة والمقاطعون لها والمُعْرضون عنها، مقطوعة عن الشعب وعن الجماهير وعاجزة عن الوفاء بوعودها (وعود الدولة للشعب، ووعود الأحزاب للناخبين، ووعود المعارضة لأتباعها).

ماذا بقي إذن من وظائف السياسة؟

- **السعي لامتلاك السلطة؟** تبخرت الأحلام من زمان بين هواة الإصلاح من الداخل الذين انتهوا إلى الذوبان السياسى، ومحترفى المعارضة الأبدية الذين ينتظرون غودو !

- **إدارة صراع الطبقات الاجتماعية؟** انتهى هذا الصراع من زمان وأعلن علماء الاجتماع عن وفاته !

- **تأطير المواطنين وترويضهم لمصلحة الدولة؟** المواطن فقد الثقة فى العبد والمعبود والمعبد.. فى الأحزاب والدولة والسياسة، وسياسة منع الناس من التدخل فيما يخصهم أثمرت من جهتها حالة عامة من العزوف عن السياسة والإعراض عن السياسيين !

إنها النهاية بعلامات الساعة الكبرى؛ استبدلت الصراعات الجماعية التي خاضها الفاعلون السياسيون في الماضى كالصراع الطبقى والصراع على الاستقلال والصراع على السلطة والصراع على الحقوق، الصادقة منها والمنافقة، بنضالات من فئة خمسة نجوم فى مكاتب فاخرة ومكيّفة وأمام شاشات التلفزيون من جهة المعارضة السياسية، وبألعاب الجوع وألعاب الخوف من

جهة السلطة السياسية، وبصراعات الفردانية الجديدة على التصنيفات والترتيبات من يكون الأول أو آخر شخص يبقى على قيد الحياة من جهة الجماهير!

انتهت السياسة بنهاية العمق والتحول إلى التفاهة والتسطيح من خلال قصف العقول والإرادات على مدار الساعة بأخبار الموت والمعاناة أو بأخبار الحياة الشخصية لنجوم السينما والغناء والرياضة، وجعل القضايا التافهة تصبح مهمة لتؤدي وظيفة إخفاء القضايا الحيوية.

وانتهت السياسة أيضا بنهاية المعرفة العميقة والفكر الحى المتفاعل والتحول إلى المعلومة السريعة العابرة للشبكات الاجتماعية المصممة لتعظيم عدد النقرات والمشاركات والإعجابات لا للتمييز بين الحقائق والأباطيل أو التحقق من الدقة أو نقد الممارسات الخاطئة أو تعزيز المواقف الصحيحة.

فى المشهد السياسى اليوم "**الخيل مربوطة والحمير تتسابق**" بالوصف الجامع المانع للشاعر الصوفى المغربي عبد الرحمن المجدوب، وهكذا اسْتُبْدِل بالفاعلين السياسيين من أصحاب المشاريع المتكاملة والمواقف

الواضحة والمبادرات الشجاعة والاستراتيجيات الذكية جيل جديد من السياسيين الفاشلين الذين يصلحون فقط للركوب أو للزينة: المُرَوَّضون منهم للركوب والمتوحشون للزينة!

أمام هذا الفراغ المهول، للطيبين أن يطرحوا السؤال: من سيملأ الفراغ وكيف؟ خاصة أن السياسة تخشى الفراغ، أما بالنسبة للرأسمالية العالمية المتوحشة فالسؤال غير مطروح لأن الخيار محسوم وواضح وفعّال بنظرها: لقد اختارت ثقة الأسواق، أما ثقة الشعوب فتتكفل بها ألعاب الجوع وألعاب الخوف!

نهاية القيادة

نعيش تحولاً متوحشاً عنوانه الانتقال بدون قيادات، وفى مرحلة انتقالية دقيقة وحرجة من التاريخ التى نحتاج فيها إلى قيادات قوية وذكية ومسؤولة !

تحوّلات جذرية وشاملة وسريعة بدون قيادات! إنها سُخرية الأحداث التاريخية المتسارعة التى ترمى بنا فى يمّ مستقبل مجهول وغامض ومضطرب بدون قيادات قوية وفاعلة.

ومن نكد الدنيا علينا أن المواقع التي كنا نعتبرها بالأمس قيادية وتحتاج إلى شخصيات قوية وذكية وحكيمة ومسؤولة أصبحت اليوم محتلة وبشكل متزايد من طرف شخصيات ضعيفة وغبية ومجنونة وغير ملتزمة بالقواعد والأدوار، أو شخصيات طيبة وساذجة ملتزمة بكل شىء إلا الأدوار القيادية (راجع كتابى "**قواعد الحزم**" للمزيد من الفهم لهذه المشكلة ولكيفية حلّها).

يبدو أن هذا الوضع هو أحد النتائج المباشرة لنظام التفاهة الذي سيطر على العالم في العقدين الأخيرين: انتقال من دون قيادات وأفكار على مستوى التحديات !

مظاهر هذه النهاية واضحة وعلى الكثير من المستويات :

- **في مجال القيادة السياسية** تراجعت بل انهارت قدرة الأحزاب وقياداتها على التأطير، بحيث أصبحت أغلب الأحداث الكبرى تتم بعيداً عن تأطير الأحزاب وخارج سيطرتها. أصبحت الأحزاب مجرد شركات سياسية تبيع خدمة تأطير المواطنين للدولة وتتربح من مداخيل هذا التأطير، وأصبحت الفعاليات الداعمة للقضايا الكبرى كقضية فلسطين وقضية حقوق الإنسان بدون قيمة مع مرور الوقت، بل أصبحت تستغل غالبا لأغراض انتخابية فقط أو لتسجيل حضور باهت.

- **في مجال القيادة النقابية**، انتهى زمن القيادات النقابية الكبرى التي قادت نضالات نقابية وحقوقية وسياسية وفكرية سجّلها التاريخ بفخر، ولم تعد النقابات تلك الأداة التى يستخدمها المظلومون للدفاع عن حقوقهم، وإنما أصبحت بدورها مجرد وكالات تبيع خدمة تأطير ما بقي من المنخرطين للدولة وخدمة ما بقي من قدرة على الضغط لمجموعات المصالح، وأصبحت

اللامبالاة المدوّية تجاه النقابات وقياداتها هي الموقف العام السائد.

- **في مجال القيادة الاقتصادية** تتأرجح القيادة بين ثلاثة نماذج: **قيادات اقتصاد الريع** المُكوّنة من عائلات اقتصادية محدودة جداً، تفتقد إلى الانتماء الوطني والانسانى، وتتربّح الثروات الضخمة من الريع، ولا تساهم بأي قيمة مضافة حقيقية فى النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، **وقيادات "لاشيء مستحيل"** الشابة التى تعيش على حوافز التنمية الذاتية وأوهامها، **والقيادات المُثابرة** التى لا تملك من الاستعدادات والمؤهلات القيادية إلا جديتها فى العمل ونَفَسَها الطويل فتنجح أحيانا وتفشل أحايين بسبب اللعبة الاقتصادية غير العادلة.

- **في مجال القيادة الإدارية** نجد أن الموظفين يفتقرون إلى القيادة الفعّالة؛ فكبار السن منهم منطوون على أساليبهم المحافظة والصلبة التى عفا عليها الزمن، وعاجزون عن فهم التحولات الجارية حولهم، وفهم خصائص وحاجات الأجيال الجديدة وقواعد اللعبة الجديدة. أما الجيل الجديد من الشباب فيفتقر إلى الخبرة

والتجربة في الإدارة والقيادة، ويعيش منطويا بدوره في عوالم افتراضية منقطعة عن الواقع.

- **في مجال القيادة الفكرية** لم يعد الفكر يواكب الأحداث ويوجهها، ويُؤطر الصراعات الفكرية بقوته النقدية والاقتراحية، ويُنتج خطابات لكل مجال ومرحلة.. القيادات الفكرية اليوم، إن وجدت، لا تنتج إلا أدباً بئيساً يتأرجح بين الشكوى والأمل، أو منظومات أفكار جامدة متوقفة عن النمو.

في كل مجالات القيادة، تجد انعداماً في الرؤية الاستراتيجية، وضعفاً فى القدرة على التعبئة والتأطير والتوجيه، وبؤساً فى الفعل والفكر والخطاب.. "قيادات" ضعيفة منغمسة فى تدبير المستعجلات والحرائق اليومية فقط.

هذه هي مظاهر نهاية القيادة فما الأسباب؟

الأسباب متعددة ومتداخلة أهمها أربعة: بؤس برامج صناعة القادة، والتأثير السلبى لوسائل التواصل الاجتماعي، وتحولات الأسس السيكولوجية للقيادة، ولعبة الديمقراطية الزائدة.

- **برامج صناعة القادة**: كان تعليم القيادة بالأمس صناعة خاصة بالنخبة ومُوَجّهة فقط لمن يملكون استعدادات القيادة، وكان حجم معاملات هذه الصناعة يبلغ ملايير الدولارات، أما اليوم فأصبحت صناعة مبتذلة جعلت الجميع يعتقد أنه قائد. أصبحت برامج تعليم القيادة اليوم تُعلّم شيئاً واحداً فقط: "يجب أن تكون ناجحاً.. ولكى تكون ناجحًا يجب أن تكون قائداً". تبخرت بديهية أنه لا يمكن للجميع أن يكونوا قادة فى نفس الوقت، وأن الأستاذية تبدأ بالتلمذة، وأن رحلة تعلم القيادة الحقيقية رحلة طويلة وشاقة لا فرصة تعلم فى خمسة أيام بدون معلم، وغاب تعليم فضائل التعاون والتكامل وفنون التفاوض والتحالف التى تجعل المستحيل ممكناً، وحلّ محلّه تعليم فنون الاستقطاب فِي أحدّ (من الحِدّة والحِداد!) صوره وأبشعها.

- **وسائل التواصل الاجتماعي**، التى عملت على تسريع عملية نهاية القيادة حيث سمحت بإغراق ما بقى من قادة بمطالب وانتقادات بعضها مشروعة وغالبيتها مبتذلة مما جعل القادة يشعرون بشكل متزايد بتجريدهم من سلطتهم وتأثيرهم، وعملت أيضاً على توليد وهم

إمكانية لعب أدوار قيادية فقط من خلال استحداث قناة خاصة وتكوين جمهور صغير.

- **الأسس النفسية الجديدة للقيادة**: القيادة توجد فى أعين الأتباع، فالأسس النفسية للقيادة هى الخوف والتوهم والطمع عند الأتباع، فلولا الخوف لما كان أمر ولولا التوهم لما كانت هيبة ولولا الطمع لما كان ولاء، لكن يبدو أن هذه الأسس فى طريقها للتحول بحكم طبيعة الأجيال الجديدة وخصائصها، وعلينا أن ننتظر حتى تتضح الأسس النفسية الجديدة للقيادة إن وجدت.

- **لعبة الديمقراطية الزائدة**: المزيد من الديمقراطية أمر جيّد، فالناس كل الناس يجب أن يكون لها صوت، لكن الكثير من الديمقراطية تُعَطِّل الديمقراطية.. إن الحرية التى ترفع شعاراً مطلقاً تُخفي نيات الاستعباد، والديمقراطية الزائدة تؤدي إلى شلل القيادة، ولا يمكن للجميع أن يكونوا قادة في نفس الوقت.

إن وجود عالم بدون قيادات هو واقع غير طبيعى لأن القيادة ظاهرة اجتماعية طبيعية، ومُعطى غير

منطقي لأن الطبيعة تخشى الفراغ؛ والتفسير الوحيد لهذا الوضع هو واحد من **ثلاثة افتراضات** :

1. إما أننا نمر وبشكل غير عادي بأزمة قيادة عالمية وفي كل المجالات.
2. أو أن احتلال المواقع القيادية أصبح شكليا ومجرد واجهة للإلهاء وتحويل الأنظار عن المواقع الحقيقية للقيادة، وعلينا بالتالى أن نبحث عن القيادات الحقيقية فى مواقع أخرى، وأن نقتنع بأن الأمور الأكثر أهمية في هذا العالم الجديد أصبحت خَفيّة ولا يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة وبأدوات التحليل التقليدية.
3. أو أن المراكز التقليدية للسلطة والقيادة في طريقها للاختفاء، وفى المقابل بدأت تتشكل مراكز جديدة للسلطة والقيادة، فالتحول مثلا من الفعل فى الواقع إلى الفعل فى العالم الافتراضي خلق نوعاً جديداً من "القيادات

الافتراضية" التي تمارس التأثير من خلال الشبكات الاجتماعية والإنترنت.

كيفما كانت الفرضية التى تُفسر نهاية القيادة، يبقى الشىء الوحيد المؤكد هو أن عصر القيادات التاريخية الكبرى، القوية في مواقفها، الصائبة في توقعاتها، السريعة فى مبادراتها، الذكية فى ركوبها موجات التغيير، الشُجاعة فى استثمارها الفرص التى تُتيحها الأزمات، والتى تمنح الثقة بالذات وفى المستقبل مهما كان حجم القصور المرحلي ومستوى التحديات، قد ولى وانقضى! أيتام نحن بدون قيادات فى عالم سريع التحولات.. كان الله لنا!

نهاية الديمقراطية

يعطينا التاريخ درساً مهما فى التحوّلات الكبرى: فى فترات الأزمات المُظلمة تصبح **المشروعيات** أمام اختبار المصداقية والصلاحية، ويصبح مصيرها رهنا بقدرتها على تقديم إجابات حقيقية وحلول فعّالة للأزمة.

فلو أخذنا الدولة (**المشروعية السياسية**) مثلا سنجدها تُعزز مشروعيتها فى ظل الأزمات الكبرى أو تفقدها على قدر سيطرتها على المأساة؛ وعبر التاريخ شاهدنا دولا سقطت في اختبارات المصداقية والصلاحية بسبب فشلها فى مواجهة التحدي، أو تضاعفت قوتها وتعززت مكانتها لنجاحها في هزيمة الأزمة المظلمة.

فى فترات الأزمات المُظلمة يعطينا التاريخ درساً مهما في المشروعية:

- عندما يتعرض بلد ما لهجوم من عدو خارجى يبرز **الجندي** فى الواجهة باعتباره الشكل الفعال لحماية الوطن وتُهيمن مشروعيته على كل مشروعية.

- وعندما يكون الأمن الداخلي هو التحدي يبرز **الشرطي** فى الواجهة باعتباره الشكل الفعّال والوحيد لحماية حياة الناس وتتصدر مشروعيته كلَّ مشروعية.

- وعندما ينزل بالناس وباء قاتل تكون الصحة والحياة هو التحدي ويحل **الطبيب** محل الجندي والشرطي وتعلو مشروعيته كلَّ مشروعية.

فى كل هذه الأحداث درس أساسى واحد: **يوجد سُلَّم للأولويات ينافس سُلَّم القيم ويتحداه.**

إن المشروعيات بأنواعها المختلفة تتعزز الثقة فيها عندما تنجح فى تقديم إجابات مقنعة وحلول فعّالة، أو تُصبح موضع شك عندما تفقد التحكم وتفشل وتسوء الأمور بشكل كارثي، وفي هذه الحالة يتم استبدالها، بعد فترة انتقالية مظلمة للأسف، بمشروعية جديدة ونظام قيم جديد.. إنه اختبار الصلاحية والمصداقية التاريخى: الحل أو الطوفان !

الأزمات المُظلمة اختبارات حدّية، لا تعترف بأنصاف الحلول مخرجاً من الأزمة. وفي هذا النوع من الاختبارات

الحدية لا يهتم الناس بأخلاقية النموذج الجديد بقدر ما يهتمون بفعّاليته فى التصدي للأزمة؛ فالناس يمكن أن تتخلى عن حلمها بنظام قائم على حماية الحقوق والحريات الفردية والديمقراطية، وتقبل بنظام قائم على الاستبداد ومراقبة الحياة الشخصية باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعى إذا كان يقدم حلولا فعّالة لتحدي الموت، والصين اليوم أوضح نموذج. **إن سلم الحاجات الأساسية أسبق في وعي الناس ومطالباتهم من سلم القيم السامية،** والأزمات المظلمة لا تصنع هذا الوضع وإنما تكشفه بوضوح فقط، فهل يراجع المثاليون أولوياتهم!؟

يبدو إذن أن **المشروعية الديمقراطية** فى طريقها إلى محطتها النهائية أيضاً، ومظاهر هذه النهاية متعددة :

_ تغوّل دولة الذكاء الصناعى وأنترنت الأشياء والبيانات الضخمة وما ستتيحه هذه التكنولوجيات من تعظيم قدرة الدولة على التحكم والمراقبة والقمع، وتراجع الحريات بشكل مطرد مع توسع تكنولوجيا المراقبة وتطور الهندسة الجديدة للقمع.

ـ التدخل المتزايد للدولة في الحياة الشخصية للأفراد من خلال مراقبة الاتصالات الهاتفية والبريد الالكتروني واستخدام التطبيقات.

ـ سن المزيد من القوانين المتعلقة باستخدام الأنترنت ووضع تشريعات جديدة تسمح للدولة بمراقبة التدوينات على الشبكات الاجتماعية وملاحقة النشطاء على الأنترنت وتعمل على شرعنة "القمع الإلكتروني".

ـ ظهور السياسة الشعبوية فى عدد من الدول "العريقة في الديمقراطية"، وهي نزعة تؤمن أقل بالديمقراطية وتنتصر أكثر للوطنية والمصالح الوطنية والقومية الخاصة.

ـ ظاهرة ترامب ونظائره بالدول الأوروبية تشير الى اتجاه الدول الديمقراطية إلى التخلي عنها والتحول إلى سياسات سلطوية داخليا وخارجيا قائمة مثلا على الحد من الحريات الشخصية والعقوبات الاقتصادية بدل المنافسة الحرة.

ـ تراجع الاهتمام بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان في السياسات الخارجية للدول الديمقراطية،

وهيمنت المصالح الاقتصادية بدل الديمقراطية وحقوق الإنسان على العلاقات الدولية والسياسات الخارجية.

ـ فساد الديمقراطيات، والديمقراطية الفاسدة أكثر خطورة من الاستبداد، لأن الاستبداد واضح فى طبيعته وحدوده أما الديمقراطية الفاسدة (أكد فسادها الأصلي تشرشل عندما عرّفها بأنها "**أقل الأنظمة فساداً**")، فتتيح بحكم صلاحها الظاهر وفسادها الخفى إمكانيات رهيبة فى التلاعب بالمبادئ باسم المبادئ وفى تضييع المصالح تحت غطاء المبادئ.

أما أسباب نهاية الديمقراطية فمتعددة أيضاً، أهمها :

ـ المراجعات الفكرية الجارية للفلسفة الليبرالية ولدور الدولة الذي يتحول من مجرد مقنن وحارس ومنظم إلى فاعل ومتدخل.

ـ ظهور مبررات جديدة "للعنف المشروع" الذي تمارسه الدولة، إذ لم يعد المبرر هو الحفاظ على الأمن العام وإنما الحفاظ على الصحة العامة.

ـ بعد سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفييتي انتشر النظام الرأسمالى بشكل سريع فى أغلب دول العالم، لكن لم تنتشر معه الديمقراطية، وهذا دليل على عدم تلازمهما، والحالة الصينية أوضح مثال على إمكانية التحول للرأسمالية دون الديمقراطية.

ـ ازدياد تركز الثروة وتراكمها على المستوى العالمى بأيدي فئة قليلة أصبحت هى المتحكمة بالاقتصاد العالمى والمؤثرة فى السياسة العالمية وفى الديمقراطية نفسها، بحيث أصبحت الديمقراطية تُدار حسب مصالح رأس المال.

ـ إفساد الديمقراطيات بالمال، وقضية رشوة الملك خوان كارلوس، وقد كان رمزا للتحول من النظام الديكتاتوري لفرانكو إلى النظام الديمقراطي، ليست عنا ببعيد.

ـ الصراع الصينى الأمريكى وإغراء النظام السياسى الصينى من جهة فعاليته الواقعية كما ظهرت فى إدارة أزمة وباء كورونا (كوفيد 19)، وفي تحقيق التقدم الاقتصادي بدون ديمقراطية، ولو تحوّلت الصين إلى

الديمقراطية على النموذج الغربي قد لا تكون حققت التقدم الاقتصادي الذي حققته بنظامها الاستبدادي.

إنها نهاية الديمقراطية، وما يزيد طينها بلّة طبيعة الدولة فى عالم ما بعد كورونا التى استفادت من الأزمة العالمية لتعزيز أحقيتها في ممارسة المزيد من "العنف المشروع"!

نهاية الحريات الفردية

تؤكد تجربة الصين مع العولمة أن ركوب موجات الآخرين خيار استراتيجى ذكى، فالصين نجحت فى ركوب قطار الآخرين وهو يمشى، بل حولت وجهته بما يخدم مصالحها، لكن سنكون مخطئين إذا افترضنا أن هذا الركوب ذكاء غير محفوف بالمخاطر؛ فصانعو موجات التغيير يعملون دائما على طلاء ظهورهم بالصابون لئلا ينجح أحد فى ركوبها، فما كل من حاول الركوب نجح فى الركوب، ولا كل من ذاق الهوى عرف الهوى، ولا كلُّ من شرب المدام نديمٌ، وأغلب من ركب موجات الآخرين وجد نفسه فى النهاية يخدم مشاريعهم لا مشروعه الشخصى. فما أحوجنا إذن إلى تحليلات عميقة للموجات الجديدة للرأسمالية العالمية لفهمها ومعرفة أفضل الاستراتيجيات لركوبها.

من هذه الموجات الجديدة، بل من أخطرها، موجة الاقتصاد الرقمى، فنحن بحاجة إلى إدراك التغييرات التى تفرضها التحولات الرقمية وأنترنت الأشياء والذكاء الاصطناعى والبيانات الضخمة على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات والأمم.

نعيش اليوم مرحلة متقدمة من "الرأسمالية المعرفية" يمكن أن نسميها "**رأسمالية أتمتة الأشخاص وصناعة المراقبة**"؛ وهى نموذج جديد للسوق ابتكرته أساساً شركات التقنية الأمريكية الكبرى وخاصة غوغل وفيسبوك، وهو قائم على جمع البيانات الضخمة وتحليلها من خلال خوارزميات ذكية ووضع السيناريوهات للتدخل في العالم الواقعي بكل أبعاده ومستوياته.

إن الرأسمالية العالمية المفترسة تعمل اليوم على تغيير قواعد اللعبة بتوسيع مجال السوق من جديد من خلال اعتبار التجربة البشرية مادة خاما مجانية للممارسات التجارية الخفية المتمثلة فى جمع البيانات الضخمة Big data وتحليلها، والتنبؤ بناء على نتائج التحليلات، والبيع من غير شراء وبالجملة بناء على السيناريوهات التي تم التنبؤ بها. ويعتبر، فى هذا الإطار، البريد الالكترونى والتخزين السحابى وخرائط غوغل وأنظمة تشغيل الهواتف الذكية وتطبيقات الهواتف واليوتيوب والفيسبوك وتويتر والسيارات ذاتية القيادة وأنترنت الأشياء، كلها وسائل لتوسيع "الطرق الضخمة والسريعة للإمدادات" الخاصة بشركات التقنية العالمية الكبرى

للحصول على بيانات المستخدم الشخصية من داخل الشبكة وخارجها.

إن التنبؤ بما سيشتريه الناس يعتبر العنصر الأساس فى صناعة الدعاية، والتنبؤ بمن سيصوت عليه الناس يعتبر العنصر الأساس في اللعبة الانتخابية، ومراقبة من يثق فيه الناس ويتابعونه يعتبر العنصر الأساس فى صناعة الوعى. فى عبارة واحدة: من يملك محركات بحث أقوى، وأجهزة استشعار أكثر، وكاميرات مراقبة أدق، وبيانات مواقع أوسع، فهو يملك معلومات أكثر ومصادر تدفق معلومات أسرع وأقوى، وسيمتلك بالتالى ميزة تنافسية تمكنه من نهج سياسات توسعية يصعب اللحاق بها واستراتيجيات تحكمية يصعب مقاومتها، ومن أوضح الأمثلة على هذه الحقيقة المرعبة الرباعي الخطير غوغل وأمازون والفيسبوك وآبل.

إن التهديد الذي تمثله **موجة أتمتة الأشخاص وصناعة المراقبة** لا يتمثل فى مراقبة البيانات الشخصية ومراكمتها، الأمر أعمق وأخطر من ذلك بكثير. إن شركات التقنية الكبرى هم قادة العالم الجدد، لأنهم نجحوا فى خلق أشكال جديدة من السلطة (سلطة المعلومة

الرقمية) ومن وسائل التعديل السلوكي التي تعمل خارج نطاق الوعى الشخصى للفرد باستخدام هذه السلطة الجديدة. وقد مكنهم هذا النجاح من كسب الحروب الكبرى الثلاث لعالم اليوم: **حروب الوعي، وحروب المعرفة، والحروب التجارية**. إن الضبط توأم المراقبة، وحيثما وجدت مراقبة وجد الضبط.

هكذا أصبح الوجود، في عصر أتمتة الأشخاص وصناعة المراقبة، حرب معلومات، والسيطرة فيه تؤول لمن استطاع أن يراقب المعلومات ومصادر تدفقها، ويضبط من خلال مراقبتها الوعي والمعرفة والأسواق.. هكذا أصبحت الموسيقى التى يرقص البشر على إيقاعها اليوم هى الخوارزميات الذكية التى تجمع وتحلل المعلومات وتضع سيناريوهات التحكم والضبط والبيع، والأمثلة على هذه التطبيقات الخطيرة لمراقبة المعلومات كثيرة مثل مقاطع فيديو التزييف العميق، واستخدام المعلومات الشخصية فى الحروب السياسية، ونماذج الأعمال الجديدة المبنية كليا على قواعد المعلومات الضخمة.

ما العمل إذن تجاه هذه الموجة الجديدة للرأسمالية العالمية؟ وكيف نواجه رأسمالية أتمتة الأشخاص وصناعة المراقبة؟

إن الشىء الوحيد الذي سيزعج الرأسمالية العالمية اليوم وغدا ويرعبها هو بقاء أشخاص وجماعات خارج منظوماتها الذكية لجمع وتحليل المعلومات! فهل نتوقف عن ركوب موجة أتمتة الأشخاص ونختفى من العالم الافتراضى؟ إذن نصبح مع الوقت خارج التاريخ! أم نركب الموجة دون خطة ذكية للمواجهة؟ إذن تأكلنا الرأسمالية المعرفية المتوحشة !

لضمير الرأسمالية، إن كان لها ضمير، أن يبحث عن طرق التحقق من قوة شركات التقنية الكبرى، و"مساءلة الخوارزميات"، ويؤسس لحركة مضادة جديدة تُقَيِّد رأسمالية المراقبة باسم الحرية الشخصية والديمقراطية. أما نحن المستضعفون على الضفة الأخرى من التاريخ والفعل فيه، فحاجتنا مختلفة، ولن يفيدنا فى شىء الدخول في حركات الرأسمالية التصحيحية!

حاجتنا اليوم هي أن نعلن بكل شجاعة عن نهاية دورة تاريخية؛ لقد أصبحت اللعبة أكبر منا وانهزمنا وانتصر الماكرون! وعندما تصبح اللعبة أكبر منك عليك أن تسأل نفسك أين كنت عندما كان الماكرون يوسعون سيطرتهم على العالم، وتستخلص دروس نهاية الدورة وتستعد لدورة تاريخية جديدة!

نهاية الدولة الاجتماعية

الدولة هي جانوس؛ ذلك البطل الأسطوري فى الميثولوجيا الرومانية ذو الوجهين: وجه الخير ووجه الشر؛ وجه اجتماعى خدمى ووجه اقتصادي ومالى احتكاري. فالدولة من جهة هي الضامن لمصالح الفئات الهشّة والمهمشة ثقافيا واقتصاديا بحكم مسؤوليتها الاجتماعية من خلال قطاعات حيوية كالتعليم والصحة والتوظيف، ومن جهة أخرى هى الضامن لمصالح الفئات المهيمنة اقتصاديا وماليا بحكم أن هذه الفئات هي التي تحتكر السلطة بكل أنواعها.

فى كل الدول تتأرجح السياسات بين هذين الوجهين ويتدافع وجه الدولة الجميل مع وجهها البشع باستمرار. لكن السياسات الليبرالية الجديدة للرأسمالية العالمية المتوحشة ضاقت ذرعا بوجه الدولة الجميل وتريد تدمير الدولة الاجتماعية بالكامل.

إن السياسات الليبرالية الجديدة، التى اعتقد الكثير من المفكرين والمحللين أن هدفها هو تدمير الدولة، تستهدف في الواقع تدمير الدولة الاجتماعية فقط، أما

الدولة الاحتكارية فهي تساهم في المزيد من انتصارات الليبرالية الجديدة. والتكلفة الاجتماعية لهذه "الانتصارات" باهظة جدا؛ ففى روسيا مثلا، تسبب تدمير الدولة الاجتماعية فى انخفاض معدل أمل الحياة عند الولادة بعشر سنوات خلال عشر سنوات.

إن توجه الدولة نحو الانسحاب من الخدمات الاجتماعية هو توجه عالمى مرتبط بالسياسات الليبرالية الجديدة وحاجات الليبرالية الجديدة والمتجددة، ويبدو أن مفهوم "الدولة الاجتماعية" التي تُوَظِّف وتمنح تقاعداً وحماية صحية وتعليماً مجانياً وتعويضات عن البطالة وعن الأبناء ودعماً للمواد الأساسية وغيرها من الخدمات الاجتماعية فى طريقه إلى الاختفاء، وها نحن أولاء نشهد كل يوم، وفي كل بلاد الدنيا تقريبا، قرارات جديدة تؤشر على هذا التوجه نحو إعادة اختراع للدولة ولوظائفها بشكل يلغى وجهها الجميل ويبقى فقط على وجهها البشع.

إن الخدمة العامة المجانية (المدرسة العمومية والصحة العمومية والأمن العمومى...) فى شكلها الحالى هي اختراع للقرن التاسع عشر، ويبدو أن حاجات الليبرالية

الجديدة في عصر الرأسمالية المعرفية والثورة الصناعية الرابعة تتعارض مع هذا الاختراع، فحاجاتها اليوم وغدا تختلف عن حاجاتها فى عصور الثورات الصناعية الثلاث السابقة. إن هذه الثورة الصناعية الرابعة تحتاج بنظر روادها إلى سياسات عمومية جديدة تُحَوِّل الخدمات الاجتماعية إلى فرص استثمارية (المدرسة الخصوصية والمصحة الخصوصية والأمن الخاص والسجون الخاصة...)، لكن المشكلة هى أن الفاتورة الاجتماعية لهذه السياسات ستكون باهظة التكلفة.

ويبدو أن هذا التغيير لا يمكن تجنبه، ومقاومته لن تنجح سوى فى تأخير وصوله ولن تنجح فى منعه. وهنا تطرح الكثير من الأسئلة:

- هل هذا التخلي عن الدولة الاجتماعية هو تعبير عن عجز فى التفكير السياسى للدولة وفى قدرتها على ابتكار حلول حقيقية، أم تعبير عن ذكاء ماكر فى التفكير السياسى الاستراتيجى لمن هم فوق الدولة؟

- ومن جهتنا كمفعول بهم لهذه السياسات، هل نساير هذا التوجه الليبرالى العالمى ونركب موجاته (مثلا بتغيير استراتيجيات تربية الأبناء وأولويات الاستثمار فى مستقبلهم، والتحول من ثقافة الوظيفة إلى ثقافة ريادة الأعمال...)؟

- وهل ينفع ركوب قطار الآخرين بدون استراتيجية؟

- وهل تنفع استراتيجية فى لعبة أكبر منا ومواجهة نفتقد فيها إلى أدوات المواجهة الفعّالة؟

- أم ترانا بحاجة إلى الاستمرار فى التَحَصُّن فى آخر ما تبقى لنا من قلاع المقاومة: النقد وصناعة الوعي؟

- وهل يغير النقد النظري المتأمل ما أفسده طوفان النقد العملي الزاحف!؟

- وهل تصمد صناعة الوعى الهاوية أمام صناعة اللاوعي المحترفة!؟

نهاية المصلحة العامة

ما المصلحة العامة؟

رغم أن هذا المفهوم ظهر منذ أواسط القرن السادس عشر، إلا أنه بدلالاته واستخداماته الحالية هو اختراع آخر من اختراعات القرن التاسع عشر الماكرة.

أعطى **الانجليز** للمصلحة العامة معنى "مجموع المصالح الفردية"، وجعلها **الفرنسيون** "مصلحة غائية تقع فوق المصالح الفردية وعلى الأفراد الخضوع لها".

بالمعنى الأول هي تبرير للفردانية المتوحشة، وبالمعنى الثانى هى إيديولوجية للهيمنة والتحكم (مثلا السطو على أراضى الفلاحين وسحب ملكيتها منهم باسم المصلحة العامة، أو سن تشريعات لفائدة فئة معينة بمبرر المصلحة العامة). ورغم ذلك ساد المفهوم وهيمن واعتقد الناس أغلب الناس فى هذه الكذبة الكبيرة. وهكذا استخدمت "المصلحة العامة" كإيديولوجية لخدمة مصالح طبقية وفئوية وفردية على حساب المصلحة العامة، أو استبدلت بالمصالح المشتركة التي هي في النهاية مصالح فئوية خاصة تعبر عنها لوبيات. إن "المصلحة

العامة" مجرد أداة خطابية يستخدمها الحاكمون لفرض تصورهم للتقدم مهما كلّف ذلك المحكومين.

ولأن العالم يتحوّل، وإيديولوجيات التحكم يجب أن تتحوّل أيضاً لتواكب الاحتياجات المستجدة للأشكال الجديدة للتحكم، كان لابد من نهاية لإيديولوجية "المصلحة العامة" واستبدالها بإيديولوجية جديدة، ويبدو أن البديل قد ابتُكر وبدأ تفعيله ومفعوله.

تشكل نظريات التنمية الذاتية، التى تغزو اليوم المكتبات والإنترنت وبرامج الراديو والتلفزيون والتدريب والاستشارات، عرضًا مثيرًا للاهتمام، وفى الوقت نفسه مقلقا للغاية؛ مثير لانتشاره السريع والواسع، ومُقلق لقيام "التنمية الذاتية" على فلسفة "**المصلحة الذاتية المطلقة**". فمع هذه النظريات **حدث تحول نموذجي قوي من ثقافة "المصلحة العامة" نحو "الاهتمام الوحيد بالذات" الذي تم إعادة اختراعه كمبدأ أخلاقي مطلق.** استنفذ اختراع القرن التاسع عشر (المصلحة العامة) وظيفته، وها هي الرأسمالية العالمية المُتَغَوِّلة المُتَحوِّلة تخترع للقرن الواحد والعشرين ولأجيال الألفية الجديدة مبدأ "التنمية الذاتية" بروح "المصلحة الذاتية".. نزعة فردية

متطرفة شعارها "أنا والطوفان من بعدي"، في عالم يحتاج إلى إعادة اكتشاف المصلحة العامة، كمبدأ للمصير المشترك لا كإيديولوجية للهيمنة، والكفاح من أجلها. وهكذا **أصبح الانسحاب من أجل المصلحة الذاتية والسعادة الشخصية ورفاهية الجسد هو السائد**.

يبدو إذن أن "المصلحة العامة" فى طريقها إلى محطتها النهائية أيضاً، وأسباب هذه النهاية المتوقعة متعددة؛ فمنذ نشأتها لم تكن أبداً واضحة ودقيقة، إذ كانت دائما متداخلة ومختلطة مع المصلحة الجماعية والمصلحة المشتركة، مما فسح المجال دائما لتحقيق مصالح فردية وجماعية باسم المصلحة العامة. وتاريخيا ارتبطت المصلحة العامة بالحق العام كالحق فى التعليم المجاني والصحة المجانية للجميع؛ فالمصلحة العامة منذ نشأتها وهى مرتبطة بالخدمات العامة التى تقدمها الدولة: الصحة العامة، والتعليم العام، والأمن العام... لكن مع نهاية الدولة الاجتماعية والانسحاب المتزايد للدولة من مسؤولياتها الاجتماعية يُطرح السؤال: **ما الذي بقي من "المصلحة العامة"؟**

نهاية الجنسية

تنص المادة 15 من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان : "**لكل فرد حق التمتع بجنسية ما**".

لا يجوز، تعسُّفًا، حرمانُ أيِّ شخص من جنسيته ولا من حقِّه في تغيير جنسيته.

الجنسية انتماء ورابطة قانونية وسياسية تنشئها الدولة للشخص لتجعله مواطنا أو رعية لها. بناء على هذا المفهوم العام لفكرة الجنسية نجد أنها تتأسس على وحدة الصلة بين الفرد الواحد والدولة الواحدة وليس على تعددها بين الفرد الواحد وأكثر من دولة في نفس الوقت.

بعد أكثر من سبعين سنة على هذا الإعلان وهذا المفهوم التقليدي للجنسية يُطرح السؤال: **ما الذي تبقى منها؟**

يبدو أن الجنسية بهذا المفهوم التقليدي فى طريقها إلى محطتها النهائية أيضاً، وأسباب هذه النهاية المتوقعة متعددة، منها :

- **نهاية الدولة القطرية**: مع نهاية الجغرافية يبدو أن الدولة القُطرية بكل مظاهر سيادتها، ومنها الجنسية، فى طريقها إلى الاضمحلال. وتعزز هذا التوجه وتسرّعه السياسات الليبرالية الجديدة التي تستهدف تدمير الدولة القُطرية.
- **العولمة**: عولمة سوق التعليم وسوق الشغل والزواج، وسهولة التنقل والسفر على المستوى الدولى، مما قلّل من الشعور بالارتباط بالوطن الأصلي.
- **الهجرة** بأنواعها، وخاصة هجرة الكفاءات وهجرة رأس المال والهجرة لأسباب سياسية، وظهور الارتباط المزدوج للمهاجرين بالبلد الأصلي وبلد المهجر، وهذا الوضع ترتب عنه ظهور أشكال جديدة للجنسية كالجنسية المكتسبة وازدواجية الجنسية.
- **التحرر** المتزايد للأفراد من الارتباط والانتماء لوطن المولد ومن قيد المكان بدوافع

مختلفة عرقية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

- **الأجيال الجديدة** أقل ارتباطا بالوطن الواحد، فوطنها هو الشبكات الاجتماعية، وتواصلها ونمط عيشها على المستوى الدولي.
- **التحولات العالمية لقوانين الجنسية**، وبداية التحول نحو مفاهيم جديدة ونماذج مبتكرة للجنسية، أهمها خمسة :
  - التمييز بين الجنسية والمواطنة؛ إذ من الممكن منح الجنسية بدون حقوق المواطنة، أو منح المواطنة الجزئية بدون جنسية كما فى الشيلى ونيوزيلندا الجديدة.
  - التمييز بين الجنسية السياسية والجنسية الثقافية.
  - الجنسية المكتسبة وازدواجية الجنسية.

- البدون أو الابارتايد بلغة القانون، وهم من لا جنسية لهم. فهؤلاء سيصبحون أصلا بعد أن كانوا استثناء، وستصبح البدون فى عصر نهاية الجنسية ميزة بعد أن كانت عقابا.
- الجنسية الكونية التى يتم التنظير لها من طرف بعض المفكرين العالميين (إدغار موران مثلا) وبعض المنظمات الأممية.

صحيح أن المفهوم التقليدي للجنسية لا يزال قائما بقوة القانون والأمر الواقع، وصحيح أيضاً أنه لم يستطع أي مفهوم جديد للجنسية لحد الآن فرض نفسه كمفهوم وحيد بديل، لكن الشىء المؤكد هو أن المفهوم الحالى للجنسية سيختفي في القرن الواحد والعشرين.

نهاية الغرب

للغرب أعداء كُثْر، وهم في غالبيتهم ضحايا سياساته الاستعمارية المتوحشة، لذلك تجد ضحاياه يسارعون، في شماتة العاجز، للفرح والانتشاء الغبي بأخبار موته ونهايته للتعويض نفسياً عن فشلهم وتخلفهم.. **هذا حال الطيبين يجعلون دائماً العاطفة المجنّحة أول أسلحتهم وآخرها**.

فرضية "نهاية الغرب" ليست جديدة، فعلى امتداد المائة سنة الأخيرة تبنى هذه الفرضية الكثير من العلماء والمفكرين الغربيين من أمثال اسوالد شبينغلر في كتابه "**تدهور الحضارة الغربية**"، وباتريك بوكانان في كتابه "**موت الغرب**"، وإريك زمور في كتابه "**انتحار فرنسا**"... إلا أن الصعود الأخير للصين كقوة عالمية عظمى، وصعود الوباء العالمي الحالي في الغرب وفق مسارات كارثية وبشكل غير متوقع، منح هذه التحليلات العلمية والفكرية الداعمة لفرضية "نهاية الغرب" المزيد من المصداقية.

فرضية "نهاية الغرب" مؤكدة، ومظاهر هذه النهاية واضحة وعلى الكثير من المستويات :

1ـ **الموت السياسي** المتجسد في نهاية الانفراد بالهيمنة والريادة العالمية بسبب صعود قوى عالمية جديدة كالصين وروسيا وقوى إقليمية كالهند وتركيا والبرازيل، وتراجع الغرب عن المكانة السياسية التى كان يحتلها سابقًا على المستوى العالمي.

2ـ **الموت الاقتصادي**، ليس فقط بسبب العجز التجاري، أو الإغلاق الاقتصادي الأخير، أو تسارع الموت والدمار الاقتصادي مع انتشار فيروس كوفيد 19، فالموت الاقتصادي كان واضحا منذ بداية تراجع قوة الاقتصاد الأمريكى والأوربى مقارنة بالأداء المتميز والمتعاظم للاقتصاد الصينى الذي تفوق هذه السنة (2020) على الولايات المتحدة الأمريكية فى الكثير من المؤشرات الاقتصادية (مثلا الاستثمار الأجنبي المباشر).

3ـ **الموت الاجتماعي** بسبب ارتفاع الفاتورة الاجتماعية للسياسات الرأسمالية المتوحشة: ارتفاع حاد فى معدلات الانتحار، ومعدلات إدمان المخدرات، ومعدلات الطلاق، والتحول من الأسرة النووية إلى الأسرة وحيدة الأبوين، ومعدلات الجريمة المرتفعة،

وتزايد التفاوت بين الدول وداخلها، وتزايد أمراض الحضارة المعاصرة كالاكتئاب والسكري...

4ـ **الموت الفكري الثقافي** بسبب تعرض الغرب لثورة فكرية وثقافية فى العقود الأخيرة بفعل نخب ثقافية وفكرية عليا اجتهدت فيِ تفكيك منظومته الأسرية والتربوية والتعليمية والقيمية، وخلق أمة جديدة مهجنة ثقافياً وفكرياً، وبسبب التشكيك الداخلى من أبنائه في نموذجه للديمقراطية السياسية والعدالة الاجتماعية.

5ـ **الموت الديموغرافي** الناتج عن النقص السكاني المرتبط بانخفاض معدلات الخصوبة التى هبطت إلى (1 طفل) لكل امرأة، علما أن الحد الأدنى لتعويض وفيات السكان الموجودين الآن دون الحديث عن زيادة عددهم هو (2 طفل) . وإذا بقيت معدلات الخصوبة الحالية على ما هو عليه فإن عدد سكان أوروبا البالغ أكثر من 700 مليون نسمة سيتقلص إلى حدود 200 مليون فى نهاية هذا القرن.

6ـ **موت القوى البشرية العاملة** بسبب الانخفاض الحاد في معدلات الولادة والارتفاع الكبير في معدلات

الشيخوخة وخاصة في أوروبا "القارة العجوز". إن الغرب يموت بعد أن أصابته الشيخوخة حسب تعبير باتريك بوكانان.

7ـ **الموت العرقي** بسبب موجات الهجرة غير النظامية وما ترتب عنها من تنوع ثقافي وعرقي وفقدان الهوية الموحدة المنسجمة وتحول المواطن الغربى بمرور الزمن إلى أقلية هشة في مجتمعه.

8ـ **الموت البيئي** بسبب الاحتباس الحراري وتدهور التوازن البيئي والكوارث الطبيعية كالأعاصير وارتفاع مستويات البحار، فالغرب يعيش على تهديد كوارث بيئية عظمى.

9ـ **الموت العلمي** بسبب بداية تخلف أمريكا والاتحاد الأوربي عن الصين في مجالات الابتكار والبحث العلمى المختلفة كالإنفاق على البحث العلمى. وبراءات الاختراع، والمقالات العلمية، واستخدام تكنولوجيا الاتصالات، واستخدام الروبوتات الصناعية...

صحيح أن نهاية الغرب لن تكون بكل تأكيد على شاكلة نهاية البالونات المتضخمة التي تنفجر عند أول

احتكاك لها بشيء حاد، لأن حضارة الغرب الحالية هي ثمرة تراكم تاريخى طويل امتد لقرون وفى كل المجالات والمستويات. لكن **الحقيقة اليوم وغدا هي أنك حيثما وليت وجهك تجد الكثير من مؤشرات نهاية الغرب. ومع ذلك لا داعي للفرح.. لأن نهاية الغرب لا تعني نهاية الشر الذي يتلبس جسده (الروح الاستعمارية والنزعة الامبريالية والفظائع التي ارتكبت في افريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وآسيا والسياسات الاقتصادية المتوحشة عبر العالم...). امبراطورية الشر العالمية ليست غبية لتربط مصيرها بدولة أو أمة! فعندما يموت الجسد يخرج منه الشيطان الذي يتلبسه إلى أرض الله الواسعة بحثاً عن جسد جديد أكثر حيويةً ونشاطاً!**



خاتمة

بداية دورة تاريخية جديدة



خاتمة: بداية دورة تاريخية جديدة

من بداية هذا الكتاب قلنا أن **ما يحدث الآن ليس تغييرا للعبة ولقواعدها وإنما تفجير لها من الداخل**، وأن الانفجار العظيم سيأتي على الأخضر واليابس وسيعصف بمن لا يجيدون المشى على اليابسة، وبمن يتقنون السباحة أيضاً.

من هذا المنطلق فإن فقه النهايات ضرورة حيوية لاستشراف مستقبل غامض ومُرعب، **بهدوء نفسي وعمق فكري وشجاعة عملية**.. ضرورة حيوية ومصيرية لنضع حداً لاستغلال التغييرات والتحولات الجارية فى تعزيز الأنانيات الجشعة وتقوية التحكم المطلق وصناعاته: صناعة الجوع، وصناعة الخوف، وصناعة الوهم، وصناعة الأمل الكاذب...

علينا، ونحن نستعرض النهايات، أن **نزرع الأمل الإيجابي لا الأمل الكاذب**؛ فجميع النهايات تقود إلى بدايات جديدة لا إلى الكارثة أو الهاوية. صحيح أنه توجد نهايات وأنه لكل تاريخ نهاية لكن "التاريخ" لا نهاية له.

قد تبدو النهاية انزلاقاً نحو المجهول، لكنها أيضا بداية جديدة.. **النهايات ليست سوى بدايات لدورة تاريخية جديدة**، والحياة بأكملها وبكل مجالاتها ما هى إلا دورات (الدورات التاريخية، والدورات السياسية، والدورات الاجتماعية، والدورات الاقتصادية...)، وكل دورة تمر بأربع مراحل: الانتعاش والذروة والركود والكساد؛ فالكساد ليس نهاية بل بداية انتعاش جديد.

فى الختام نرجع لنجمع ما تناثر على طول صفحات هذا الكتاب من قواعد للمواجهة ومبادئ لإدارة التحول فى زمن هذا الانفجار العظيم وعصر هذه النهايات الكبرى :

1ـ إننا نقف عند حافة نهاية دورة تاريخية وبداية دورة تاريخية جديدة، ويجب أن نُدْرك بسرعة وبعمق ما معنى أن **العالم يتحول نحو موجة جديدة**، وأن نفهم مُحرّكات هذا التغيير، والقواعد الجديدة لِلَّعِب، واللاعبين الجدد، والأدوار الجديدة.

2ـ يجب أن ندرك أن **"النهايات" ما هو إلا الفصل الأول من قصة البدايات الجديدة**، لكنه الفصل الأساس،

فعلى قدر فهمنا له نفهم بقية الفصول وننخرط فيها بإرادة الفاعل المتحدي لا التابع المسحوب، ونُطَوّر القدرة على رصد الإشارات الضعيفة الدالة على موجات المستقبل والانتباه لمخاطر وفرص كانت من قبل متوارية عن الأنظار.

3ـ فى فترات الانفجارات العظيمة وعصور النهايات تشتم للأسف رائحة واحدة فقط هى رائحة الموت بأشكاله المختلفة التى تملأ الأماكن كلها.. نعم للأسف.. فنحن نقضي وقتا أطول في التركيز على الموت لدرجة أننا لا ننتبه للحياة التى ستولد منه. **ركّز على الموت بمقدار الحاجة والضرورة إلى استخلاص دروس النهايات، لكن اجعل معظم تركيزك على الحياة التي ستولد منه.**

4ـ **استخلص دروس النهايات بسرعة وبعمق، واقتحم البدايات الجديدة باستشراف عقلاني ورؤية واضحة ومبادرات طموحة وواقعية وشجاعة**.. إن واجب الوقت لحظة طوفان الانفجار العظيم هو بناء جسور البدايات فوق محيطات النهايات.

5ـ **أصبحت اللعبة أكبر منا**.. وعندما تكون اللعبة أكبر منك عليك أن تتفاعل مع "استحقاقات المرحلة" (وهى فى أغلبها استحقاقات الرواد والمهيمنين) بمقدار الضرورة، وتنخرط فى عملية إعداد وبناء على المدى البعيد، وتراهن مرحليا على ركوب الموجات والقفز إلى قطار الرواد وهو يمشي.

6ـ أصبح الغموض والعجز هما سمات المرحلة.. وعندما يكون الغموض والعجز هما سمات المرحلة تصبح **حاجتنا الأولى الملحة هي القوة التحليلية والنقدية، واستشراف المستقبل والتنظير له، وصناعة الوعي وتحرير الإرادة.**

7ـ **الحذر من سلوك الانكماش والانعزال هروبا من المواجهة، أو التمسك بالماضي دون تمييز هروبا من الحاضر المُرعب، أو الدخول في ردود فعل متطرفة**.. فى مراحل الانتقال يبقى دائماً شىء من الماضى يتمسك به الجبناء والأغبياء، وكلما بلغت رحلة الإنسان غير الناضج مع شيء نهايتها أحدث قطيعة معه وانتقل إلى ضده.. بعض خلاصات تجارب الحياة ليست سوى أنصاف دروس، ننتقل فيها من التمذهب لنصف الحكمة إلى التمذهب لنصفها

الآخر المقابل لها، فنفوّت على أنفسنا فرصة درس مكتمل.

8ـ فى فترات التحول الجذري، كالفترة التى نعيشها الآن، تنبع الأزمات من عدم نضج عوامل التحول، ويجب انتظار اكتمال نضج هذه العوامل (مثلا التكنولوجيات الجديدة وما يترتب عنها من منتجات ونماذج أعمال جديدة) للخروج من الأزمة. وفى انتظار ذلك **علينا أن نتوقع الأسوأ ونستعد له، ونتربص ب "الفرص التاريخية" التي يحملها التحول معه.**

9ـ عالم ما بعد الانفجار العظيم لن توجد فيه الكثير من الفرص للمنظمات التى لا تملك حضورا على المستوى الدولى.. **ابحث عن فرص للتطور على المستوى العالمي فالفرص المحلية أفقها محدود، ونافس على المستوى العالمي فالمنافسة المحلية لا مستقبل لها، وواجه على المستوى العالمي فاللاعبون المحليون مجرد وكلاء!**

10ـ التفكير في النهايات هو تفكير في كل القيم والمؤسسات المُتَحَوِّلة التي سيؤثر مستقبلها على

مستقبلنا، وهو تفكير يستشرف مع كل نهاية بدايات جديدة ممكنة ومحتملة. لفظة "نهاية" تُحمل دائما على معنى "بداية جديدة". **قم برصد النهايات وافهمها، واستشرف البدايات الممكنة والمحتملة الجديدة واستعد لتحدياتها.**



ملاحق

قراءات في الكتاب



قراءات في الكتاب

1. مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 14 أغسطس 2021

عنوان المقال

الانفجار العظيم: عصر النهايات
كتاب جديد للباحث والمفكر المغربى إدريس أُوهلال

رابط المقال



2. الكاتبة والمترجمة والإعلامية العراقية لطفية الدليمي، جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ 30 نوفمبر 2021

عنوان المقال

عصرُ النهايات أم عصر البدايات؟

رابط المقال



3. الكاتب العمانى حيدر بن عبدالرضا اللواتى، جريدة الرؤية العمانية، بتاريخ 21 نوفمبر 2021

عنوان المقال

قراءة للفصل الخاص بالتعليم
في كتاب "الانفجار العظيم.. عصر النهايات"

رابط المقال



4. الكاتب السودانى عادل عبد العزيز حامد، صحيفة السودانايل، بتاريخ 9 سبتمبر 2021

عنوان المقال

قراءة لكتاب الانفجار العظيم: عصر النهايات

رابط المقال



5. الكاتب اللبنانى ومدير عام المعهد الوطنى للإدارة بلبنان جمال الزعيم المنجد، مجلة عرب أستراليا سيدني، بتاريخ 14 ديسمبر 2021

عنوان المقال

«الميتافيرس»
نهاية الصروح العلمية أم بداية التسونامي المعرفي؟

رابط المقال



مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية



الانفجار العظيم: عصر النهايات
كتاب جديد للباحث والمفكر المغربى إدريس أُوهلال
14 أغسطس، 2021

بعد كتابه المُثير "قواعد الحزم" سنة 2019، والذي لقى إقبالا كبيرا وانتشارا واسعا وأغنى المكتبة العربية بمرجع متميز وأصيل فى القيادة، ها هو الباحث والمفكر المغربى إدريس أُوهلال يُغنى المكتبة العربية بمرجع آخر متميز وأصيل لكن هذا المرة فى الاستشراف الاستراتيجى وإدارة التغيير، وهو كتاب أصيل فى لغته وتحليله وملائم جداً لتحديات المرحلة وما يموج فيها من تحولات وتغييرات. الكتاب يحمل عنواناً مثيراً ومستفزاً: "الانفجار العظيم: عصر النهايات"، ويقع فى 187 صفحة، وصادر فى طبعته الأولى 2021 عن منشورات مجموعة الأكاديميات الدولية. من أول عبارة فى مقدمة الكتاب يعلن الكاتب أن هذا الكتاب يندرج ضمن الكتابات الاستشرافية التى تواكب بالتحليل والنقد التحولات والتغييرات الجارية في العالم وآفاقها المستقبلية المحتملة،

ويؤكد أنه لم يعد بالإمكان التخطيط للمستقبل بدون استشرافه فى ظل حاضر مضطرب وعنيف ومستقبل غامض ومُرعب. يستمد هذا الكتاب ضرورته، بنظر المؤلف، من الأزمة العالمية الحالية والحاجة إلى فهم ما يجري من تحولات وتغييرات، ويستمد مشروعيته العلمية والفكرية والمنهجية من مرجعيات ومقاربات متعددة ومتكاملة، ومن تحليل الواقع الراهن بمختلف أبعاده للكشف عن حركيته وتحولاته، ومن فكر نسقى مُركّب عابر للتخصصات. وقد قام المؤلف في هذا الكتاب بتجميع شتات قصة نهايات متعددة ومتنوعة (نهايات من المجال التعليمى والإعلامى والثقافى والاجتماعى والاقتصادي والسياسى)، لبناء الصورة الكلية للتغييرات والتحولات الجارية فى الحاضر والقادمة فى المستقبل، وهى تغييرات وتحولات ثورية تعلن عن نهاية القيم والمؤسسات التقليدية التى فتحنا أعيننا عليها وألفناها لحد الاعتقاد بأنها قيم ومؤسسات طبيعية وأبدية.

من هذه النهايات نقرأ فى فصول الكتاب:

نهايات فى المجال التعليمى

- نهاية المدرسة
- نهاية البيداغوجيا
- نهاية الجامعة
- نهاية التخصص
- نهاية الشهادة

نهايات في المجال الثقافي والإعلامي

- نهاية الوسائل التقليدية لنقل المحتوى
- نهاية الإعلام التقليدي
- نهاية المثقف
- نهاية التفكير

نهايات فى المجال الاجتماعى

- نهاية المجتمع
- نهاية الطبقة المتوسطة
- نهاية الصراع الطبقى
- نهاية الخصوصية
- نهاية السعادة

نهايات فى المجال الاقتصادي

- نهاية السوق
- نهاية النقود
- نهاية الوظيفة العمومية
- نهاية أنظمة التقاعد
- نهاية الطاقة الأحفورية
- نهاية الاستهلاك المسؤول

نهايات فى المجال السياسى

- نهاية السياسة
- نهاية القيادة
- نهاية الديمقراطية
- نهاية الحريات الفردية

- نهاية الدولة الاجتماعية
- نهاية المصلحة العامة
- نهاية الجنسية
- نهاية الغرب

وقد ابتعد المؤلف، كعادته فى كتاباته، عن الأسلوب الأكاديمى الجاف، ليحدثنا بشغف عن هذه النهايات التى يعرفها العالم، لكن بهدوء فكري وعمق علمى وبلغة استفزازية إيجابية مساعدة على فهم ما يحدث من تحولات وتغييرات. كما حرص الكاتب على التقديم للفصول الخمسة التى تتحدث عن النهايات بفصل تمهيدي منهجى يحمل عنوان: فقه النهايات، تحدث فيه عن القضايا الابستمولوجية (الأصولية) والمنهجية التى يطرحها خطاب النهايات، وختم هذا الفصل بالحديث عن الضوابط المنهجية لخطاب النهايات. وختم المؤلف كتابه بخاتمة واعدة تحمل بعض الأمل الإيجابى وتخفف من رُعب خطاب النهايات الذي يهيمن على الكتاب تتحدث عن "بداية دورة تاريخية جديدة". والكتاب في المجمل هو إبداع جديد ينضاف إلى قائمة مؤلفاته المتميزة فى مجال الإدارة والقيادة، التى تجمع بين الفائدة والمتعة وتأسيس الوعى الاجتماعى، وتتسم دائما بروح تجديدية وعمق فكري أصيل.

الكاتبة والمترجمة والإعلامية العراقية لطفية الدليمي



عصرُ النهايات أم عصر البدايات؟
جريدة الشرق الأوسط - رقم العدد [15708]

ليس غريباً أن تسود الرؤى الديستوبية فى أوقات الأزمات. تلك حقيقة متواترة فى التأريخ البشري، وقد خَبَرنا فى السنتين الماضيتين الكيفية التى ساهمت بها الجائحة الكورونية فى شحذ رؤى السايكوباثيا الديستوبية. يبدو أن البعض مشحونون برؤى قيامية apocalyptic ترى فى كل معضلة عالمية تجابه الإنسانية مصداقاً لرؤاهم. إنها متناقضة بشرية تدعو إلى الدهشة؛ ففى الوقت الذي نرى فيه العلماء فى كل بقاع الأرض مهجوسين بكيفية درء الأخطار المحدقة بالبشرية بوسائل عملية، يكتفى البعض بالجلوس فوق التلة والتلذذ برؤية الناس وهى تغرق فى المعاناة اللانهائية. هذا البعض ليس جزءا من الحل بالتأكيد؛ لكنه فوق ذلك يساهم فى التبشير بالنهاية المأساوية للعالم. إذا لم تكن ترغبُ فى أن تكون جزءا من الحل فعلى الأقل لا تساهم في التبشير بالنهايات المرعبة للعالم. لا تكن مِعْوَلاً يساهم في

بث اليأس والتبشير بنهايات قيامية لعالمنا، وكأننا على أبواب ثقب أسود سيلتهمنا عما قريب، وليس أمامنا سوى توديع أحبائنا فى رحلة لا عودة منها.

قادنى الفضاء الفيسبوكى إلى كتاب عنوانه «الانفجار العظيم: عصر النهايات»، لمؤلفه الدكتور إدريس أوهلال، صدر عام 2021 عن مجموعة الأكاديميات الدولية IAG، كان العنوان لافتاً لى بسبب حمولته الدرامية. قرأت الكتاب فى جلسة واحدة، فهو ليس من الكتب البدينة، بل هو أقربُ إلى استشرافات شخصية لواقع حال الإنسانية. الكتاب له فضائله من حيث إنه يبتعد عن المقاربات الديستوبية الشائعة، ويمنح القارئ غير المتخصص رؤية شاملة لواقع حال البشرية والمعضلات الراهنة التى تواجهها ونذر النهايات التى تناولها الكتاب بالتفصيل. الكتاب جهد ينبغى أن يُحْسَب للكاتب، وهو من الكتاب المغاربة المتخصصين بتصميم الاستراتيجيات والدراسات الشاملة العابرة للتخصصات الضيقة.

يبدأ الكتاب بفصل عنوانه (فقه النهايات) ونقرأ فيه العناوين التالية: الانفجار العظيم، عصر النهايات الكبرى، نهاية دورة تأريخية، هل هى مؤامرة عالمية؟ هل هى نهاية الرأسمالية العالمية؟ هل نسير إلى الهاوية؟ المنزعجون من النهايات، فى فضائل الأزمات، الضوابط المنهجية لخطاب النهايات.

بعد هذه المقدمة التمهيدية يبدأ المؤلف فى الكشف عن خريطة نهاياته. يبدأ أولاً مع النهايات فى المجال التعليمى: نهاية المدرسة، نهاية الجامعة، نهاية التخصص، نهاية الشهادة

الأكاديمية. يتبع هذا فصلٌ يتناول النهايات فى المجال الثقافى والإعلامى: نهاية الوسائل التقليدية لنقل المحتوى، نهاية الإعلام التقليدي، نهاية المثقف، نهاية التفكير. بعد هذا يقودنا المؤلف نحو فصل يتناول فيه النهايات فى المجال الاجتماعى: نهاية المجتمع، نهاية الطبقة المتوسطة، نهاية الصراع الطبقى، نهاية الأسرة، نهاية الخصوصية، نهاية السعادة. يتناول الفصل الخامس نهايات فى المجال الاقتصادي: نهاية السوق، نهاية النقود، نهاية الوظيفة العمومية، نهاية أنظمة التقاعد، نهاية الطاقة الأحفورية، نهاية الاستهلاك المسؤول. يتناول المؤلف فى الفصل الأخير نهايات فى المجال السياسى: نهاية السياسة، نهاية القيادة، نهاية الديمقراطية، نهاية الحريات الفردية، نهاية الدولة الاجتماعية، نهاية المصلحة العامة. ثم ينهى المؤلف كتابه بخاتمة يقدمُ فيها معالم بداية دورة تأريخية جديدة.

لنبدأ أولاً بفضائل الكتاب:

أولاً: ينتمى الكتاب لفئة الدراسات المستقبلية Future Studies، تلك الفئة التى لا تلقى إلا أقل المقروئيات فى عالمنا العربى. يحرك المؤلف الكثير من المياه الراكدة باتجاه استشراف الرؤى المستقبلية لصيرورة العالم. نحنُ فى النهاية جزء من هذا العالم، ويهمنا ما يمكن أن يحصل له من نهايات وبدايات.

ثانياً: تأكيد فكرة أن الحياة لعبة صراعية على المستوى الفردي مثلما على المستوى الجماعى. هذا هو واقع الحال الذي لا نستطيع تلطيفه أو تزويقه بادعاءات فلسفية عن ضرورة الحياة التشاركية: «الحياة باختصار وفى كلمة واحدة لعبة، واللعبة صراع، وفى كل صراع يوجد لاعبون كبار وتابعون، ولكل لاعب مشاريعه واستراتيجياته فى المواجهة، واللاعبون الكبار لا يكتفون فى العادة بالهيمنة المادية وإنما يزاوجون بينها وبين الهيمنة الرمزية باستخدام استراتيجيات العنف الرمزي...».

ثالثاً: الطرائق الممكنة فى مقاربة فلسفة النهايات

1- فرضية الاستمرارية والتجديد: يرى هذا التوجه أن خطاب النهايات فيه الكثير من المبالغة، وأن كل ما فى الأمر تغييرات وتحولات طبيعية ومألوفة ومتكررة عبر التاريخ فى إطار التجديد.

2- فرضية الفوضى والأزمة والاندثار: يرى هذا التوجه أننا نعيش فى فوضى عالمية متزايدة، وأننا نمضى صوب الكارثة، وأننا فقدنا القدرة على التكيف.

3- فرضية النهايات والبدايات: وهى فرضية ثالثة تعتقد بوجود نهايات حقيقية، وبأن ما يحدث ليس من جنس التغييرات والتحولات الطبيعية المألوفة فى إطار التجديد للعبة ولقواعدها؛ وإنما تفجير لها من الداخل لكن من دون أن يعنى ذلك أننا نتقدم نحو الكارثة، وإنما يعنى أننا نتقدم نحو بدايات جديدة.

رابعاً: التفريق بين خطاب النهايات الفلسفى وخطاب النهايات العلمى

«... خطاب النهايات الفلسفى يتحدث عن نهايات مجردة: نهاية العلم، نهاية الفلسفة، نهاية التاريخ، نهاية الإنسان، نهاية الدولة... إلخ من مواقع فكرية مجردة وبمنهج تأملى مجرد ولهدف تصفية حسابات فكرية أو خدمة مصالح فئوية، أما خطاب النهايات العلمى فيستشرف مستقبل مؤسسات وقيم تمثل جزءا من واقع الناس ومعيشهم اليومى كالمدرسة والوظيفة والنقود والحريات الفردية، ويستهدف مساعدة الأفراد والمنظمات والحكومات على رؤية المستقبل بشكل أفضل، واتخاذ أفضل القرارات لبنائه».

خامساً: التوصيف الدقيق لسايكولوجيا النهايات

«...برأي المنزعجين والخائفين والمرعوبين فإن الوضع الراهن يدعو للصمت والترقب فقط، ولا حاجة لنا بالتحليلات والرؤى. اليوم لا شىء يبدو واضحا، لا عدو يبدو واضحا ولا صديق يبدو واضحا. نحن فى فتنة، وبالتالى فحاجتنا الأولى والوحيدة هى الصمت ثم الصمت ثم الصمت. إنه زمن الصمت والهدوء والرجوع للذات ولملاذاتنا الآمنة، ولسنا خائفين من شىء، ولا راغبين فى شىء...».

سادساً: بساطة عرض الموضوعات

يبدو أن المؤلف – وهو من المتمرسين فى تقنيات التنمية الذاتية – يعرف أن القارئ العربي لا يطيق التحليلات الأكاديمية المطولة

والدراسات الاستقصائية المسهبة؛ لذا نراه يعتمد مقاربة اختزالية صارمة تقوم على أساس كشف مظاهر كل نهاية مع بيان قائمة بمسبباتها؛ الأمر الذي يجعل من الكتاب مادة مناسبة للتداول فى الفضاء العام.

سابعاً: التأكيد على النبرة التفاؤلية العقلانية فى مقابل شيوع السوداوية السايكوباثية الراهنة

يؤكد المؤلف بهذا الشأن وفى الفصل الختامى من الكتاب: «...علينا - ونحن نستعرضُ النهايات - أن نزرع الأمل الإيجابى لا الأمل الكاذب، فجميع النهايات تقود إلى بدايات جديدة لا إلى الكارثة أو الهاوية. صحيحٌ هو القول بوجود نهايات، وأن لكل حقبة من التأريخ نهاية، لكن التأريخ لا نهاية له»، ثم يُتبعُ المؤلف رؤيته العقلانية المتوازنة هذه باستراتيجيات عشر تمثل مفاتيح مركزية للتعامل مع النهايات المستجدة.

قدم الكتاب خريطة مسحية سريعة ومقتضبة لما يمكن أن تلاقيه البشرية فى السنوات القادمة من نهايات لبنى هيكلية قديمة وولادة أخرى جديدة، وبرغم أن المؤلف اجتهد أن يكون عابراً على الآيديولوجيات لكنى أرى بعضاً من الإسقاطات الآيديولوجية فى ثنايا الكتاب. دعونى أقدم لكم مثالاً واحداً فحسب: ثمة أكثر من موضع واحد يصف فيه المؤلف الرأسمالية بـ«الرأسمالية المتغولة المتوحشة»، وواضحٌ من السياق الذي يجري الحديث عنه أنه يقصدُ الرأسمالية الجديدة التي نشأت عقب شيوع

فلسفة النيوليبرالية. إن من الخطل المفاهيمى المساواة بين كل الرأسماليات، فهى ليست لوناً واحداً ولا صيغة واحدة. كيف لنا مثلاً أن نساوي رأسمالية دولة الرعاية الاجتماعية السائدة فى المنطقة الاسكندنافية مع رأسمالية الأسواق الحرة المنفلتة المحكومة بالمشتقات المالية والاقتصاد الرمزي القائم على تداول أصول وهمية؟

إن قراءة كتاب مثل (الانفجار العظيم: عصر النهايات) تجربة جميلة مثلما هى ضرورة لازمة؛ فنحن فى النهاية جزء من هذا العالم، ولا يمكننا غض الطرف عما يحصل فيه من تغييرات متسارعة ستعيد ترسيم تضاريسه في السنوات القليلة المقبلة.

الكاتب العماني حيدر بن عبدالرضا اللواتي



قراءة للفصل الخاص بالتعليم
في كتاب "الانفجار العظيم.. عصر النهايات"
جريدة الرؤية العمانية، بتاريخ 21 نوفمبر 2021

صدر عن المفكّر المغربى الأستاذ إدريس أوهلال العديد من الكتب العلمية التى تتناول قضايا الاستراتيجية والتنظيم والذكاء المالى وصناعة الثروة، وقضايا الجودة وفشل المنظمات وقواعد الحزم وغيرها، وكان آخرها كتاب "الانفجار العظيم: عصر النهايات" الذي صدر خلال العام الحالى فى "الرباط" عن مجموعة الأكاديميات الدولية "IAG".

الكاتب يتناول فى أطروحته الجديدة العديد من القضايا التى تهم مجالات التعليم المستقبلى، والثقافة، والرأسمالية، والأزمات التى تعيشها البشرية، ونهاية التفكير، والمجتمعات، والصراع الطبقى، ونهاية الخصوصية، ونهايات المجالات الاقتصادية والديموقراطية والحريات الفردية ونهاية النقود وأنظمة التقاعد

وغيرها من القضايا التى تهم الأفراد والمؤسسات الوطنية والعالمية، مع التركيز على انطلاقة بداية دورة تاريخية جديدة فى المُجتمعات.

يشير المؤلف فى مقدمة كتابه إلى أن هذا الكتاب استشراف للمستقبل وقراءة آفاقه المحتملة، فى ظل حاضر مرعب ومضطرب وعنيف ومستقبل غامض، موضحاً أن هذا الكتاب يستمد ضرورته من الأزمات العالمية الحالية، والحاجة إلى فهم ما يجري من تحولات وتغييرات. كما إن الكتاب يتعرض أيضاً إلى وقفات مع ظهور مؤسسات جديدة وثورية تعلن عن نهاية القيم والمؤسسات التقليدية التى فتحنا أعيننا عليها وألفناها لحد الاعتقاد بأنها قيم ومؤسسات طبيعية وأبدية على حد تعبير الكاتب، كما يبحث النهايات للعديد من المفاهيم بصورة حديثة فى ضوء التحولات التى يعيشها العالم، والصراعات التى تفجرت فى الكثير من مجالات الحياة العلمية والثقافية والاقتصادية، الأمر الذي يتطلب من الشعوب والحكومات تغييراً فى كيفية تعليم أبنائها فى ظل الثورة العلمية والمعرفية الحديثة، وتحليل القضايا المطروحة بعمق لتعزيز الوعى والحذر مما يُحاك ضد الشعوب والأمم المتخلفة.

هنا يطالب الكاتب بالتخلى عن المؤسسات التى تم إنشاؤها واختراعها فى القرن التاسع عشر، مؤكداً أنه من الخطأ التمسك بالمدرسة التقليدية النمطية الفاشلة، حيث يرى أنَّ آلة التعليم الجديدة تفجّر اليوم أشكالاً جديدة للمعرفة ووسائل العلم

والتعلّم، ومن الخطأ التمسك بتعليم جامعى نظامى حكومى وخاص يمتد لخمس سنوات وأكثر فى زمن يستطيع فيه الشخص من مكانه بالمنزل امتلاك أفضل الشهادات والخبرات فى سنة ونصف السنة أو سنتين بمزيج من أفضل الكورسات المتميزة من جامعات عالمية مختلفة وموضوعة رهن إشارته فى منصة رقمية بسعر لا يتجاوز 15٪ من تكلفة الاستثمار فى تعليم جامعى خصوصى حضوري. ويؤكد الكاتب فى هذا المحور أنه من الخطأ تضييع العمر فى تعليم جامعى فاشل، فى حين يمكن تعلّم معارف ومهارات بحجم أكبر وبشكل أفضل، وفى وقت أقصر من منصة رقمية عالمية، ومن خلال الأشكال الجديدة للتعلّم التى تتيح للفرد خيارات متعددة ومتنوعة دون قيد عتبة انتقاء أو شرط اختبار قبول، كما يسمح للطالب باختيار المواد التى تناسب احتياجاته وباللغة التى يفهمها لمواكبة المستقبل الذي يواكب نمط حياته وبأسلوب وكفاءة عالية. ويلمّح الكاتب فى هذا المحور للقرار الذي اتخذه الرئيس الأمريكى السابق دونالد ترامب فى 26 يونيو عام 2020 والذي طالب فيه الحكومة الفيدرالية بتوظيف المتقدمين للعمل وفق قدراتهم ومهاراتهم بدلاً من الشهادات الأكاديمية.

كتاب "الانفجار العظيم" يحتاج إلى قراءة متعمقة لفهم المدلولات التى وردت فيه تجاه القضايا التى تعانى منها الدول العربية والإسلامية فى مجال التعليم وغيرها من القطاعات الأخرى، في الوقت الذي تقوم فيه الرأسمالية العالمية بتخطيط

وطبخ الأمور وفق رؤيتها للعالم بحيث ما يحدث اليوم ليس تغييرا للعبة ولقواعدها، وإنما لتفجير تلك الدول من الداخل.
ويقدم الكاتب مثالاً فيما يتعلق بمحور التعليم، وأن ما يحدث اليوم فى هذا القطاع من شد وجذب وصراع بين بعض المؤسسات التعليمية الخصوصية وأولياء التلاميذ ما هو إلا بداية القصة التى لا تحكى عن نهاية المدرسة العمومية المجانية فقط، وإنما عن تحول الكثير من المؤسسات والمفاهيم التى اخترعت فى القرن التاسع عشر كالوظيفة العمومية والتوظيف مدى الحياة وأنظمة التقاعد والمصلحة العامة، حيث يتوقع الكاتب أن تطوف الرأسمالية العالمية المتوحشة بجناحيها الواقعى والافتراضى لتستولى على الأخضر واليابس.
الكاتب يؤكد أنَّ النموذج القديم للحياة استنفذ نفسه، وأنه لابد من إعادة اختراع المدرسة والجامعة والوظائف والسوق وغيرها بما يخدم مصالح الشعوب فى العصر الحالى، ومواكبة التطورات التى تحدث فى عالم اليوم والعمل مع الوظائف الآيديلوجية الجديدة. كما يؤكد الكاتب أنه لا يجب أن يفهم من نقد المؤسسات والقيم التقليدية أو الحديث عن نهايتها على أنها دعوة للتخلى عنها، فنقد المدرسة مثال والحديث عن نهايتها يجب ألا يُفهم منه على أن المطلوب من الأسر هو أن تنهض بمسؤولية تعليم أبنائها، فهذا من سابع المستحيلات فى ظل الثورة العلمية والانفجار المعرفى وظروف عمل الوالدين، ومحدودية نتائج تجارب "التعليم المنزلي" دليل على خطورة

المغامرة بمستقبل الأبناء بركوب خيارات غير مدروسة وغير مجربة وغير واقعية، فى الوقت الذي نرى عجز مؤسسات القرن التاسع عشر لمواكبة تطور الرأسمالية من رأسمالية صناعية إلى رأسمالية معرفية وعن أداء الوظائف الآيدلوجية الجديدة التى تحتاج إليها فى شكلها الجذاب والناعم والرقمى التى ستكون لنا رأسمالية متوحشة ومفترسة لأنها ستعيد إنتاج عبودية القرن العشرين فى أشكال جديدة من الهيمنة الشمولية، فى الوقت الذي سيُواجه فيه أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة فى دولنا الكثير من المصاعب الاجتماعية لمواجهة التنمية الاقتصادية وفق النموذج الرأسمالى الجديد، وسيؤدي إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة. بحيث تكون المؤسسات الجديدة فى شكلها الجذاب والناعم والرقمى، وتوفير الفرص للأجيال الجديدة فى جو من الحرية فى عالم مُبتكر وذكى يعمل فى ظل "بلوكتشين، الذكاء الصناعى، إنترنت الأشياء والمعلوميات الكمية، والبيانات الضخمة، والتخزين السحابي".

الكاتب السوداني عادل عبد العزيز حامد



قراءة لكتاب الانفجار الكبير: عصر النهايات
صحيفة السودانايل، بتاريخ 9 سبتمبر 2021

الكتاب من الحجم المتوسط ويقع فى 187 صفحة والناشر هو مجموعة الأكاديميات الدولية.
المؤلف / إدريس أوهلال من كبار كتاب المغرب العربى ورائد من رواد الدراسات المستقبلية أو دراسات الاستشراف المستقبلى وهو إمتداد معاصر كفكر المهدي المنجرة والذى يعتبر من كبار رواد الدراسات المستقبلية.
يعرف المؤلف كتابه بأنه فى استشراف المستقبل وقراءة آفاقه المحتملة فى ظل حاضر مضطرب غامض ومرعب.
يستمد هذا الكتاب أهميته من الأزمة الحالية والحاجة الى فهم ما يجري من تحولات وتغيرات ويستمد مشروعيته العلمية والفكرية والمنهجية من مرجعيات ومقاربات متعددة ومتكاملة ومن تحليل الواقع الراهن بمختلف أبعاده، للكشف عن حركيته وتحولاته ومن فكرنسقي مركب عابر للتحصصات، نؤمن أنه

وحده يستطيع أن يرى الواقع المركب على حقيقته ويفهم الأزمات المركبة فى شموليتها وتعدد أبعادها.
الكتاب يقوم بتجميع شتات، ففيه نهايات متعدده ومتنوعة وتجميع شتات قصه بدايات جديدة أيضا، وتجميع هذه القطع ضروري لتكتمل الصورة الكلية للنهاية والبداية وتراعى التحولات الجارية فى الحاضر والقادمة فى المستقبل.
يبحث الكتاب من خطاب النهايات لتفسير علاقة الجديد بالقديم، وطوفان التحولات التى يعيشها العالم وما تتطلبه البدايات الجديدة من فهم للحياة بإعتبارها ظاهرة متجددة والصراع بإعتبار قانونى إجتماعى كونى.
ويرى المؤلف أن الهدف من إطالة الوقوف عند النهايات وتحليلها بعمق لتعزيز الوعى لطبيعة التحولات الكبيرة مع الوعى بالبدايات والفرص التى تولد منها، لأن كل نهاية هى بداية جديدة ومع هذا الوعى المزدوج يجب أن تتضح الرؤية والمسؤوليات والأدوار الجديدة.
يستعرض الكتاب من الفصل الأول وفيه النهايات وعصر النهايات الكبرى وبداية دوره تاريخية جديدة، ويتحدث عن نهاية الرأسمالية العالمية ويسميها الرأسمالية العالمية المتوحشه، ويتساءل هل هى تسير نحو الهاوية ويستعرض الضوابط المنهجية لحطاب النهايات.
وفي الفصل الثانى يستعرض النهايات فى المجال التعليمى :

- نهاية المدرسة

- نهاية الجامعة
- نهاية التخصص
- نهاية الشهادة

وفى الفصل الثالث يستعرض النهايات فى المجال الثقافى والإعلامى :

- نهاية الإعلام التقليدي
- نهاية المثقف
- نهاية التفكير

وفي الفصل الرابع يتحدث عن النهايات فى المجال الإجتماعى :

- نهاية المجتمع
- نهاية الطبقة المتوسطة
- نهايو الصراع الطبقى
- نهاية الأسرة
- نهاية الخصوصية
- نهاية السعادة

وفي الفصل الخامس يستعرض النهايات فى المجال الإقتصادي:

- نهاية السوق
- نهاية النقود
- نهاية الوظيفة العامة
- نهاية أنظمة التقاعد
- نهاية الطاقة الأحفورية
- نهاية الإستهلاك المسؤول

وفي الفصل السادس يتحدث عن النهايات فى المجال السياسى:

- نهاية السياسة
- نهاية القيادة
- نهاية الديمقراطية
- نهاية الحربات الفردية
- نهاية الدولة الإجتماعية
- نهاية المصلحة العامة
- نهاية الجنسية
- نهاية الغرب

وفى الخاتمة يستعرض بداية دورة تاريخية جديدة بعد استعراض نهاية الغرب التى تعتبر فرضية مؤكدة وواضحه لكثير من المستويات :

1/ الموت السياسى :

المستجد فى نهاية الانفراد بالريادة العالمية بسبب صعود قوى جديدة كالصين وروسيا والهند وتركيا وتراجع الغرب عن المكانة السياسية التى كان يحتلها سابقا.

2/ الموت الإقتصادي :

الموت الإقتصادي للغرب مقارنة بالأداء المتميز والمتعاظم للإقتصاد الصينى والذى تفوق على الولايات المتحدة الأمريكية فى السنه الماضية (2020).

3/ الموت الإجتماعي :

الموت الإجتماعى للغرب بسبب إرتفاع الفاتورة الإجتماعية للسياسات الرأسمالية المتوحشه / إرتفاع معدلات الإنتحار، معدلات الإدمان للمخدرات، معدلات الطلاق والتحول من الأسرة النووية للأسرة وحيدة الأبوين ومعدلات الجريمة المرتفعه.

4/ الموت الفكري الثقافى :

بسبب الثورة الفكرية التى إجتهدت فى خلق أوجه جديدة مهمه ثقافيا ً وفكرياً وبسبب التشكيل الداخلى فى النموذج الغربى للديمقراطيه السياسية والعدالة الإجتماعية.

5/ الموت الديمغرافى :

الناتج عن النقص فى معدل الخصوبة والتى هبطت الى طفل واحد لكل إمرأة علماً بأن الحد الأدنى لتعويض الوفيات هو طفلين لكل إمرأة، وأخيراً تحدث المؤلف عن الموت العلمى بسبب بداية تخلف امريكا والاتحاد الأوربى عن الصين فى مجال الإبتكار والبحث العلمى كالانفاق على البحث العلمى وبراعات الاختراع وتكنولوجيا الإتصالات، واستخدام الروبوتات الصناعية.

وقد كنت أختلف مع المؤلف فى هذا الجانب العلمى بأن أمريكا لها ميزانيات ضخمة من مجال البحث العلمى والإبتكار، ولكن عندما نراجع بعض الكتابات الأخيرة فى هذا المجال تبين له صحة ما وصل إليه الكاتب من هذا المجال، لأنه بحلول عام 2025 ستكون الصين متفوقه تماماً على أمريكا في هذا المجال.

ويؤكد المؤلف إننا يجب ألا نفرح لموت الغرب لأن ذلك لا يعنى نهاية الشر الذى يتلبس جسده (الروح الإستعمارية والنزعة الإمبريالية والفظائع التى ارتكبت فى أفريقيا، والشرق الأوسط، وآسيا وأمريكا اللاتينية والسياسات الإقتصادية المتوحشه عبر العالم). فعندما يموت الجسد يخرج الشيطان إلى جسم جديد أكثر حيوية ونشاطاً.

ويختم المؤلف كتابه بأن التفكير فى النهايات هو تفكير فى كل القيم وهو تفكير يستشرف مع كل نهاية بداية جديدة فضم عهد النهايات وأهمها استشرف البدايات الممكنة والمحتملة الجديدة وإستعدلها.

هذا كتاب عظيم للغاية بأسلوب شيق جذاب وهو حقاً أسلوب السهل الممتع فى مجمع المعانى الجامع هو (السهل الذى لا يمكن تقليده أو مضاداته، ما يحتاج إلى رؤية وتدبر) وهكذا كان الأمر.

كتاب عظيم أوصى بقراءته لكل الذين يتدبرون الأمور ويستشرفون المستقبل الزاهر السعيد.

الكاتب اللبناني جمال الزعيم المنجد
مدير عام المعهد الوطني للإدارة بلبنان



«الميتافيرس*»
نهاية الصروح العلمية أم بداية التسونامي المعرفي؟
مجلة عرب أستراليا سيدني، بتاريخ 14 ديسمبر 2021

خلال رحلة الطائرة التى قادتنى منذ أيام من بيروت إلى باريس، استمتعت بقراءة كتاب إلكترونى كنت قد احتفظت به على هاتفى المحمول بعد أن أوصانى بقراءته منذ أشهر الصديق الدكتور زياد عبد الله، وهو كتاب بعنوان «الانفجار العظيم: عصر النهايات» للمفكر المغربى إدريس أوهلال، كتاب رائع يستشرف المستقبل حين يتحدث عن أثر التكنولوجيا فى نهايات متعددة: نهاية المدرسة والجامعة والتخصص والشهادة، نهاية الإعلام التقليدي والمثقف والمجتمع والطبقة الوسطى والأسرة، نهاية السوق والنقود وأنظمة التقاعد، نهاية السياسة والقيادة والديمقراطية والخصوصية والحريات الفردية، الخ. والأهم أن كل هذه النهايات المتوقعة ستكون بداية لدورة تاريخية جديدة.

ما يهمنى فى هذا المقال هو التحدث عن التكنولوجيا المتسارعة التى ستنهى على ما يبدو الصروح التعليمية والتدريبية التى نعرفها، وستنقلها من خلال ثورة معرفية هائلة إلى صروح حقيقية واسعة المحتوى عبر المجال الافتراضى، ولعلّ «الميتافيرس»(*) (Metaverse) الذي تحدث عنه الرئيس التنفيذي لشركة فايسبوك مارك زوكربيرغ فى تموز الفائت هو أول الغيث لتسونامى معرفى غير مسبوق، سيغير كل المفاهيم التى سمعنا عنها ونشأنا عليها منذ قرون، وسيتخطى كل ما ألفناه حتى فى أفلام الخيال العلمى.

فمن خلال ارتداء نظارات أو خوذة ثلاثية الأبعاد، يمكن لأي طالب فى العالم الانتقال الفوري عبر الإنترنت (وربما عبر وسائط أخرى أكثر حداثة) فى أي وقت وإلى أي مكان لتعلم أي شىء يريده، حيث يندمج العالم الافتراضى مع العالم الحقيقى، وغالباً ما سيأخذ هذا التعليم طابع «العلم الترفيهى» حيث ترتدي المنهجية الجديدة لباس التعلم عن طريق ألعاب سهلة وقريبة من أفهام الناس، ما سيجعل نظام «الميتافيرس» يحل بسرعة وسهولة محل محدودية «التعلم عن بعد» (Massive Open Online Courses, MOOCs).

ووفقاً لمؤسس شركة مايكروسوفت بيل غيتس، ستنتقل معظم الاجتماعات الافتراضية من شبكات الصور الثنائية الأبعاد، كما هو الحال في (Teams) أو (Zoom)، إلى عوالم افتراضية

ثلاثية الأبعاد مع صور رقمية عالية الدقة تنقلنا إلى قاعة «حقيقية» مع الآخرين.

وبدل أن يقترض الطالب أموالاً طائلة كى يلتحق بدراسات جامعية عالية المستوى، يمكنه حينها أن يسدد ما يتعلمه بطريقة إلكترونية بحسب إمكاناته المادية، وهذا يعنى أنه سيكون بإمكانه شراء مقعد افتراضى فى أي قاعة محاضرات ثلاثية الأبعاد تقدم المادة التى يرغب باكتسابها، وهذا يعنى أيضاً أنه سيكون باستطاعته دراسة مواد فى اختصاصات متعددة ليكوِّن المهارات التى خطَّط لها، بعيداً عن شهادة معينة فى اختصاص محدد لا تفتح له أي فرصة فى أسواق عمل المستقبل المتغيرة جذرياً.

وبدل أن يكون فى كل بلد عدداً من الجامعات والكليات والمعاهد العليا، ستبرز جامعات عالمية جديدة ضخمة يملكها عمالقة التكنولوجيا تغطى احتياجات كل طلاب العالم باللغات التى يتقنونها. وبدل أن يكون لدينا معلمين ماهرين، سيصبح العمل الأساسى فى هذا التعليم الافتراضى الشمولى من اختصاص المطورين التكنولوجيين للبرمجيات المعلوماتية والإلكترونية الذين سيوفرون كماً هائلاً من العلوم والمعارف بتكاليف محدودة، ما يقلل بنسب كبيرة تكاليف التعليم على الطلاب.

باختصار، نحن على أعتاب ثورة تكنولوجية جديدة ستعتمد على العقل والخيال والتكنولوجيا والذكاء الاصطناعى والبيانات الضخمة وتقنيات جديدة ما زالت في طور الاختراع، وسنكون

خلال خمس إلى عشر سنوات فى عالم تعليمى (بل ومهنى) جديد لا يشبه أياً من العوالم السابقة التى عرفناها.

(*) مصطلح «ميتافيرس» هو اختصار لكلمتى (Meta) و(Universe)، وتعنى حرفياً «ما وراء الكون»، وقد استثمر زوكربيرغ فى مشروعه الضخم هذا حتى الآن أكثر من ٥ مليارات دولار. أما مصطلح «ميتافيرس» فظهر لأول مرة عام ١٩٩٢، في كتاب (The Virtual Samurai)، للمؤلف الأميركى نيل ستيفنسون، عندما كان الإنترنت لا يزال في مهده، ويصف الكتاب مستقبلاً بائساً للعالم، إذ سيكون مستخدمو «الميتافيرس» هدفاً لفيروس كمبيوتر يصيب أدمغتهم مباشرة.



ملاحق

شهادات في الكتاب



شهادات في الكتاب

من المغرب

- قرأت الكتاب وهو مستفز، وليس الأسلوب هو المستفز بل مضامين الكتاب.. لأن العامة لا تحب الاستشراف، أما الأسلوب فبالعكس هو لطيف جداً.

(الدكتور ح ق)

- دان لك ألق الكتابة ورشاقة الفكرة وعمق التحليل..

(الدكتور إ م)

- كتاب ممتع وعميق عمق كاتبه المفكر المبدع إدريس.

(الدكتور م هـ)

- فعلا.. أفكار يجب مناقشتها.. أغلبها حقائق صادمة لمن اعتاد "التفكير" المحنط. الكتاب يزلزل كثيراً من الأشياء عند القارئ مهما كان هذا القارئ، ويفرض عليه التفاعل سلبا أو إيجابا أو هما معا.

(الأستاذ م ك)

- كنت أذكر فى مرحلة كلية علوم التربية لما كنا مع بعض أنك تنتقد التمرد على المنهجية الأكاديمية، وأنا أرى الآن لو بقيت أكاديمياً لما كتبت سطراً واحداً. أنا بكل صدق مرتاح لمسيرتك وأن حياتك الحمد لله جعلت لها معنى.. هذا انطباعى.

(الدكتور ح ق)

- قرأت الكتاب مرة واحدة، وأنا عاكف على إعادة قراءته للمرة الثانية، كتاب يطرح أسئلة حارقة، ويجيب عنها المؤلف باختصار شديد بعيدا عن الإسهاب الأكاديمى الذي يتعب القراء، خصوصا هذه الأيام الذي تراجع فيه منسوب مَلَكَة القراءة بفعل الهجوم الرهيب للتفاهة على واقع الحال.. مقاربة تحليلية رصينة كما عودتنا دائما.. كل الحب والتقدير.

(الأستاذ ح ح)

- كنت تواصلت معكم سابقا حين انتهيت من قراءة الكتاب الرائع الماتع قواعد الحزم والذي لا زلت اعتبره من أروع الكتب التى قرأت خلال العام الماضى. واليوم أجدد شكري وتقديري لك على حس مشاركة الخبرة والفائدة الذي لقيته منك من خلال مشاركة مؤلفك الجديد "الانفجار العظيم: عصر النهايات"، وأغتنم الفرصة لتهنئتكم على هذا الانتاج الموفق.

(الأستاذ أ ع)

- كعادتك أستاذي الفاضل أوهلال تحاول الخروج من المألوف واستشراف المستقبل بل وصناعته. نقاط جد هامة وسابقة لأوانها، ولعل موجة كورونا فى هذا السياق لتسريع النهايات والتفجير الكبير الذي يحتاجه النظام العالمى الجديد.

(الأستاذ ر ر)

- كتاب رائع، شدنى إليه شداً، خاصة وأنى أحد رقيق القرن العشرين والحادي والعشرين، الوظيفة العمومية، ما تركته حتى التهمته، تحليل راقى ورائع. بالتوفيق. وشكرا مجددا.

(**الأستاذ م ب**)

- فعلا كتاب رصين جدير بتحليل رصين. دام لك ألق الإبداع والإمتاع أخى وأستاذي المفضال دكتور إدريس أوهلال.

(**الأستاذ ر هـ**)

- رؤية جديرة بالتداول والنقاش، ومشروع يمثل أرضية جامعة لاستهلال وطرق أبواب صحيحة للابتعاد عن أوهام التناول الحقيقى لأزمة المشروع التنموي "لدول الجنوب".

(**الأستاذ م م**)

- الكتاب فى المجمل هو إبداع جديد ينضاف إلى قائمة مؤلفات الكاتب المتميزة فى مجال الإدارة والقيادة، التى تجمع بين الفائدة والمتعة وتأسيس الوعى الاجتماعى، وتتسم دائما بروح تجديدية وعمق فكري أصيل.

(**الأستاذ م ا غ**)

- كتاب من بداية المقدمة حساس ومثير وجدير بالقراءة.

(**الأستاذ ع ر**)

- كتاب الانفجار العظيم.. كلام وأفكار من ذهب أجد صداها فى كتابات Régis Debray ونظريته Médiologie وكتابات هواري خاصة Homo d'EUS وفلسفة وأيديولوجية "ما بعد

الإنسانية". شكرا.. لكن لا أحد يشعر بأهمية الموضوع وبالخطر القادم.. تحياتى.

(الدكتور إ م س)

- Phare tu es, de par la source intellectuelle éclairante sur des questions d'actualité. Phare (selon une visée arabophone mais transposable dans la culture francophone) en ce que cela a un sens avec l'idée de rat de bibliothèque, un atout désuet de nos jour. Selon une acception amazighophone, phare en rapport avec le radical de ton prénom, "d, r, s": apprivoiser, ce qui renvoie à ton sens inouï d'adaptation et d'adaptabilité. Phare enfin, quand j'en arrive au nom de famille que tu porte "o" (relatif à) et "hlal" source de lumière dans le noir de la nuit. Synthèse. Phare = sens littéral mais polyvalent: éclairage et adaptation; sens figuré: analyse futuriste: changement imminent à qui veut l'entendre; sens symbolique: rapport philosophie/humanité. Merci d'avoir inspiré ces réflexions.

(Prof M A)

شهادات في الكتاب

من الجزائر

- بعد قراءتى لكتاب الانفجار العظيم أقول: تحليل رائع ...تدبير منطقى... ولغة استشرافية ذكية من مفكر ذكى ومتقدم جداً فى مدارج الوعى ... أبدعت فى الشرح والتوضيح والتحليل... حفظك الله وزادك علما وجزاك الله خيراً.. احترامى وتقديري.

(الأستاذة س ع)

- فعلا كتاب استشرافى أحدث انفجاراً كبيراً فى الاستشراف، وتناول الأقلام الجادة له بالتحليل والنقد يزيده قيمة وأهمية.

(الأستاذ ب ز)

- متعة فكرية، أرضية فكرية تستوجب على كل فرد حسب مسؤوليته على المستوى الشخصى أو التنظيمى أو المجتمعى الإنطلاق منها مع رصيد معرفى مكمّل لبناء جسور بين النهايات والبدايات، مع بناء نماذج عملية أولية للتعامل مع البدايات الجديدة ريثما تجهز النماذج التى تتطلب مزيد من الوقت. الكتاب أرضية فكرية تحتاج تجنيد فرق عمل لكل منها مشروعها العملى تساهم فى رفع المسؤولية عن الفرد الذي قد تكون نتائج عمله حتى على المستوى الشخصى ضعيفة ومحدودة. ندعو الله أن نجد من يستغل هذا العمل الفكري القيّم ويحوّله إلى أرض الواقع.

(الأستاذ ح ع م)

- كتاب ذو حس تحليلي ونقدي بنفس معاصر جدير بالاطلاع.

(الأستاذ أ. ل)

شهادات في الكتاب

من العراق

- نتعامل كبشر ومجتمعات مع الحياة بأزلية وأبدية وكأن ما هو موجود الآن كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد... كتاب الانفجار العظيم فتح كوة فى هذا الجدار السميك شاهدنا من خلالها أصالة التغيير وأصالة الحركة، فلكل شئ بداية ونهاية... المؤرخ يذكر البدايات والنهايات بعد حصولها، أما المستشرف فينبئنا عن النهايات والبدايات قبل حصولها لنستعد جيداً... وهذا ما وجدناه فى كتاب الانفجار العظيم الذي هو كتاب المستقبل ويعبر عن الرؤية العميقة لمؤلفه الدكتور إدريس أوهلال المحترم.

(الأستاذ ز ق)

شهادات في الكتاب

من السعودية

- لديكم قوة فى الطرح، وتميز فى الأداء، أستفدت كثيرا جدا من دوراتكم، والمواد العلمية المتاحة على اليوتيوب، بالإضافة إلى مؤلفاتكم التى تناقش المواضيع من زوايا واتجاهات لم نجدها فى المؤلفات الأخرى التى تتسم بالنقل والتقليدية دون إضافة علمية فارقة.

(الأستاذ ي م)

شهادات في الكتاب

من الإمارات

- يكفى للمتابع أن يحضر لمحاضرين رائدين فى دول أخرى لنرى شمولية تفكيرك ونتائجك.

(الأستاذ إ ع)

شهادات في الكتاب

من السودان

- هذا كتاب عظيم للغاية بأسلوب شيق جذاب وهو حقاً أسلوب السهل الممتع فى مجمع المعانى الجامع هو (السهل الذى لا يمكن تقليده أو مضاداته، ما يحتاج إلى رؤية وتدبر) وهكذا كان الأمر. كتاب عظيم أوصى بقراءته لكل الذين يتدبرون الأمور ويستشرفون المستقبل الزاهر السعيد.

(الكاتب ع ع)

شهادات في الكتاب

من سلطنة عمان

- كتاب "الانفجار العظيم" يحتاج إلى قراءة متعمقة لفهم المدلولات التى وردت فيه تجاه القضايا التى تعانى منها الدول العربية والإسلامية.

(الكاتب ح ل)

- طرح رائع وحصيف من كاتب رزقه الله المُكنة.

(الأستاذ أ ص ر)

شهادات في الكتاب

من لبنان

- كتاب رائع يستشرف المستقبل حين يتحدث عن أثر التكنولوجيا فى نهايات متعددة.

(الكاتب ج ز م)

شهادات في الكتاب

من ليبيا

- كتاب يستحق عقد المؤتمرات العلمية والندوات لسبر أغواره لتوسعة مجالات النظر فيما نحن صائرون إليه.

(الأستاذ ع ف)

شهادات في الكتاب

من الأردن

- الكتاب من الإبداعات الفكرية التى تؤسس لوعى اجتماعى وبروح تجديدية وعمق فكري أصيل.

(المنتدى العالمي للوسطية)

شهادات في الكتاب

من تشاد

- لقد أنزلت كتابك.. حقيقة أعجبنى ما رأيت.. أردت أن أشكرك على خدمة البشرية.. وأهنئكم على هذا العمل الجيد.

(الطالب ع ت ر)



ملاحق

ندوات عن الكتاب



ندوة مركز الصفوة للدراسات باسطنبول

بتاريخ 2021/8/29

رابط الندوة



ندوة المركز المغربي للاقتصاد التشاركي

بتاريخ 2021/9/10

رابط الندوة



ندوة مجموعات إقرأ للقراءة الهادفة

بتاريخ 2021/9/17

رابط الندوة



ندوة الجمعية المغربية لتحسين جودة التعليم
بشراكة مع المكتبة الوسائطية بالرباط بالمغرب
بتاريخ 2021/10/1

رابط الندوة



ندوة اتحاد المدربين الأكاديميين
بتاريخ 2021/10/15

رابط الندوة





صدر للمؤلف



إضاءات التميز المؤسسي

الجزء الأول

الاستراتيجية



عدد الصفحات: 168 صفحة

الطبعة: الأولى 2015

ملخص الكتاب

عندما تغيب الاستراتيجية ينتكس العمل إلى حريق يومي يستنزف الجهود دون معنى، أو إلى نجاحات تكتيكية تعطي النشوة المخدرة لكن دون وجهة. إن العمل المرحلي الآني من غير عمل مستمر هادف مجرد نثار من الأعمال لا تجمع شتاته رؤية موحدة على المدى البعيد.

إن الاستراتيجية مهمة ومصيرية. مهمة من حيث أنها تخرجنا من عزلتنا وتدفعنا نحو الغير لمواجهته والدخول في تنافس معه، ومن حيث أنها تحررنا من ضغط الضرورة أو الاستعجال أو التجريب. ومصيرية من حيث أنها تساعدنا على إدارة المخاطر واستغلال الفرص، كما تعلمنا الضبط والانضباط، وحس المسؤولية، وتحفز جهود فرق العمل وتوحدها حول رؤية واضحة للمستقبل.

لكن علينا أن نعترف بأن الاستراتيجية هي على درجة كبيرة من التعقيد، وتفترض الكثير من الذكاء والشجاعة، وهذا ما دفعنا إلى تعميق الاشتغال على هذا الموضوع بحثا وترجمة وتأليفا وتدريبا واستشارة. وهذا الكتاب، الذي جمعنا فيه إضاءاتنا في موضوع الاستراتيجية، هو امتداد لمساهماتنا السابقة في هذا المجال.

إضاءات التميز المؤسسي

الجزء الثاني

القيادة



عدد الصفحات: 106 صفحة

الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

ثلاث أزمات تفسر إخفاقات الماضي، وتعمق جراحات الحاضر، وتحاصر آمال المستقبل: أزمة القيادة، وأزمة الاستراتيجية، وأزمة التنظيم. ثلاث أزمات تعاني منها الإدارات العامة والشركات الخاصة والجمعيات والمنظمات عندنا ولا تزال.

والأزمة الأولى أعوص من الثانية والثالثة؛ فلنا من ترهل القيادات وضعف أدائها ما يكفي لتأليف موسوعة في العود الأبدي لتجارب الفشل. لكن لدينا أيضا من نماذج القيادة الناجحة والفعالة ما يدعو للفخر والاعتزاز، ويوفر نماذج حية للدراسة والتحليل.

كانت أزمة الاستراتيجية هي الدافع الأساس لي في ما ترجمت من أدوات ومنهجيات في التشخيص والتخطيط والإدارة الاستراتيجية، وفي ما كتبت من مقالات في موضوع الاستراتيجية خلال السنوات الماضية. وعندما نشرت كتابي "فقه الاستراتيجية" قمت بتوضيح الكثير من المفاهيم، وضبط الكثير من المبادئ، وبناء الكثير من النماذج. تحدثت عن التفكير الاستراتيجي، والفعل الاستراتيجي، والحقل الاستراتيجي، والذكاء الاستراتيجي... وحاولت جهد الإمكان أن أساهم في بناء مفاهيم ومبادئ وأدوات فقه الاستراتيجية بما يساعد كل من يهمه الأمر للخروج من أزمة الرؤية وغموض المشروع.

بعد "فقه الاستراتيجية" أنتقل الآن للكتابة عن القيادة.. عن "فقه القيادة". وأسأل الله عز وجل أن يبارك في الوقت والعمر للكتابة مستقبلا عن "فقه التنظيم".

إضاءات التميز المؤسسي

الجزء الثالث

التنظيم



عدد الصفحات: 223 صفحة

الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

يبدو موضوع "التنظيم" للباحثين والممارسين، على خلاف مواضيع الاستراتيجية والقيادة والأداء، موضوعا مألوفا وملموسا ويسهل تدبيره. فأغلبنا له تجاربه التنظيمية الشخصية في إدارة حكومية أو شركة خاصة أو جمعية خيرية أو منظمة غير حكومية.. ومن السهل تصور مجموعة من الأفراد حول طاولة واحدة يجتهدون في تشكيل وهندسة بنية تنظيمية «فعالة». هذا الإحساس بالبداهة والسهولة في التعاطي مع موضوع التنظيم يُوَلِّد لدى كل واحد منا الاعتقاد بأنه "خبير تنظيم" بالفطرة. والنتيجة المترتبة عن هذه الغيبوبة التنظيمية السعيدة وهذه الصناعة التنظيمية التقليدية بنيات تنظيمية وثقافات تنظيمية تفتقد إلى الفعالية والكفاءة وتشكل أحد أهم مصادر الهدر وعدم الفعالية في أداء منظماتنا.

للمساهمة في الخروج من هذا الواقع يأتي هذا العمل «إضاءات التنظيم» النابع من تحقيق وتدقيق علمي لمفاهيم ومبادئ وممارسات وأدوات هندسة التنظيم، ومن خبرة عملية في المجال.

إن النموذج العلمي الذي نقدمه في هذا الكتاب هو نموذج مصمم بشكل دقيق وفعال، ويشكل وسيلة عملية للفهم العميق لواقع المنظمة والفعل المؤثر فيها. ويتأسس هذا النموذج على مقاربة التنظيم من خلال أربعة أبعاد هي: الفاعلية التنظيمية، وضبط البنية التنظيمية، وانسجام التنظيم مع محيطه الخارجي، وحركية تطور التنظيم.

وانطلاقا من هذه الأبعاد الأربعة وضعنا نموذجنا الرباعي لأبعاد التنظيم:

- البعد الأول: الفاعلية التنظيمية.
- البعد الثاني: بنية التنظيم.
- البعد الثالث: محيط التنظيم.
- البعد الرابع: حركية التنظيم.

إن التنظيمات، كمُحَوِّلات الطاقة، نوعان رئيسيان: رافعات للطاقات البشرية أو خافضات لها، ولنا أن نختار بين الاحترافية في تصميم التنظيم وإدارته للرفع من الأداء أو التجريب الذي يقود إلى ضعف الأداء.

إضاءات التميز المؤسسي

الجزء الرابع

الأداء



عدد الصفحات: 159 صفحة

الطبعة: الأولى 2016

ملخص الكتاب

النموذج الرباعي للتميز المؤسسي" هو مشروع علمي، موضوعه "التميز المؤسسي"، ومنهجه "البحث التدخلي"، وهدفه اكتشاف مبادئ وأبعاد ودعامات وأدوات وممارسات التميز المؤسسي.

ينطلق هذا المشروع العلمي من خصوصيات وحاجات منظماتنا العربية ومن التجارب والنماذج العالمية، ورسالته هي خدمة أداء منظماتنا العربية بكل أنواعها من إدارات حكومية وشركات خاصة وجمعيات خيرية ومنظمات غير حكومية. أما دوافعه فمتعددة:

- أولا لأن إخفاقات الماضي، وجراحات الحاضر، وآمال المستقبل مرتبطة بتقديرنا بأربع أزمات هي أزمة القيادة، وأزمة الاستراتيجية، وأزمة التنظيم، وأزمة الأداء. وبالتالي فإن عوامل التمكين والتميز المؤسسي هي أربعة: الاستراتيجية والقيادة والتنظيم والأداء.

- ثانيا لأن الأداء العالي والمنتظم يحتاج إلى قيادة حازمة واستراتيجية شاملة وتنظيم عقلاني. لكن "سفراء النوايا الحسنة" الذين يجسدون بالنموذج الحي واقعنا لا يملكون سوى قيادات طيبة، وعموميات راقية، وتنظيمات عاطفية. ولا يحققون بمشاعرهم الصادقة الجياشة سوى نتائج عادية في أحسن الحالات.

- ثالثا لأن المشاعر الصادقة الجياشة لا تنقصنا، ولكن ينقصنا الحزم في القيادة، والشمولية في التخطيط، والعقلانية في التنظيم، والتميز في الأداء.

ويتكون هذا المشروع العلمي من أربعة أبعاد:

- القيادة
- الاستراتيجية
- التنظيم
- الأداء

قدمنا في الأجزاء الثلاثة السابقة من هذه السلسلة إضاءات القيادة والاستراتيجية والتنظيم، ونقدم في هذا الجزء الرابع إضاءات الأداء.

إن "النموذج الرباعي للتميز المؤسسي" هو مشروع بحثي تخصصي أصيل، يقوم على قاعدة منهجية وعلمية صلبة ودقيقة، وتجربة وخبرة عملية واسعة ومتنوعة، ويسعى إلى دعم جهود التطوير المؤسسي وتسليحها بسند علمي وعملي مُحَرَّر على شروط أدق المعايير العلمية وأفضل النماذج العملية العالمية.

فقه الاستراتيجية

الجزء الأول

المفاهيم والمبادئ



عدد الصفحات: 124 صفحة

الطبعة: الأولى 2013 - الثانية 2014

ملخص الكتاب

إن الاستراتيجية قضية مهمة بل مصيرية. مهمة من حيث أنها تخرجنا من ذواتنا وتدفعنا نحو الغير لمواجهته والدخول في تنافس معه؛ ومن حيث أنها تحررنا من ضغط الضرورة أو الاستعجال أو التجريب. ومصيرية من حيث أنها تساعدنا على إدارة المخاطر واستغلال الفرص كما تعلمنا الضبط والانضباط وحس المسؤولية؛ ومن حيث أنها تحفز جهود فرق العمل وتوحدها حول رؤية واضحة للمستقبل.

ومن ثم ينبغي لكل من يريد أن يؤدي رسالته بفعالية وكفاءة، وأن يرتقي بأدائه نحو التميز، وأن يساهم عمليا في صناعة التاريخ، أفرادا ومؤسسات، ينبغي له أن يفكر بطريقة استراتيجية وأن يقود بطريقة استراتيجية، لكن ما الاستراتيجية؟

هذا الكتاب يقدم إجابة عن هذا السؤال من خلال استعراض مفاهيم ومبادئ ونماذج فقه الاستراتيجية.

على مستوى الجهاز المفاهيمي لفقه الاستراتيجية كانت فقرات هذا الكتاب فرصة لضبط دلالات عشرات المفاهيم وعلى رأسها مفهوم الاستراتيجية نفسه.

وعلى مستوى المبادئ استعرضنا أيضا عشرات المبادئ المؤسسة للتفكير والفعل الاستراتيجيين.

وأخيرا على مستوى النماذج اعتمدنا أربعة نماذج تأسيسية شكلت مجتمعة نسقا كاملا ومتكاملا لبناء الفهم وتوجيه الإرادة. وهذه النماذج هي:

- أولا نسق الاستراتيجية ويتكون من التنظيم والمشروع والمنهج والتقنية والظرفية.
- ثانيا آلية الفعل الاستراتيجي المكونة من الوسائل والغايات والمنهج الذي يربط بينهما.
- ثالثا الحقل الاستراتيجي بأركانه الثلاثة: الإطار المكاني والزماني للفعل، وحدود الحقل وقواعد المواجهة، والغير.
- رابعا الذكاء الاستراتيجي بأركانه الخمسة: الاستشراف والتفكير النسقي والرؤية المستقبلية والشراكة والقدرة على تحفيز العاملين.

المستويات 7 في القراءة



عدد الصفحات: 147 صفحة

الطبعة: الأولى 2015 - الثانية 2017

ملخص الكتاب

ما معنى "تعلم القراءة"؟

إن تعلم القراءة معناه أولاً أن تجد متعة في القراءة؛ تلك المتعة التي لم تبدأ في حياتنا بالمفردات والمعاني والقواعد وتحليل الخطاب والنقد، وإنما بدأت لحسن حظنا بأغاني الطفولة وحكاياتها.

وتعلم القراءة معناه ثانياً أن تجيد اختيار نوعية الكتب التي تقرأها؛ فليس المهم عدد الكتب التي تقرأها، وليس من الذكاء أن تقرأ أنوار كتب المنبع على ضوء شروحات كتب المصب؛ لأن كتاباً واحداً من المنبع يُغني عن ألف كتاب من المصب، وأن تتحرر من الرعب الذي تسببه كتب المنبع لدى المتمسكين بقراءة كتب المصب، وأن تتوب من ذنب كتب المستنقعات التي تسرق من عمرك.

وتعلم القراءة معناه ثالثاً أن تتقن استخدام المنهجيات الملائمة للفهم الواضح والدقيق. فالقراءة كالتفكير، بل هي التفكير عينه، تلك المعاناة الفكرية التي تقودنا إلى النهاية السعيدة: الوضوح والدقة والبساطة.

وتعلم القراءة معناه أيضاً أن تملك القدرة على القراءة السريعة؛ أي على قراءة وفهم كتاب من مائة صفحة في ساعة واحدة، لكن مع الصبر على قراءة وإعادة قراءة ومقارنة وتمييز وتصنيف وتحليل وتأمل فقرة من مائة حرف في ساعات متعددة وأيام.

وتعلم القراءة هو كذلك أن تملك مهارة القفز بين الخطابات، والنقد الفعال والعملي لها.

وأخيرا تعلم القراءة هو التلقي من مستويات منطقية متعددة.

إن القصة التي يسردها هذا الكتاب هي قصة رحلة ممتعة وطويلة وشاقة؛ قصة وجود خارطة طريق لأنواع ومستويات القراءة. وهذه القصة لا تتحدث عن القراءة فقط، وإنما عن علاقتنا بها أولا. وإذا ما اقتنعت بأن علاقتك بالقراءة تحتاج إلى إعادة نظر فأهلا بك في رحلة المستويات السبعة للقراءة.

الذكاء المالي وصناعة الثروة

رؤية اجتماعية



عدد الصفحات: 121 صفحة

الطبعة: الأولى 2017

ملخص الكتاب

هذا الكتاب هو الجزء الأول من مشروع رؤية جديدة متكاملة للذكاء المالي تنطلق من دراسة تحليلية نقدية لكتابات الرواد الأمريكيين أمثال نبليون هيل وروبرت كيوزاكي الذين يختزلون الذكاء المالي في قوانينه النفسية، وتستهدف نمذجة الذكاء المالي من منظور متكامل: نفسي واقتصادي واجتماعي، مع التركيز على المقاربة الاجتماعية باعتبار أن تسعة أعشار قوانين اشتغال المال واللعبة المالية هي قوانين اجتماعية.

الجزء الأول يستعرض في ثلاثة فصول المقاربات الثلاث للذكاء المالي: المقاربة النفسية، والمقاربة الاقتصادية، والمقاربة الاجتماعية.

أما الأجزاء الثلاثة القادمة فسيتم تخصيصها للقوى الاجتماعية الثلاث التي تتحكم في صناعة الثروة:

- الجزء الثاني: الاستعدادات.

سيستعرض قوة الاستعدادات الذاتية التي ندخل بها اللعبة المالية.

- الجزء الثالث: الرساميل.

سيستعرض قوة الرساميل المتعددة والمختلفة التي يستخدمها اللاعبون.

- الجزء الرابع: اللعبة المالية.

سيستعرض قوة اللعبة المالية وقواعدها التي يتصارع اللاعبون على وضعها من خلال مشاريعهم واستراتيجياتهم.

رحلة إلى عالم الجودة الشاملة

المفاهيم والمبادئ



عدد الصفحات: 96 صفحة

الطبعة: الأولى 2017

ملخص الكتاب

ينطلق هذا الكتاب من هاجس البحث عن إجابة واضحة ودقيقة وعملية لإشكال مهم وحيوي يرتبط به مصير مجتمعاتنا في عصر التحولات الكبرى والتغيرات السريعة والمنافسة القوية وهو: كيف يمكن كسب رهان جودة منظماتنا؟

يتعلق الأمر بسؤال الكيف؛ أي بسؤال عملي همه البحث عن الكيفية العملية التي من شأن تبنيها واعتمادها أن يتيح لمنظماتنا فرصة لكسب رهان الجودة.

ويتضمن جواب سؤال: كيف، شقين:

- الشق الأول متعلق بضبط المفاهيم والمبادئ.
- الشق الثاني متعلق بالطرق والأدوات.

في هذا الجزء الأول من رحلتنا إلى عالم الجودة الشاملة قمنا بضبط المفاهيم والمبادئ الأساسية للجودة.

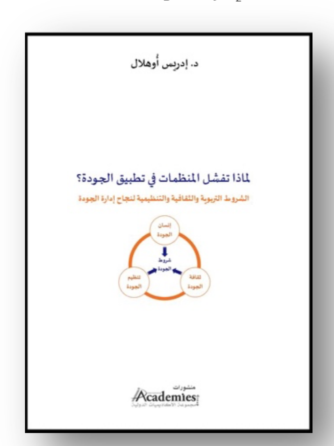
وقد اخترنا، عن قصد، لهذه الرحلة أسلوب التركيز والاختصار الذي يجعل الرحلة سهلة وممتعة، دون أن يفقدها مطالب الدقة والوضوح والعمق.

وقد سلكنا في رحلتنا مع المفاهيم والمبادئ الأساسية للجودة المحطات التالية:

- المحطة الأولى لمعرفة الحاجة إلى الجودة.
- المحطة الثانية لتعريف الجودة وضبط مختلف دلالات المفهوم.
- المحطة الثالثة لاستعراض موجز تاريخ الجودة.
- المحطة الرابعة للوقوف على مبادئ الجودة ومعارفها العميقة.
- المحطة الخامسة لمعرفة المقاربات المختلفة لإدارة الجودة.
- المحطة السادسة لمعرفة أبعاد الجودة واختلاف مقارباتها.
- المحطة السابعة والأخيرة لمعرفة شروط الجودة.

لماذا تفشل المنظمات في تطبيق الجودة؟

الشروط التربوية والثقافية والتنظيمية لنجاح إدارة الجودة



عدد الصفحات: 58 صفحة

الطبعة: الأولى 2018

ملخص الكتاب

ينطلق هذا الكتاب من التساؤل عن السبب الذي يجعل الكثير من جهود المنظمات في بناء أنظمة الجودة تفشل، ويحاول الإجابة عن هذا التساؤل من خلال نموذج ثلاثي يركز على تربية الجودة وثقافتها وتنظيمها.

إن عوامل فشل أنظمة الجودة كثيرة، والمقاربة الإدارية التقنية للجودة التي تنشغل بالمتطلبات القيادية والإدارية والعمليات والإجراءات والمعايير والطرق والأدوات غير كافية، وتحتاج المنظمات إلى مقاربة تربوية ثقافية تنظيمية تعطي الأولوية لتربية الجودة وثقافتها وتنظيمها.

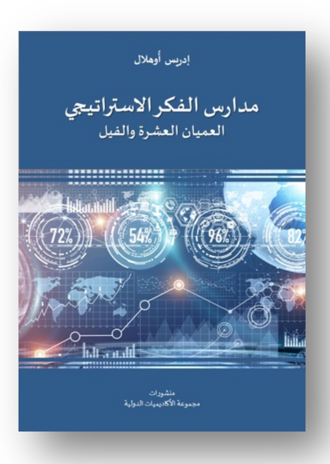
إن نظام الجودة يحتاج إلى فاعل هو إنسان الجودة، وإلى بيئة داعمة هي ثقافة الجودة، وإلى أدوات تنظيمية تمنح الفعالية والكفاءة في الفعل هي تنظيم الجودة. وهكذا تنجح خطط الجودة عندما تجتمع هذه الشروط التأسيسية الثلاثة:

- شرط في مواصفات الفاعل: إنسان الجودة.
- شرط في البيئة الثقافية: ثقافة الجودة.
- شرط في الوسيلة التنظيمية: تنظيم الجودة.

إنه لا جودة بدون إنسان الجودة، ولا يمكن بناء إنسان الجودة بدون ثقافة الجودة وتنظيمها.

مدارس الفكر الاستراتيجي

العميان العشرة والفيل



عدد الصفحات: 131صفحة
الطبعة: الأولى 2018

ملخص الكتاب

كل مدارس الفكر الاستراتيجي عميان أمام هذا الفيل المسمى "الاستراتيجية"، عميان لأن كل مدرسة تدرك جانباً منه فقط، وتجهل جوانبه الأخرى.

تستمد هذه المدارس مرجعياتها من مصدرين: خبرة المستشارين وعلم الجامعيين. يميل المستشارون إلى رسم لوحات ثلاثية الأبعاد لكن لحيوان جامد، ويعشق الجامعيون رسم نفس الحيوان الجامد لكن في لوحات ثنائية الأبعاد.

ورغم هذا التحنيط الذي طال الحيوان من طرف المستشارين والجامعيين، انتشرت الاستراتيجيات ولقيت إقبالاً كبيراً. لكن رغم هذا الإقبال لم تنجح الاستراتيجيات في الغالب الأعم (بعض الدراسات تقول أن كل تسع خطط من أصل عشرة تفشل)، لأن قادة المنظمات ومديريها حُشِروا في منظورات ضيقة مع عجائب التخطيط الاستراتيجي وغرائب معاييره، وما كان لها إلا أن تفشل لأن الفيل جُزّئ تجزيئاً وتَحَوَّل إلى جسد بدون روح.

إن الاستراتيجية لا يمكن لها أن تنجح بالتخطيط الاستراتيجي وحده، أو بحدس القيادة وحده، أو بتعلم المنظمة وحده، أو بأي جزء آخر من أجزاء الاستراتيجية. إن حاجة قادة المنظمات ومديروها إلى معرفة أفضل الممارسات العالمية في مجال الاستراتيجية والاستفادة منها مهمة، من أجل المضي قدما نحو مدرسة شمولية ومتوازنة في الفكر الاستراتيجي، لكن كيف يمكن جمع شتات علم وفن الاستراتيجية من خلال نظرة نسقية تستفيد من منظورات العميان العشرة، وتتجاوزها إلى نظرة شمولية ومتكاملة ومتوازنة وفعالة؟ هذا هو السؤال.

قواعد الحزم

دليلك إلى القيادة الحازمة



عدد الصفحات: 330 صفحة

الطبعة: الأولى 2019

ملخص الكتاب

هذا كتاب في قواعد الحزم، بعيداً عن الطيبة وبعيداً عن المكر، يحاول أن يسد نقصاً واضحا في المكتبة العربية في مجال السلوك الحازم والقيادة الحازمة، ويسعى إلى المساهمة في رفع فن القيادة الحازمة إلى مستوى العلم الذي تحكمه قواعد واضحة.

فكرة هذا الكتاب نابعة من الحاجة إلى التنظير والتخطيط للقيادة الحازمة بعيدا عن النموذجين السائدين: القيادة الطيبة والقيادة الماكرة. وهو يتأسس على فرضية أن أزمتنا في القيادة هي غياب نموذج القيادة الحازمة.

وقد قمنا بنمذجة صفة الحزم في القيادة من خلال خمسة أسئلة، تغطي الأبعاد الخمسة لشخصية القائد، وهي: الإرادة والمعرفة والقدرة والقيم والفعل. إن مطلب الحزم يتحقق بالتوازن بين متطلبات هذه الأبعاد الخمسة.

وقد عجّل بإخراج هذا الكتاب مقال تهنئة بمناسبة سنة جديدة؛ اعتاد الناس أن يُقال لهم على رأس كل سنة: "كل سنة وأنتم طيّبون"، لكن المقال جاء يحمل تهنئة غير عادية: "كل سنة وأنتم حازمون". ومباشرة بعد نشر المقال جاءتني رسائل واتصالات تسأل: كيف أكون حازماً؟

لكل هؤلاء الذين سألوا، ولكل الذين هرموا في فهم وحفظ نفس تجارب المكر لسكان الأجمة، ونفس تجارب الطيبة لسكان المدينة الفاضلة، ولكل الذين يبحثون عن طريق نحو الحزم في زمن ضاع فيه كل شيء بين سذاجة الطيبين ومكر الماكرين، هذه هي قواعد الحزم.

ألعاب الكبار وأحلام المستضعفين

تحليل مُزعج للعبة مُمتعة



عدد الصفحات: 88 صفحة
الطبعة: الأولى 2023

ملخص الكتاب

زمان كانت العقلية التي تحكم مشاركاتنا فى كأس العالم هى "المهم هو المشاركة"؛ نحصد ثلاث هزائم متتالية في الدور الأول ثم نستقل أول طائرة للعودة. وعندما نحظى بإنجاز أفضل نتحول إلى عقلية "الخروج المشرف" بالبحث عن انتصار الشرف أو هدف الشرف الوحيد!

تحدي الكبار والبحث عن الفوز والإصرار عليه عقلية افتقدناها لعقود حتى اعتقدنا أن الحظ السىء هو لعنة أبدية تلاحقنا، لكن ما رأيناه فى مونديال قطر، فى العقلية والممارسة قبل النتائج، شىء غير مسبوق ومختلف كلياً.. فى قطر بدأ تاريخ جديد بعقلية جديدة تفهم اللعبة جيداً.. تفهم أن النتائج المتميزة تحتاج إلى اللاعب المحترف والتكتيك الذكى والتفانى فى الميدان.. تفهم أن قوة الكبار ما هي في أغلبها إلا قوة سالبة مصدرها "عقلية القطيع" التى تنتظر أن يُفعل بها ولا تَفعل.. تفهم أن تحكّم الكبار ما هو فى حقيقته إلا عملية ترويض ماكرة للمنتخبات والأندية واللاعبين والجمهور من خلال قواعد لعب غير عادلة وتكتيكات مواجهة غير نظيفة يسهر على تنفيذها حراس المعبد ووكلاءه.

إذا فهمنا هذا بعمق علينا أن نتحول من ثقافة الخضوع والتبعية إلى ثقافة التحدي، ومن عقلية "المهم هو المشاركة" إلى عقلية "تحدي الرواد" والمنافسة على الألقاب، وهذا الكتاب مساهمة في تعزيز هذا الوعي وهذا التحوّل!

المؤلف في سطور

- عُرف طيلة مساره الدراسي بتميزه وتنوع دراساته، حيث تابع دراساته الثانوية بتخصص الرياضيات، ودراساته الجامعية والعليا بعدة تخصصات هي: الرياضيات وعلم الاجتماع والفلسفة والدراسات اللغوية وعلوم التربية وإدارة الجودة.
- باحث ومستشار ومدرب دولي في القيادة والاستراتيجية والتنظيم وإدارة الأداء وإدارة التغيير.
- باحث في تحليل النظم، ويعمل كباحث ومترجم ومدير دراسات مع عدة معاهد ومراكز عربية ودولية للبحث العلمي.
- صمّم العديد من النماذج والأدوات في مجالات القيادة والاستراتيجية والتنظيم والأداء وإدارة التغيير.
- شارك سنة 2006 في أعمال الدراسة الاستشرافية: "المغرب في أفق 2025" التي أنجزت من طرف مؤسسة فريديريك إيبرت الألمانية.
- ترجم 4 منهجيات إدارية عالمية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ودرّب عليها آلاف الممارسين والخبراء بالعالم العربي.
- له 13 مؤلف منشور في مجالات تخصصه، ومؤلفات أخرى قيد النشر، وعدة مقالات وحوارات منشورة.
- قدم تدريب واستشارات ودراسات لمئات الدوائر الحكومية والشركات الخاصة والمنظمات غير الحكومية بـ 19 دولة وأكثر من 150 مدينة.
- درّب عشرات الآلاف من المتدربين في دوراته وندواته ومحاضراته.
- أسس وساهم في تأسيس عدة شركات وبيوت خبرة متخصصة في الدراسات والتدريب والاستشارات.
- حاصل على أكثر من 200 شهادة تقدير ودرع تكريم وجائزة تميز من عدة جهات حكومية وشركات خاصة ومنظمات غير حكومية.

للتواصل مع المؤلف



00212661167312


drissohlale@gmail.com



facebook.com/driss.ohlale


twitter.com/driss_ohlale



youtube.com/drissohlale



Driss Ohlale

الفهرس

هذا الكتاب

هذا كتاب فى استشراف المستقبل وقراءة آفاقه المحتملة، إذ لم يعد بالإمكان التخطيط للمستقبل بدون استشرافه، فى ظل حاضر مضطرب وعنيف ومستقبل غامض ومُرعب.

يستمد هذا الكتاب ضرورته من الأزمة العالمية الحالية والحاجة إلى فهم ما يجري من تحولات وتغييرات، ويستمد مشروعيته العلمية والفكرية والمنهجية من مرجعيات ومقاربات متعددة ومتكاملة، ومن تحليل الواقع الراهن بمختلف أبعاده للكشف عن حركيته وتحولاته، ومن فكر نسقي مُركّب عابر للتخصصات نُؤمن أنه وحده يستطيع أن يرى الواقع المُركّب على حقيقته ويفهم الأزمات المُركّبة فى شموليتها وتعدد أبعادها.

فى هذا الكتاب سنقوم بتجميع شتات قصة نهايات متعددة ومتنوعة (والنهايات الواردة فيه هى للتمثيل وليست للحصر)، وتجميع شتات قصة بدايات جديدة أيضاً.. تجميع القِطَع ضروري لتكتمل عندنا الصورة الكلية للنهاية والبداية، ونُدرك التغييرات والتحولات الجارية فى الحاضر والقادمة فى المستقبل. من يفهم "الموت" و "الحياة" وينجح فى رصد "دواب الأرض" الدالة عليهما يُجَنِّب نفسه البقاء فى العذاب المهين.

فى هذا الكتاب وقفة بل وقفات مع ظهور وتمدد قيم ومؤسسات جديدة وثورية تعلن عن نهاية القيم والمؤسسات التقليدية التى فتحنا أعيننا عليها وألفناها لحد الاعتقاد بأنها قيم ومؤسسات طبيعية وأبدية.

يبحث هذا الكتاب في خطاب النهايات لفهم وتفسير علاقة الجديد بالقديم، وطوفان التحولات التى يعيشها العالم، وما تتطلبه البدايات الجديدة من فهم للحياة باعتبارها ظاهرة مُتجدّدة، وللصراع باعتباره قانونا اجتماعيا كونيا.

ويجب ألا يفهم من نقد المؤسسات والقيم التقليدية أو الحديث عن نهايتها أنه دعوة للتخلى عنها، فنقد المدرسة مثلا والحديث عن نهايتها يجب ألا يفهم منه أن المطلوب من الأسر هو أن تنهض بمسؤولية تعليم أبنائها، فهذا من سابع المستحيلات فى ظل الثورة العلمية والانفجار المعرفى وظروف عمل الوالدين. ومحدودية نتائج تجارب "التعليم المنزلى" دليل على خطورة المغامرة بمستقبل الأبناء بركوب خيارات غير مدروسة وغير مجربة وغير واقعية.

إن هدفنا من إطالة الوقوف عند النهايات (نهاية المدرسة، ونهاية الأسرة، ونهاية الشهادة، ونهاية السوق...) وتحليلها بعمق هو تعزيز الوعى بطبيعة التحولات الكبرى التى تعرفها اللحظة التاريخية التى نمر بها، مع الوعى أيضا بالبدايات والفرص التى تولد منها، لأن كل نهاية هى بداية جديدة. ومع هذا الوعى المزدوج يفترض أن تتضح الرؤية والمسؤوليات والأدوار الجديدة.